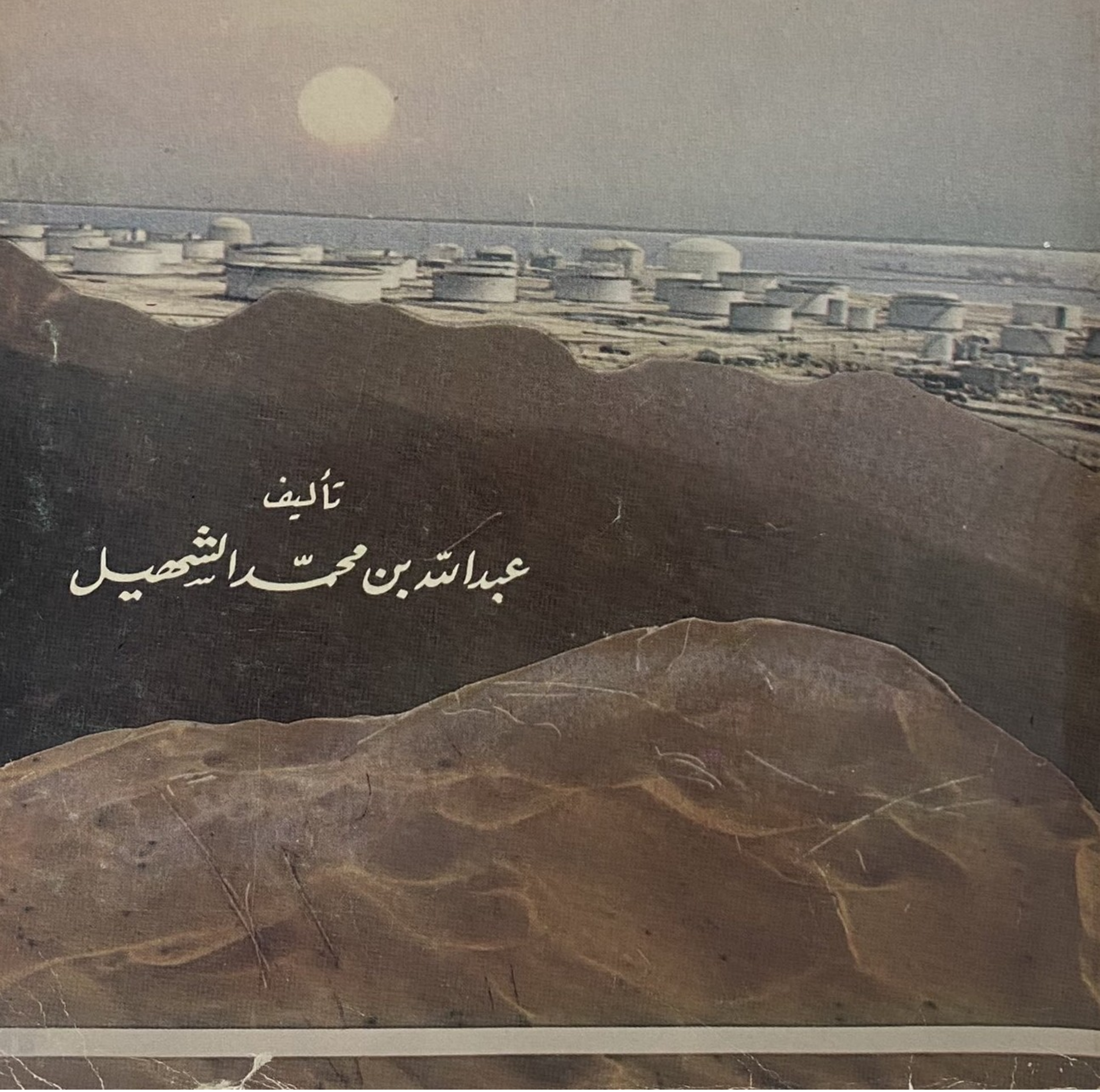
فترة تأسيس

الدولة السعودية المعاصرة

١٣٣٣ - ١٣٥١هـ ١٩١٥ - ١٩٣٢م

دراسة تاريخيّة تحليليّة



تأليف

عبدالله بن محمد الشهيل

فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة

١٣٣٣ - ١٣٥١هـ/ ١٩١٥ - ١٩٣٢م

دراسة تاريخية تحليلية

عبدالله بن محمد الشهيل

The Rise of Saudi Arabia

The Modern Period

1333 - 1351 A.H.

1915-1932 A.D.

By

Abdullah M. Al-Shuhail



جلالة المغفور له، الملك الراحل، عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

مؤسس الدولة السعودية المعاصرة

(١٢٩٩-١٣٧٣هـ / ١٨٨٢-١٩٥٣م)



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية



حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني



حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام



حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز

أمير منطقة الرياض

المقدمة

هذه الدراسة، تضمنت تمهيدا وسبعة فصول وخاتمة، وخمس خرائط، تمثل المراحل التي مرت بها الدولة السعودية المعاصرة، فضلا على الصفحات التي تقع فيها مصادر ومراجع البحث ومحتوياته، وهي في عمومها، دراسة تناولنا فيها أحوال الدولة المعاصرة خلال سبعة عشر عاما، تبتدىء من عام **١٣٣٣هـ/١٩١٥م**، وتنتهي في عام **١٣٥١هـ/١٩٣٢م**، وهذه الأعوام جميعها تشكل فترة حيوية وحساسة، من فترات عمر الدولة، بل قد تكون أهم فترة أو مرحلة مرت عليها، وقد أطلق المؤرخون المحدثون على هذه الفترة، مصطلح «فترة أو مرحلة التأسيس»، وكان الأحق أن تدعى «ملحمة التأسيس»، ولكن المؤرخ لايريد أن يتهم في خيال الشاعر، حرصا منه على إظهار الحقيقة، وتحريا للدقة في التناول.

ولعل إطلاق هذا المصطلح على هذه الفترة، مرده أن متابعة المؤرخين، للمراحل التي مرت عليها الدولة السعودية، أكدت لهم أن مؤسسها، كان بصيرا في طبيعة المتغيرات، وفاطنا لكل التطورات، فأخذ يتصرف طبقا لما تمليه عليه المواقف، مستفيدا من تجاربه، ومستثمرا خبرته، ومستخدما ذكاءه على الوجه الأسلم، فلم يُغلب السيف حينما تجد الحكمة سبيلها، ولكنه لم يهجره، لأنه يمر في فترة حسم، تتطلب منه أن يكون مهيب الجانب، قوي الشكيمة.

انه رغم قصر مرحلة التأسيس نسبيا، في توحيد بلد يعتبر شبه قارة، كان موزعا بين مملكة في الحجاز، وسلطنة في نجد وإمارة، وإمامة في الجنوب، ودولة محتلة فيه،

وفي الاحساء، شهدت سنواتها الأولى حربا ضروسا، بلغ فيها الصراع ذروته، والأطماع أقصى حد لها، في جو محموم، نمت فيه النزعات الإقليمية، والعصبيات القبلية، ونشطت الحركات المشبوهة والمكائد، في ظل أوضاع اقتصادية متردية، وسياسية متلونة، واجتماعية متخلخلة، وثقافية متخلفة.

إنها فترة الحسم، وقد كان، فتم اجتياز الصعاب بقوة ومهارة وحكمة، وفي نجاح منقطع النظير، تحقق تنفيذ المخطط الوحدوي، فاجتمع الشتات، والتم الشمل، وبذلك تحددت المسارات وتأكدت الكينونة، وتعينت السياسات في مختلف المجالات، ووضحت الاتجاهات.

لقد خرجت الدولة في نهاية هذه الفترة من أعصب سني عمرها، وأخصبها عطاء، وتطلعت إلى مجالات أرحب، بعدما تخلصت من الحروب، واجتازت أشد المصاعب، وكابدت في سبيل التوطيد والاستقرار، وعلى درجة الامتياز حازت في إدارة شؤون البلاد الموحدة، فتحسنت الأحوال، وانتصرت على ذوي الأغراض والأهواء، ماضية نحو الأهداف المرسومة، في الخطط الاصلاحية، في كل قوة وثبات.

في الفترة التي سبقت فترة التأسيس كان مؤسس الدولة قد اشتهر كقائد عسكري بارع، حقق انتصارات غير عادية، غيرت كثيرا من ملامح الجزيرة العربية، وأظهر بطولة ومرونة، وامتاز بقدرته على كسب قلوب الداخلين في حكمه، غير أن ذلك لم يعجب خصومه، فأخذ الشك يحوم حول نواياه، وقد ازداد إلى حد الانزعاج من خطواته الاصلاحية عندما بدأ حملته الارشادية، لتحويل البدو من الترحل إلى الاستقرار، فقامت التجمعات، التي شكلت ولاء للوطن، وطاعة لولي الأمر، وامتثالا لأحكام الشرع، والحماس لزرع الأرض، وتعلم القراءة والكتابة، ولتكون كذلك قواعد حربية ثابتة، وأمنية قادرة.

حركت هذه التجمعات الحضرية، مخاوف الجيران من الخصوم، الذين وجدوا

فرصة لتحريض حلفائهم من المستعمرين، ففزع العثمانيون، وارتاب البريطانيون، وما هي إلا خطوة نحو الإحساء، فعادت المنطقة إلى قواعدها، عقب جلاء المحتل منها من غير رجعة، فازدادت المخاوف، ولما كان عبدالعزيز، قد حسب لكل شيء حسابه، لم يجد الطامعون مدخلا، فنشطت الدسائس، وأعدت المؤامرات، بيد أن وضوح خط المؤسس، ومقاصده السياسية، وحذره الدائم، وتأهبه للمواجهة في كل وقت، وفي أي ظرف، واستعداده للتفاهم من منطلق الندية، واستعماله الحكمة في معالجة القضايا الحيوية، أفسد المخططات العدوانية، وحال دون وصول العملاء إلى بغيتهم.

إن استعادة المنطقة الشرقية، نصر سياسي، وعسكري، ووطني، واقتصادي، إلا أن ذلك ترتب عليه تعاظم المسؤوليات، ومقاومة التحديات، وتكاثر الأعداء والحساد، ورواج سوق الخيانات، غير أن كل ذلك لم يثن عبدالعزيز عن بغيته، أو يفت في عضده، فمضى في عزيمة وقوة، بعدما حدد موقفه، فما عاد أمام الجميع إما مداراته، وإما محاولة التحالف معه، وقد جامل محتفظا بقوته المدخرة عند اللزوم، فظهر مهيبا لم يفرط، وغير مبال بالعقبات التي اعترضته.

وهكذا لمع نجمه سياسيا وعسكريا، وكبرت مسؤوليته الوطنية، ولم يبق أمامه غير الأرق الذي يشكله انقسام نجد، فاستعاد حائلا، وقد ضاق بتحرشات الملك حسين بن علي، ومنعه حج النجديين، وامعانه في الاستهانة والتحقير، وما كان ذلك إلا حسدا وغيرة، فعبدالعزيز قد بدا في نظر الجميع رجل المستقبل العربي.

استبدل الملك عبدالعزيز في المناطق الموحدة البالي بالجديد، وأحل الطمأنينة محل القلق، وخلق المفهوم الوطني، وبعث في الحياة الفكرية الحيوية، رغم وعورة الطريق، ومشقة المهمة، ومد يد العون لأحرار العرب، ونصر ماديا ومعنويا القضايا العربية، وعمل لتحقيق تضامن المسلمين، وشارك في العديد من أحداث الساعة في زمانه، مشاركة فعالة أكسبته بعدا إنسانيا وعالميا، ولم يغتر يوما أو يضعف لحظة أو يهتز إيمانه أو ثقته بنفسه.

هذا، والنقطة التي لاأود أن يفوتني إيضاحها هنا، هي أني في هذه الدراسة، لم أحاول الدخول في التفصيلات، تجاوزا لأحداث رأيت تكرارها لايحتاج للوقوف، لالكونها لم تؤثر على المسار، بل لأنها معروفة لامجال للرؤية المعاصرة فيها، تخلصا من بلادة النقل، وتطلعا لاستخلاص الدوافع والمسببات، بغية اكساب الحدث حيوية، بالاستنتاج والتقليب والتحليل، حتى لاتكون الصورة سردية مفرغة من الموقف والرأي.

ولإعطاء فكرة شاملة وموجزة عن موضوع البحث، نجد التمهيد عبارة عن وقفات قصيرة تدور حول الفترة السابقة، في كل أبعادها، لنخلص منه للفصل الأول، وهو: «الجزيرة العربية والحرب العالمية الأولى»، وفيه حاولنا أن نبين أوضاع مناطق الجزيرة العربية جميعها أثناء الحرب. وبعده الفصل الثاني، الذي خصصناه للتحركات العسكرية التي أفضت إلى «تأسيس الكيان الكبير»، ومن ثم نصل الفصل الثالث، وعنوانه: «تثبيت الكيان»، بينا فيه كيف تم توطيد أركان الدولة، بالقوة ووضوح المواقف، تلاه فصل عن «المعاهدات والاتفاقيات والمؤتمرات»، قصرنا الحديث فيه على أهمها، والفصل الخامس عن «السياسة الخارجية»، والذي يليه تحدثنا عن «السياسة الداخلية»، وأخيرا عن «الحركة الثقافية والعلمية والفنية».

وفي جميع محتويات الدراسة، رسمنا خطة حاولنا الالتزام بها، فحين الحديث عن الجانب العسكري مثلا، لانتطرق للناحية السياسية، إلا بالقدر الذي تقتضي الضرورة ذكره، بغية التركيز وبهدف عدم تشتيت الأذهان، عند تخالط المعلومات، لأننا قد أفردنا فصلا لكل جانب، وحين الاضطرار لذكر معلومة خارجة عن موضوع الفصل، فذلك لسنوح مناسبة ذكرها، وقد التزمنا بالتسميات التاريخية، كنجد والإحساء والحجاز والعثمانيين، لأن الدولة العثمانية، لم تكن سلطتها مقصورة على الأتراك وحدهم.

وفي ختام هذه المقدمة، يكفي أن أشير أنه لابد لكل دارس أن يبذل جهدا كبيرا، لتظهر دراسته مشرفة، وهي فرصة لأدعو شبابنا لدراسة تاريخنا الحديث والمعاصر، ليس

فقط لمعرفة الأوضاع بل لكون بلادنا تحظى ببعدٍ روحي فريد، جعل المسلمين في شتى ديارهم يتطلعون لمعرفتها، معرفة جيدة، ولأنها تتميز بمركز اقتصادي متين لفت أنظار العالم نحوها، وتتمتع بثقل سياسي يحسب حسابه، وتمتلك تراثا غنيا المطلوب استثماره.

المؤلف

الرياض في ٢٠/٦/١٤٠٤هـ - ٢٢ مارس «آذار»/ ١٩٨٤م

التمهيـد:

الفـترة التي نبحثهـا، تعتـبر مرحلة حاسمـة بالنسبـة لمؤسس الـدولة السعودية المعاصرة، لأنها حددت ملامح الدولة، وخلالها تقرر المصير، وأثناءها جرت أحداث غيرت كثيراً من الأوضاع الدولية، التي كان لها انعكاسات مباشرة أو غير مباشرة على الحياة العامة في جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية، والدولة السعودية الحالية، لاخلاف في أنها عملاق الجزيرة العربية، ليس فقط في تعداد سكانها، وكبر مساحتها، وإنما أيضا من حيث تاريخ نشاطها العسكري، وتحركها السياسي، وأخيرا قوتها الاقتصادية، وقبل هذا كله المكانة الروحية الفريدة، ففي أراضيها تقع أقدس بقعتين عند المسلمين ومنها انبعثت رائدة الحركات الاصلاحية الدينية الاسلامية الحديثة، ولكننا سوف لانذهب بعيدا عن موضوعنا، ونتتبع الأحداث خطوة خطوة، محللينها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

سبقت ما أصـطلح على تسميتـه بـ (فـترة أو مرحلة التأسيس للدولة السعودية المعاصرة) والممتدة من ١٩١٥-١٩٣٢م، مرحلة، وإن كانت تبدو محفوفة بالمخاطر، وجرت خلالها أحداث هامة، تبقى مرحلة تمهيدية، أعدت وكأنها مدروسة للانتقال إلى مرحلة أكثر أهمية وخطورة، مرحلة بدأت بحرب ضروس استمرت أربعة أعوام بين القوى الكبرى، وقد توزع العالم بين هذه القوى، تتناهبه مطامعها، وتطحنه ويلاتها، وكانت الجزيرة العربية أثناء ذلك هدفا رئيسـا من أهداف المتصارعين، وهذا ما سنبينه عند دخولنا الموضوع، والآن سنتحدث عن المرحلة السابقة للمرحلة التي يهمنا بحثها، لنجد أنها تبدأ بعد استرداد الرياض مباشرة، وقد كانت مرحلة مشحونة بالتوتر والقلق،

تحفل بالمعارك والحروب والاضطرابات والخيانات، ونقض العهود، وتذبذب الولاء كان سمتها الظاهرة، وعدم الاستقرار الذي فرضته الرؤية الضبابية للمستقبل طابعها، فالأقاليم النجدية لم تكن قد إطمأنت لوضع معين، والقوى المحلية المتصارعة وإن رجحت بينها كفة عبدالعزيز، إلا أنه لم يكن الرجحان الكافي لقلب الموازين في الجزيرة العربية، بسبب حالة الفوضى، وغياب الشعور الوطني، وحدة النعرات الإقليمية والقبلية، والمنافسة الاستعمارية العثمانية والبريطانية، وتردي الأحوال الاقتصادية، واستشراء الجهل.

إلا أنه برغم كل ذلك، تمكن ابن سعود من الدفاع عن مكاسبه، واحتفظ بالأمل متطلعا للمزيد، غير أن القلق ظل رغم التأييد الذي اكتسبه، والانتصارات التي أحرزها، يساوره، ولم يطمئن تماما، فقد مضى آخذا أهبة الاستعداد لكل طارىء، فزاد أعوانه، وكان الوقت في صالحه، فجدَّ وتجهز، واستغل بمهارة فائقة كل الفرص المتاحة، ودعما لقضيته المستهدفة جمع شتات البلاد، دعاه تفكيره إلى ضرورة تثبيت ما حققه بترجيح كفته، ترجيحا - على الأقل - يضمن معه التفوق في وسط الجزيرة العربية، حيث لاحت له فكرة خلق روح جديدة، تعتمد على القيم والمثل، وتقوم على أسس من المبادىء متينة، فكان له ما أراد، فقامت (هجر الأخوان)، التي لفتت عناصرها الأنظار، وقد ترددت أصداء نشاطاتها العسكرية، فبلغت مسامع البعيدين، ولكن هذه القوة تنقصها الإمكانات، فبلاده حتى هذا الوقت داخلية جدباء، تفتقر إلى ما يعينه على تنفيذ مخططه[1]، وما دام قد لفت إليه الأنظار بتشكيله هذه القوة، فلابد من سبيل إلى توفير مقومات بقائها، فقبوعه في الصحراء سيحجب عنه البروز، فلعله يجد مخرجا يخلصه من فقره وانعزاليته.

انه لم يحر بالفكرة، ولكنه ظل يتحين الوقت المناسب لتنفيذها إلى أن حان، فهذا

(١) جون فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، تعريب: عمر الديراوي، ص٣١.

الإحساء حجته فيه وجيهة لتبعيته طوال تاريخيه الحديث لنجد[1]، فمبرر ضمه يملكه دون تأليب أحد عليه، والحاميات العثمانية فيه باتت من الضعف بحيث لم تعد تقوى على مواجهته؛ نظرا للصعوبات التي تعاني منها دولة الخلافة حينذاك في البلقان، مما أضطرها إلى تخفيض قواتها، وقد صارت الدولة في حالة من الضعف، بعدما اختل نظامها العسكري، وأصيبت إداراتها بالفساد، واشتد تأثير رجال الدين السطحيين، الذين يؤمنون بالخرافات، وشفاعات الأولياء، فاستحكمت قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى الامتيازات الأجنبية[2]. هذا وقد ترامى إلى مسامعه أنباء عن قرب توقيع اتفاق انجلو ـ عثماني ـ خشي معه أن يقرر فيه مصير الإحساء، الذي اعتبره هدفا أساسيا؛ لأنه جزء حيوي من بلاده، يمتاز بغزارة المياه، وخصوبه التربة، وموارد جماركه، وتصله سواحله بالعالم[3].

لقد فرح، مؤسس الدولة السعودية القائمة باستعادة جزء من تركة أسلافه، والذي أيضا رفع عن كاهله بعض الأعباء، فأحس البريطانيون والعثمانيون بأهميته، وسعوا لكسب وده، ودب الرعب في صنائعهم في الجزيرة العربية والخليج، وهذا ما سنحاول في الفصل الأول شرحه مفصلا.

والمهم الذي نرى الإشارة إليه هنا، هو أن عبدالعزيز اتعظ من أخطاء أسلافه، أو أنه استوعب دروس تاريخهم، فالدولة السعودية الأولى خلصت كثيرا من المسلمين من المفاهيم المخالفة لحقيقة الإسلام، وانهت الصراع بين الرؤساء والزعماء، وجمعت شمل المشتتين، وقد أعاد التاريخ نفسه في عهد عبدالعزيز، بأسلوب مختلف بحكم تغير الأوضاع، واختلاف ظروف العصر، ففهم الرجل ظروف عصره بعمق، مدركا ما اختلف، وفاطنا إلى ما جد، معتبرا بما ساعده على التكوين القوي لدولته، وكان لايقدم على أمر إلا بعد حسب أبعاده بدقة، ولم ينقد لرغبته إلا في الوقت المناسب، وبالتجربة

---

(١) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص١٩٢.
(٢) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص٤٧.
(٣) فيلبي، المرجع السابق، ص٣١٠.

والخبرة، واستيعاب الماضي، أدرك أن الأطراف لابد من ضبطها، حتى لايتيح مجالا للتقلبات والخيانات لبعدها عن السلطة المركزية، فباشر مراقبتها، الأمر الذي ثبت أركان حكمه في جميع أنحاء دولته، حيث أنه لم يترك للحكام المحليين اتخاذ القرارات الهامة إلا بعد الرجوع إليه، فلم يحاول هؤلاء نقض العهود أو إعلان العصيان بالامتناع عن دفع الزكاة حينما يشعرون بقوتهم، أو يظهر من يحرضهم على الخروج أو عندما يلمسون ضعف السلطة المركزية.

إن مؤسس الدولة السعودية المعاصرة، اندفع بحماسه الديني، دون أن يفقده التعصب المرونة، وإن ساعدته الظروف الدولية، واستفاد من تطور المفاهيم حيال القضايا، وكان موفقا، ولكننا لانستطيع إغفال قدرته، وقوة شخصيته، وإصراره العجيب، وبسالته، وكياسته، وحسن معاشرته، وجود يده، وما تمثله أسرته بالنسبة للنجديين، فملأ صيته شبه الجزيرة العربية، والعالم العربي، لأنه كابد الصعاب، ولم يدخل نفسه اليأس، فعالج الأمور بحكمة ولم يتهور، مذللا كل العقبات بظل أوضاع اقتصادية ضعيفة، فصمد، ولم يقف حيال الأحداث من حوله موقف الضعيف الذي لاحول له، أو المتفرج الذي لايهتم بما يجري، حتى بات في الثلاثينيات واحدا من الأقطاب العرب الذين تعقد عليهم الآمال، بعدما نضج سياسيا، وانتعش بعض الشيء اقتصاديا، فحل مشكلاته الحدودية[١]، وأخذ يعمل على تطوير مملكته، وببعد نظر، وثقابة رأي، فطن للخلل العربي الذي لم يفطن له من زعماء العرب سواه، إلا بعد سنين طويلة[٢].

الحقيقة أن ما واجهه عبدالعزيز من المواقف الحرجة، وما مر به من الاختبارات العسيرة، أنارت فكره، ومكنته من الخروج من أضيق المآزق، وقد حباه الله بذكاء،

---

(١) Gomma, A., M.,; The Foundation of the League of Arab States, pp. 72-73.

(٢) Gomma, Ibid, p. 77.

ومضـاء عزيمـة، فقـرب بين الجماعات المتباغضة، وإن كان للسيف أثره في توحيد البلاد، فإنه لم يعتمده اعتمادا كليا، فنجح حافظا توازنه، ومخففا من ضغط الظروف عليه، بعدما اجتاز بمهارة أصعب المواقف، وانتهى إلى راحة عقب رحلة الآلام.

إن السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها ابن سعود في جهاد مع النفس والأعداء، وفي جهاد المتمردين والمترددين بعد فتح الرياض في العام الثاني من القرن الحالي، وفي جهاد مع الأقارب والفقر، لم تكد تنتهي هذه السنوات الممهدة لما بعدها، حتى بدأت مرحلة أكثـر أهمية وحسـاسية، بلغت فيهـا حدة الخـلافـات درجة خطيرة، وكانت العمليات العسكرية خلالها غاية في الصعوبة، وواجه فيها المؤامرات الرامية للإطاحة به أو الحـد من نفـوذه، ولكنـه مضى حاصرا همه في أهدافه، ومتأهبا للمفاوضة في السلم، والمواجهة في ساحات القتال، وقد حسب بدقة حساب الصغير والجليل، وأخذ كامل احتياطاته، ولم يركن للدعة، متحركا على كل الجبهات، وكان العام **١٩١٥م**، بداية لهذه المرحلة الجديدة من مراحل تطور الدولة السعودية المعاصرة، ونقطة انطلاق أرحب، فرغم جو الحـرب الغـائم في سماء العـالم، وعدم جلاء الموقف الذي يحدد السياسية العامة بين المتحاربين، وشعوره بالمرارة من تحالف أعدائه العثمانيين مع الألمان الأغنياء الأقـوياء، ومعرفته بأن عواطف معظم المسلمين معهم، وأن الإعجاب من البعض بألمانيا صار ملفتا للنظر، وجدية العثمانيين في قتاله من خلال حليفهم في حائل، ولمسه فتور الإنجليز نحوه، وغموض مواقفهم[١]، بالإضافة إلى تحديات شريف مكة ومكـائـد جاره الـداهية، وعصيان قبيلة العجـمان، وفقـدانه ساعده الأيمن شقيقه سعد[٢]، وخروجه منهوك القوى من إحدى معاركه.

رغم أنه عام من أكثر الأعوام صعوبة وقسوة على ابن سعود، وكان فيه كل ما حوله لاتبشر مقدماته بخير، مضى ولم يعدم الوسيلة، وظل بحذر شديد يرقب الأحداث،

---

(١) رأفت غنيمي الشيخ، في تاريخ العرب الحديث، ص٢٣٨.
(٢) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٨٠.

وعبأ قواته، وأخذ كامل الاستعداد لأي طارىء، واغتنم الفرص، ولم يضع الوقت، وجد بالتجهيز.

هذا العـام رغم ثقله على نفسـه، كان له فيه المكسب الوقتي الذي يخفف من معاناته، عندما فكر والعالم يحترق في أتون حرب كبرى، في القيام بعمل لايتفق مع السياسـة الانجليزية، التي كانت بحاجة لأكبر عدد من المؤيدين، حتى على الأقل تضمن حيادهم، فكانت فرصته في مطلب بريطانيا، الرامي إلى عقد اتفاقات مع أمراء وحكام الجزيرة العربية.

وبـما أن ابن رشيد حدد موقفه منضما للعثمانيين، خشيت بريطانيا من أن يقوم العثمانيون بتأليف تكتل عربي ضدها، فسارعت عاقدة اتفاقات مع كل من: الإدريسي في تهامة، والشريف حسين في الحجاز، وابن سعود في نجد، لتضمن حلفاء لايقفون في وجهها في الخليج والبحر الأحمر[١].

لقد استمرت هذه المرحلة سبعة عشر عاما، كانت بمثابة امتحان نتيجته النجاح بتفوق، فتبينت من ثم معالم الدولة، واستقرت الأوضاع بتوحيد مناطق واسعة، تجمع أجناسا متعددة، وتحفل بقبائل كثيرة، في ظل دولة تفتقر لأدنى حد من الحياة العصرية، التي ظهـرت في المـرحلة التـالية من خلال جهـود البنـاء، الذي ساعد فيه التحول الاقتصـادي، الـذي تبعه الظهور السياسي، والتطور الحضاري القلق نتيجة القفزة المفاجئة؛ لأنه لم يسبقه تحضير ثقافي يحمي المجتمع من الإختلال؛ لأن ضغط البيئة، المحددة لأنماط سلوك وتفكير الإنسان، تخلق فيه روح الاستعداد، والتقبل، أو النشاط والخمول، لكون البيئة السمة الأكثر وضوحا في تصرفاته[٢]، غير أن ذلك لايمنع من التكيف مع المعطيات الطارئة أو الأوضاع المستجدة، أو الانتقال من حال إلى حال،

---

(١) فاروق عثمان أباظه، السياسة البريطانية في عدن والبحر الأحمر، ص٥٦٤.
(٢) المعجم الوسيط، ج١، ص٨٠.

وهذه ناحية تعتمد على مدى الاستعداد، ومقدار الجاذبية في المتغيرات، وما تعده له تربيته، ونشأته.

هذا، وإن ظهـر أثر للثقافة على حياة بعض الأفراد، تبقى في أعماقهم تأثيرات طبيعة مجتمعهم، الذي كونته البيئة الضاغطة عليهم من خلال العادات والتقاليد، فتجدهم - إلا ما ندر لايقومون - بالتغيير الذي يتزايد مع الزمن، حتى يألف المجتمع ما كان يعتبره في ماضيه خروجا صارخا على المألوف[1].

ولكن هذا لايعني إهمال عامل الوقت، فالمجتمعات في الجزيرة العربية، لم يمر عليها وقت، تتبلور خلاله مفاهيمها حيث لم تأخذ الأشياء مداها، فقفزت فيها بلدان اقتصاديا، وفيها بلدان أخرى أحوالها الاقتصادية غاية في السوء، وفي كلتا الحالتين، كان مقـدار التطور الثقافي غير كاف لحفظ هذه المجتمعات من الاختلال، والجزيرة العـربية، منطقة حيوية، عانت خللا في تاريخها الحديث والمعاصر، وكان تحولها من القبلية إلى الدولة، من الحداثة بحيث جعلها مترددة تدور في حيرة لاتعرف سبيلا حتى الساعة يخلصها من حيرتها[2]، وذلك لعدة عوامل منها: أن الاستعمار فيما مضى، عمل على تغذية الخلافات، فاعتمد في حكمه لبعض مناطق الجزيرة العربية، سياسة التفرقة حتى يسود في ظل مفاهيم لم ترتق رقيا يحفظ كياناتها، فأحكم السيطرة في وقت كان فيه المفهوم الوطني لم يترسخ بعد، والشعور بالمواطنة كان هزيلا لم يبلغ حد النضج، نتيجة انحـطاط عاشه المسلمون بعدما ذاقوا ويلات التآمر الذي أوقعهم في مغبة الجهل، فتفـرقت كلمتهم، وضعفـوا، وكانت الجزيرة العربية بحكم عزلتها أكثر معاناة من غيرهـا، وحتى وقت قريب، ظلت تدور حول ما ورثته، حينما كان القانون غائبا، تعتمـد الأعـراف العشائرية بدلا منه، فقامت علاقات مجتمعاتها على أسس فردية،

---

(١) Encyclopedia Americana, VI9, p. 642.

(٢) محمد الرميحي، الخليج والفترة الحرجة، مجلة المستقبل، العدد: ٤٣٢١٠٩، آذار (مارس)، ١٩٧٩، ص٦٠.

لاتضبطها أنظمة أو تجمعها مؤسسات[1]، فترة طالت، ولما قامت الحكومات، وظهر البترول أخذت العصبية تتلاشى، والشعور الوطني يقوى، غير أن الإنتاج الحضاري، اعتمد على الحكومات دون الشعوب، وهذه مشكلة، لعل الأيام تقضي عليها، لأن المشاركة الشعبية في عملية التطوير، مطلب حيوي وغاية مثالية، لتحقيق التكامل الحضاري من شتى جوانبه، فمثلا في المملكة تحسنت كثيرا أحوال مجتمعها الاقتصادية، فأخذ يتعامل مع الوسائل الحضارية، إلا أنه حتى الآن نجده ـ في الغالب ـ لايعمل عملا يحقق منه نفعا عاما[2]، حتى يستطيع مواجهة تحديات العصر، ولايسمح لبريق الحضارة الزائفة أن يتمكن منه، لأن جهود الدولة وحدها ـ وإن حققت انجازات حضارية ـ لاتكفي للإرتقاء، ما لم يشعر المجتمع كله بالمسؤولية، مدركا إدراكًا تاما أبعاد النمو الحضاري وفعالياته، وهذا وإن احتاج بعض الوقت، فحتما ادراكه ليس مستحيلا، عندما يتفادى المجتمع الأخطاء، ويستفيد من التجارب، ويحس بفعاليته على تكوين نمو يكفل له حياة سليمة من الشوائب المخلة في البنية الاجتماعية.

لقد خلق التوحيد الذي حققه الملك المؤسس، مفهوما للمواطنة، التي ضاعت حقبا طويلة، بين الهمجية والأطماع والانتهازية، فوجد بذلك تقبلا للوحدة، واستعداداً للدفاع عن الوطن، وحاليا الفرص متاحة، ولم يبق سوى استغلالها، استغلالاً صائبا، وهذا لايتأتى إلا بالروح الجماعية، وتعيين الأهداف، والبحث عن الوسائل الموصلة إليها، وهي ميسورة عندما يستشعر كل فرد منا واجبه، وإن لكل شيء مقابلا، حتى تتحقق الطموحات بما يتناسب مع المكانة التي تمثلها بلادنا.

ودراستنا هذه، حاولت أن أقرن فيها التحليل بالحدث، لأننا لانريد تاريخا بلا

---

(١) انظر مقابلتنا حول دول مجلس الخليج العربية في جريدة الجزيرة اليومية، العدد ٣٧١٨، في ١٤٠٣/٢/٩هـ، نوفمبر، ١٩٨٢م، ص١١.

(٢) بكري العمري، من روائع نظامنا السياسي، جريدة البلاد اليومية، العدد: ٥٨٤٨، في ١٩٧٩/٥/٢٧م، ص٧.

رؤية حاضرة، ولا نطلب ماضيا لا نـأخذ منه في حاضرنا ما يساعدنا على استشراف حياتنا المستقبلية، نريد تاريخا يحدد القيمة، ويسجل الحقيقة، ويكون دافعا من دوافع العطاء، ومشحونا بالحرارة، ليبعث الحماس دون أن يسلبنا الروح العلمية، والنظرة الموضوعية، حتى نعي وضعنا، ونفهم واقعنا، ونتعرف على دروب مستقبلنا.

إنها دراسة محدودة السنوات، لم نشأ أن تكون أكثر مما حددناه لئلا نضيع في زحمة الأحـداث، الـدقـة، والمـوضوعية، والمنهجية، وهي سنوات التأسيس، والتي تعتبر ولاشـك سنـوات الحسم في التاريخ السعودي المعاصر، الأمر الذي يتطلب اهتماما بالغا، ولا أدعي تغطية كل ما تحفل به، وإنما هي محاولة، أرجو أن تكون خطوة إيجابية في تنـاول تاريخنا الحديث، من زاوية محصورة في فترة زمنية كانت محكا تعين بموجبه المصير نهائيا، على يدي رجل من رجال التاريخ، الذين حققوا وحدة وطنية، وانجازا حضاريا، فظفر بالإعجاب، ونال الإحترام، وحظي بالمجد، رجل أقام كيانا، مبددا في سبيله كيانات هزيلة، فحلت القوة محل الضعف، والحب أحله بديلا للكره، وقد أفاض الله عليه، فتطلع للبناء بعدما سبر غور الحياة، وأدرك التبدل الذي طرأ على بلاده، راضيا مطمئنا إلى أن انتقل إلى جوار ربه، وفي نفسه أمنية خالها تتحقق بعد جلاء الأجنبي عن الأراضي العربية، إلا أنه مضى وهو ابن الواقع، الذي قاده إليه خصوبة خياله، بعدما عرف بُعد نوال أمنيته، حين دق الاستعمار إسفينا في جسد الأمة العربية، فانشق الأخوة، بين يمين ويسار، وتطرف واعتدال ولقد أراد، ولايبدو أنه غير رأيه منذ أن تحدث إلى أمين الريحاني عن الوحدة العربية[1]، التي فهمها بأنها مخنوقة بالزعامات، والخلافات، والمؤامرات، وأنه الوحيد الّذي حقق جزءا من أماني العرب، في توحيد معظم أجزاء الجزيرة العربية، في دولة متوازنة، منذ أن تبدد شملهم، على أيدي الغزاة الأجانب.

ا. هـ

---

(١) أنـظر حديث السلطان عبـدالعـزيز عن الـوحـدة العـربية في كتـاب (ملوك العرب، ج٢، ص١٠٢)، وص١٨٦ـ١٨٧ في فصل السياسة الخارجية.

الفصل الأول

الفصل الأول

الجزيرة العربية والحرب العالمية الأولى

١ ـ نجـــد .
٢ ـ حائــل .
٣ ـ الحجـاز .
٤ ـ عســير .
٥ ـ اليمــن .
٦ ـ الكويــت .
٧ ـ البحريــن .
٨ ـ قطــر .
٩ ـ الساحل المتصالح .
١٠ ـ مسقط وعمان .

الفصل الأول

الجزيرة العربية والحرب العالمية الأولى

ليس من شأننا الخوض في تفصيلات أسباب هذه الحرب، فمن المتفق عليه أن السبب المباشر لقيامها كان ثانويا، فاغتيال ولي عهد النمسا والمجر وزوجته في الصرب، لم يكن سوى محرك لمطامح الدول الأوروبية، لتوسيع رقعات ممتلكاتها، وامتلاك المزيد من المستعمرات عن طريق الاقتتال[1].

لقد كانت هناك أحداث ومسببات قومية ودولية أدت إلى درجة عالية من الاستفزاز والتحـالفات، وكان مقتل ولي عهد النمسا الحجة والشرارة لنشوب الحرب، وهي أشبه إلى حد كبير بحادث السفير الاسرائيلي في لندن كسبب للاجتياح الاسرائيلي للبنان ١٩٨٢.

ففي جو الحــرب الخـانق هذا، كانت قد تحددت مساراتها، واتضحت صورة التكتـلات الدولية فيها، وقد تصارع في الخليج والجزيرة العربية أثناء ذلك، دولتان

---

(١) فيشر، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ص٤٩٠.

تتنافسان نحو كسب تأييد حكام المنطقة وهما: دولة الخلافة العثمانية، والامبراطورية البريطانية، وان كان الهزال قد دبَّ في جسم الدولة العثمانية، فقد ظلت صاحبة نفوذ في بعض مناطق الجزيرة العربية لعدة أسباب من أهمها: العاطفة الدينية، وحكمها المباشر لبعض الجهات كعسير، وتأييد بعض الحكام لها إن خشية أو طمعا أو حبا، والعربي العادي في ذلك الوقت لم يكن وعيه يساعده على فهم دقائق الأمور، فظن أن ما يقع عليه بصره من الطوابير العثمانية، وما تضمه من جنود وأسلحة، لامست حسه، وجعلته يؤمن من خلال تحركات الأعداد الهائلة من الجنود، ومشاهدة معداتها التي لم ير ضخامة تماثل ضخامتها في أرضه، حتى بعدما أخذ النفوذ البريطاني يتغلغل في المنطقة، مزاحما ومتحديا النفوذ العثماني، ظل العثمانيون متواجدين في كثافة جيوشهم الجرارة، المتورطة غالبا، في قتال مكشوف ومباشر في صحارى، لم يعتد الجنود جوها، أو يفهموا أسلوب خصومهم القتالي، أو يتعرفوا على مسالكها وطبيعة أهلها، على عكس البريطانيين، الذين كان همهم محصورا في النقاط الاستراتيجية، والتمركز في المواقع الحساسة، غاضين طرفهم عن صغر الرقعة أو سعتها(١).

والآن سنحاول تتبع كل جزء على حدة حتى نهاية الحرب لنتعرف على أوضاع هذه الأجزاء في الجزيرة العربية مدة الحرب:

١ ـ نجـد:

في سني الحرب ظهرت نجد ظهورا عسكريا وسياسيا في الخليج والجزيرة العربية، فبرغم شح الموارد، وبقاء جزء منها لم يسترد، ومعاداة جيرانها، ورغبة الدول الكبرى في حفظ التوازن بين أمراء وحكام المنطقة، رأى ابن سعود المسايرة دون ضعف أو تكبيل نفسه بقيود تحد من تحركه، فمضى منفذا مخططه الوحدوي، من غير مبالاة بحصار يضرب حوله أو إعانة تقطع عنه، لأنه من الصنف الذي اعتاد التحمل، ولايقبل بغير الاستقلالية في شؤونه، فأظهر إخلاصا، وقوة حصنها بالحب، أكسبته هيبة واحتراما،

---

(١) فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص٥٥٠.

ومحضته بعدا قوميا، وشخصية متميزة، فبدأت تشعر به جميع القوى، فأكد مكانته تأكيدا، استشعرت معه الحركات الوطنية العربية، أهميته كزعيم يملك اتخاذ القرار، والبت في أعقد الأمور، والقدرة على المواجهة، والاستعداد للتفاوض من منطلق القوة، فاتجهت إليه أنظار الوطنيين العرب في بلاد الشام، بغية تخليصهم من نير الحكم العثماني، لما عرف عنه من سمعة طيبة، ولما يتمتع به من قوة غير عادية، ولم يفضل العمل لحسابه[1]، متخليا عن المطالب العربية، بل رأى عدم توسيع شقة الخلاف بين الأخوة، فقد تسبب رئاسته للحركة الوطنية شقاقا عربيا، حرص على تجنبه، ورأى التريث أجدى إلى أن تحين الظروف المناسبة، حاسبا حساب الأكثرية العربية، المأخوذة بولائها غير الناضج للعثمانيين[2]، وهو الخبير بأحوال السياسة، المدرك لعواقب الأقدام على التنفيذ من غير دراسة، فضعف الدولة العثمانية لم يكن خافيا عليه، ولا يجهل عداءه التاريخي لها أحد، وإحساسه بمرارة دعمها لعدوه الأكبر في شمال بلاده، جعله يتمنى لها الزوال، وكان لايستبعد ذلك، ولكنه لم يندفع، فأخذ جانب الحذر، فتوقعه زوالها لم يحل دون افتراضه انتصارها، لأن ذلك في علم الغيب، وكانت الدولة العثمانية، رغم تمنيها الإطاحة به، تعرف جيدا صفاته، وأنه من الذين لايقبلون بالسيادة الأجنبية ـ وإن جامل ـ فالأمر لا يعدو عن كونه يسعى للمحافظة على كيانه، فمادام الأمر لا يمس استقلاله، ولايتعدى قيامه بأمور تفويتها يعرضه لكثير من الصعوبات، فلا بأس من أن يخفف عن كاهله ويحفظ خط رجعته.

لذلك، عقد ابن سعود اتفاقا مع العثمانيين[3]، وهذا الاتفاق اتخذ منه البريطانيون حجة واهية حول واحة البريمي، وقد جاءت الإشارة لهذا الاتفاق عرضا، لأن بحثه لايهمنا مادام لايقع ضمن السنوات المخصصة، وما مرادنا من الإشارة لهذه الاتفاقية،

---

(١) مصطفى عبدالقادر النجار، (دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر)، ص١٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١٩.

(٣) لمزيد من المعلومات عن هذه الاتفاقية، أنظر عرض حكومة المملكة العربية السعودية أمام محكمة العدل الدولية، طبع القاهرة ١٩٥٥م.

إلا للتدليل على مرونة، وبعد نظر مؤسس الدولة السعودية المعاصرة، الذي استفاد من ظروف الحرب، رغم أنه وقف على الحياد خلالها، ولم ينسق كغيره خلف تحالفات تورطه[1]، وقد كلفه حياده كثيرا، غير أنه لم يفقده سيادته، رغم انقطاع بلاده عن المتاجرة مع جميع البلدان الراضخة للنفوذ العثماني، وتحكم الانجليز في الكويت والعراق، وفي الغرب الشريف، والشمال ابن رشيد، وباءت محاولات جره لجانب ضد الآخر[2] بالفشل، محتملا الأذى، ومتأهبا للدفاع عن نفسه، وفي الوقت نفسه لم يغفل أوضاعه الداخلية، رغم صعوبة ضبط مجتمع رعوي في غالبيته، اعتاد العصبية والفوضى زمنا طويلا، واستحكمت فيه النزعات الفردية، والتمسك بالأعراف القبلية، والتشدد في المواقف، والاعتماد على الغزو وحب الثأر، فضلا على العزلة، والفقر، والجهل، فعمل على إقرار الأمن بين أفراده، وحسن أحوالهم، وبعث فيهم حماسا، فتوحدت الصفوف، وحتى هذا الوقت لم تكن حدود نجد قد توحدت على الرغم من مساحتها التي لايستهان بها، ولم يكن عبدالعزيز قد بويع سلطانا عليه، فظل يحمل اللقب الذي كان يحمله أسلافه، وهو (الإمام)، غير أن لقبه خارج نجد هو (الأمير)، واعترف به العثمانيون واليا على نجد، ومتصرفا للإحساء، ولقبوه بصاحب الدولة عبدالعزيز باشا بن سعود[3]، وكانت بريطانيا تلقبه بحاكم نجد ورئيس عشائرها[4]، وقد خشي خلال الحرب أن تحترق الجزيرة العربية بنيرانها، فحاول التفاهم مع جيرانه من الحكام، لتكوين رأي مشترك يجنبهم الاصطدام، غير أنه لم يصل معهم إلى نتيجة إيجابية ، وما كادت الحرب تنتهي حتى أحاط به من كل جهة تقريبا، في الحجاز، والعراق، وشرقي الأردن، الأشراف[5]، ولكنه لم يفزع، فاحتاط جيدا، وعزم على استخلاص الجزء المتبقى من نجد بعد أن أخذ راحة يهيء نفسه فيها

---

(١) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص٢٢٧.

(٢) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٨٠.

(٣) Armstrong, Lor of Arabia, p. 69.

(٤) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص٧٩.

(٥) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، ج١، ص٢١٣-٢١٤.

عند نهاية الحرب الأولى[1]، لم تطل كثيرا، فبدأ عملياته العسكرية.

٢ ـ حائل:

عند قيام الحرب، رغم الضعف الذي اعترى إمارة حائل تحت ضربات ابن سعود، وانكماش حدودها، واستمرار الشقاق بين أعضاء الأسرة الرشيدية، الذي بلغ حدا مأساويا[2]، ظلت الإمارة قائمة؛ نظرا للظروف الدولية أثناء الحرب، ولانشغال الإمام عبدالعزيز بقضايا محلية وخارجية، وكانت ـ كما مر بنا ـ قد حددت موقفها أثناء الحرب، منضمة للعثمانيين، ولم تكد تنتهي الحرب حتى وجد أمراء حائل أنفسهم أمام موقف جديد بعد انهزام العثمانيين، فساءت والحالة هذه الأوضاع الداخلية[3].

لذلك اتصل حاكم حائل في الإسم، لأن الحكم الفعلي، كان نهبا بين أقارب وأنساب الأمراء، ونساء وعبيد قصورهم، اتصلوا بالانجليز، وبالملك حسين، الذي تضاعف كرهه لعبدالعزيز بعد موقعة (تربة)، فتحول عداؤه لأمراء حائل لصداقة، فمدهم بالمال والعتاد، وتوسط لهم عند الانجليز، وبالمقابل وعدوه بنقض ما عقدوه مع ابن سعود، وقد كان في النية فعل ذلك، لولا ما وقع من خلاف رؤساء شمر، مما أضطر أمير حائل إلى تأجيل نقض العهد، مبديا اعتذاره للملك حسين، عن عدم قدرته على شن هجوم على ابن سعود[4].

٣ ـ الحجاز:

جرت الأحداث بين نجد والحجاز على غير رغبة الانجليز، فالصراع بين مكة والرياض، اضطرهم لاختيار الأقوى، حتى لا يفقدوا امتيازاتهم، فعلى الرغم من ميلهم

---

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٥٨.
(٢) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٨٢.
(٣) سليمان بن صالح الدخيل، القول السديد في أخبار امارة آل رشيد، ص ١٦٤.
(٤) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٨٤.

للشريف حسين، فقد وجدوا أن عبدالعزيز أكثر حكمة، وأنه لايبالي بالأبهة الزائفة، ويتحلى بالأناة، وطول الصبر، وله من عزيمته سلاح، ومن إيمانه عز.

وهكذا نجد الزمن لم يزل العداء الكبير المتأصل في نفوس الأشراف وآل سعود، إلا في وقت متأخر جدا، حيث جدت مفاهيم أحلت الصفاء، وأنهت الخلافات بين أعرق أسرتين عربيتين حاكمتين.

ورغم أن ابن سعود جارى الملك حسين، إلا أنه يبدو أن حسينا انساق خلف أحلامه، فأستشرى العداء الذي غذته القبائل القاطنة على الحدود بين نجد والحجاز، فأعادت حوادث التاريخ نفسها، فحدث مثلما حدث أيام الدولة السعودية الأولى عندما مُنع النجديون من الحج[1]، سوى مرة واحدة أيام شرافه (سرور)، الذي أذن للنجديين في الحج بعدما فرض عليهم ضرائب مرهقة للغاية[2].

تكرر هذا مع ابن سعود، فخال الشريف أن تطلعاته في الخلافة ستتحقق، فوقع في مغبة المخطط البريطاني، المستهدف تأمين مواصلات الامبراطورية في الشرق، والقضاء على الدعاية التي تتمتع بها الدولة العثمانية في العالم الإسلامي[3]، فأخذ الشريف يفاوض باسم العرب، ووفد عليه كثير من قادتهم، ومنهم من قابل الإمام عبدالعزيز، الذي دهش ـ كان هذا قبل انكشاف أمر الشريف حسين ـ لأنه عهده من رجال الدولة العثمانية[4]، ولكنه لم يلبث حتى زالت دهشته، وقد تألم، لأنه عرف أن الشريف، بوأته العمليات الحربية مركزا هاما في المنطقة، والانجليز وجدوا مرادهم في

---

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٢.
(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص١٢٦.
(٣) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٣١.
(٤) بنواميشان، سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة: عبدالفتاح يس، ص١١٥.

طموحه الرامي لحكم أسرته للعرب، فعجب عبدالعزيز لتصرف بريطانيا المتناقض، فكيف تعترف باستقلاله، وتتعهد لشريف مكة بقيام دولة عربية كبرى، وسرعان ما زال عجبه، عندما أدرك بأن الخيال لايجدي في معالجة الواقع، فأرتابت دوائر الحكومة العثمانية في الحجاز في بعض ما كان يبطنه الشريف، فعزم الوالي غالب باشا على مفاوضة ابن سعود في الأمر[1]، الذي فطن لخطورة اللعبة، فحسب حساب الأرباح والخسائر، فأمتنع عن مفاوضة الأتراك العثمانيين، وكانت بريطانيا قد علمت جيدا بأنه لايمكن أن يتخلى عن ملك ضحى في سبيله، وبذل، وأثبت قوة وحكمة وجدارة.

أعلن حسين ثورته ضد العثمانيين باسم العرب في الخامس من يونيه (حزيران) ١٩١٦م، وهو اليوم الذي تصادف فيه نزول جيوش الحلفاء قرب لواء الاسكندرونة السوري، المحاذي لتركيا، فانحصرت القوات العثمانية بين نارين، شلتا حركتها، ومما زاد البلاء تلقيهم الضربات المتتالية في العراق[2]، وخلال هذه الثورة وقف الإمام عبدالعزيز موقفا أملته المصلحة العربية، فتناسى ما بينه وبين الحسين، حتى أن عددا من النجديين شارك فيها ضمن الجيوش الهاشمية[3]، إلا أن الملك حسين تمادى في تعاليه، فرفض التفاهم[4]، وقد سقط في الامتحان الذي غششه فيه الانجليز، فكشف أوراقه وأيقن عبدالعزيز باستحالة الوفاق معه، فتطورت بعدئذٍ الأحداث تطورا غير تاريخ المنطقة، تغييرا يكاد يكون شاملا، وهذا ما سنحاول إيضاحه في حينه.

٤ ـ عسير:

وتنقسم إلى قسمين، قسم جبلي، وآخر ساحلي، وكلاهما يشكلان الجزء الجنوبي

---

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٢١٠، ط١.

(٢) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة: ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، ص٢٧٦.

(٣) Lawerence, T.E. Seven Pillars of Wisdom, p. 148.

(٤) الريحاني، نجد الحديث، ص٢١٢، ط١.

للمملكة في محاذاة اليمنين، وكان القسم الجبلي خلال الحرب العالمية الأولى، متصرفية عثمانية، والقسم الساحلي، كان أحد أحفاد أحمد الادريسي، قد استغل مكانة جده الصوفية التي انتشرت بين سكان هذا القسم[1]، ويرى الريحاني، أنه أثناء وجوده في مصر اتصل بالايطاليين، وساعده على تحقيق غرضه تنازع القبائل، والأوضاع السياسية المتردية، وعجز العثمانيين عن فرض سيطرتهم، ويعتبر السيد/ محمد الادريسي أول من حارب العثمانيين وحليفهم الشريف حسين، وأول من عقد اتفاقا من أمراء العرب في الجزيرة العربية مع الانجليز[2] في التاريخ المعاصر، وكلا القسمين في هذه الفترة، كانت تتنازعهما تيارات دينية وسياسية متناقضة[3]، وكان القسم الجبلي خلال الحرب، قد عانى من ضائقة اقتصادية حادة، نتيجة الحصار الذي ضربه حكام الساحل وحماتهم[4].

بعد انتهاء الحرب، وانهزام العثمانيين فيها، لم يعد أمامهم سوى التخلي عن المناطق التي يحتلونها، فسلم المتصرف العثماني عسيرا لنائبه من آل عائض، الأمر الذي ترك فراغا في عسير، فتحركت المطامع نحوه، فالسعوديون لهم فيه حق تاريخي، ودعوة الإصلاح الديني أتباعها كثيرون، وقبائله أكثرها ينتظر الخلاص على يدي الامام عبدالعزيز، والهاشميون كان رأسهم يتطلع لأن يصبح ملكا على العرب، مما جعله يظن بأحقيته في عسير، والأدارسة في صبيا وجازان وتوابعهما أرادوا توسيع نفوذهم[5]، فيما ظنوه ـ كما يبدو ـ مجالهم الحيوي، ولكن هؤلاء لم يطمئنوا تماما، حتى في عهد كبيرهم محمد على أوضاعهم، ذلك لأن شعوذات الطريقة الأحمدية، بدأت تتكشف حقائقها، وأمام اليمن في الجنوب يتحين الفرص، وفي الشمال الملك حسين يبحث عما يمكن به

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص٤٦.
(٢) ملوك العرب، ج١، ص٣١٨-٣١٩.
(٣) العقيلي، المرجع السابق، ج٢، ص٣١٩.
(٤) فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص٣٦٩.
(٥) العقيلي، المرجع السابق، ج١، ص١١٨-١١٩.

أن يقضي على حكمهم.

٥ ـ اليمـــن:

رابـطت عند قيام الحرب الأولى، قوات عثمانية كبيرة في اليمن الشمالي، وتحرك المسؤولون العثمانيون في اليمن مع أعوانهم، لكسب ودّ سكان المناطق المتاخمة لليمن الجنـوبي، الواقع تحت النفوذ البريطاني[١]، واستطاعوا كسب ودّ بعض كبار المشائخ اليمنيين، وكان موقف الإمام يحيى رغم بقائه على الحياد بين المتصارعين، يميل بحذر للعثـمانيين[٢]، وأثنـاء ذلك حاول سلطان لحج علي بن أحمد بن علي، تجنيب اليمن شرور هذه الحـرب رغم أنه مرتبط بمعاهدة مع البريطانيين، وفعلا فاوض اليمنيين المتصلين بالأتراك[٣]، الذين منوه وأنذروه وهددوه، غير أنه لم ينحز لجانبهم، وفضل الالتزام بالاتفاق الذي عقده مع بريطانيا، لاطمئنانه لقوتها[٤]، بينما كان الإمام يحيى يسعى جاهدا للإبقاء على كيانه، لأنه من ذوي النزعة الاستقلالية، فحاول بكل طاقته أبعاد النفوذ الأجنبي عن بلاده، وكانت خشيته أكثر ما تكون، أن تتحول بلاده إلى مجرد محمية بريطانية كمحمياتها التسع في الجنوب[٥].

أمـا الـبريطانيون، فقد تمكنوا من كسب ودّ معظم أمراء اليمن، واستفادوا من موقف الإمام يحيى الحيادي، ولكنهم كانوا يخشون على مراكزهم الاستراتيجية ذات الحيوية، ولم يفعلوا كالعثمانيين، فحاولوا تضييق نطاق عملياتهم العسكرية في البحر الأحمر، حتى لايرهقوا قواتهم أو يشغلوها عما هو أهم، وفي خلال ذلك عانى اليمنيون

---

(١) Joacob, H.F., King of Arabia, p. 168.

(٢) فاروق أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص٣٤٧.

(٣) أحمد فضل العبدلي، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج، وعدن ص٢٠٨.

(٤) فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص٣٥٣.

(٥) Helfritz. H.T.; The Yemen, A Secret Journey, p. 124.

من انقطاع السلع والأرزاق عنهم[١]، ونجح البريطانيون في الحرب في النهاية، فاستسلم القائد العثماني في لحج لهم في عدن[٢]، واستمرت الأوضاع الداخلية في اليمن لم تتغير إلا بعد عدة سنوات.

٦ ـ الكويت:

كلف البريطانيون عند قيام الحرب، شيخ الكويت في مهمة اقتصادية دقيقة، بغرض أحكام حصار شديد على الدولة العثمانية[٣]، حيث أن البريطانيين في هذا الحصار، يحاولون الضغط على العثمانيين، وبما أن الكويت أهم مراكز هذا الحصار الاقتصادي، لموقعه، ونشاط أهله التجاري المتميز في الهند وأقطار الجزيرة العربية، والعراق فقد كانت القبائل في الجزيرة والعراق تتزود بالمؤن منه، الأمر الذي جعل بريطانيا لاتبيح للقبائل غير الموالية لها بدخوله، فصرفت التراخيص للمتعاونين معها إلا أن ذلك تسبب في ارتفاع أسعار المواد الغذائية، فراج التهريب، الذي شعرت به بريطانيا، فأوعزت لشيخ الكويت بضرورة تشديد المراقبة، إلا أن هذا الشيخ لم يعش طويلا، وخليفته لم يكن مرتاحا للبريطانيين، الأمر الذي اضطرهم لفرض حصار على الكويت[٤]، ويبدو أن الكويت تضررت من هذا الحصار المباشر من خلال لجنة إشراف، تراقب كل ما يدخل ويخرج منه، فعوضت بعدما انتهت الحرب شيخها[٥]، ولم يبق على أرض الكويت بعد الحرب قوات أجنبية، إلا أنها لم تلبث طويلا حتى عادت بعدما طرأت ظروف[٦].

---

(١) عبدالواسع الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٣٢٩-٣٣٠.
(٢) فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص٦٦٦.
(٣) حسن سليمان محمود، الكويت: ماضيها وحاضرها، ص١٩٠.
(٤) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص٢٣٦.
(٥) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص٢٠٢-٢٠٤.
(٦) محمود علي الداوود، الخليج العربي والعلاقات الدولية، ص ٢٣٦.

٧ ـ البحـريـن :

اتخذ البريطانيون البحرين في بداية الحرب، مركزا لتجمع قواتهم للحملة على العـراق[1]، لأنهم كانوا قد سيطروا عليه سيطرة تامة، يديره باسم التاج البريطاني، وكلاء سياسيون بريطانيون، استبدوا به، فلم يعد لأهله رأي في تقرير مصيرهم.

٨ ـ قطـــر :

لايختلف وضـع قطر عن وضـع البحـرين أثناء الحرب، إضافة إلى أن سكانها أغلبهم بدو رحل لايستقرون، فيتنقلون خلف الحيا، أين كان، غير متقيدين بأنظمة أو ممتثلين لسلطة، علما بأن قطر لم تكن في أهمية البحرين أو في مستواها الحضاري، ولم يكن قد مضى على الاستعمار البريطاني عام فيها.

٩ ـ الساحل المتصالح :

يتألف ساحل عمان، الذي أطلق عليه الانجليز الساحل المتصالح أو المتهادن من سبع إمارات، هي التي تتكون منها الآن دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث حلت الوحدة بينها محل المنازعات الأسرية إبان الحكم الاستعماري.

المهم، أن الساحل، كان خلال الحرب نهبا للصراعات المحلية بين مشيخاته، يرزح تحت وطأة الفقر والجهل والاحتلال.

١٠ ـ مسقط وعمـان :

لقد هدد بعث الإمامة في عمان عام ١٩١٣م، المصالح البريطانية[2]، وطوال سني الحرب لم تهدأ الاضطرابات بين الداخل (عمان)، والساحل (مسقط)، وامتد نفوذ إمام عمان إلى الساحل، فاهتز بذلك مركز سلطان مسقط، الذي أنقذته بريطانيا بقوات

---

(١) مصطفى مراد الدباغ، الجزيرة العربية، ج١، ص٢١٦.
(٢) جان جاك بيريبي، الخليج العربي، ترجمة: نجده هاجر وسعيد الغز، ص١٩١.

رغم ظروف الحرب، والتي لم تستطع التوغل في المناطق الداخلية، فاقتصر دورها على الدفاع عن الساحل[1]، ويبدو أن الشعبية التي يتمتع بها الإمام، وقوة نفوذه بين أنصاره، ويفتقر إليهما السلطان، اضطرت الانجليز إلى البحث عن تسوية بين الإمامة والسلطنة، وقد تخلل ذلك تهديدات بريطانية[2] بقمع ما كان يدعوه سلطان مسقط ثورة قبائل الداخل.

هكـذا كانت أوضـاع مسقط وعـمان طوال سنـوات الحـرب العـالمية الأولى، اضطرابات مستمرة، وخلافات حادة، وتدخلات أجنبية في جميع شؤونهما، علما بأنه قد وقعت اتفـاقية بين بريطانيا وإمـامـة عمان، بعـد انتهاء الحرب بعامين، اعترفت بموجبها بريطانيا بسيادة الإمام على مناطق الداخل - وإن اعتبرها سلطان مسقط تنظيما داخليا للقبائل[3] - فالمعلوم أن البلاد انقسمت إلى قسمين: إمامة في المناطق الجبلية الداخلية، وسلطنة في الساحلية[4].

إن أوضـاع الخليج والجزيرة العربية، غضون الحرب العالمية الأولى، كانت في مهب الريح، وحتى بعدما انتهت الحرب، ظلت سنين عديدة قلقة لم تتحدد معالمها، ولكن الأحداث التي جرت في داخل المنطقة أثناء الحرب، بينت بوضوح أهمية بعض زعمائها، وقد أظهرت السياسة العملية، التي انتهجها هؤلاء الزعماء، حقيقة المطامع الاستعمارية، فأخذت دوائره المختلفة تراهن عليهم، وتعمل من أجل تحقيق أغراضها من خلال التقـرب إليهم، غير أن موقف زعـماء الجزيرة العربية الكبار، وهم: ابن سعود، والشريف حسين، والإمام يحيى، وابن صباح، والادريسي، وابن رشيد، كان

---

(١) العقاد، المرجع السابق، ص٢٢٩.
(٢) انظر: عمان والساحل الجنوبي الغربي للخليج الفارسي، من منشورات شعبة البحث التابعة لأرامكو، ص٩٦ وما بعدها.
(٣) العقاد، كتابه السباق، ص٢٣١.
(٤) مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص١٤٦.

متناقضا[1]، حيث شعر ابن سعود، بضرورة العمل المستهدف القضاء على هذا التناقض، فأخذ يخطو خطواته التوحيدية بعدما حلت السيادة العربية محل السيادة العثمانية بعد نهاية الحرب[2]، فأصبح عليه أن يلم الشمل، ويمضي في سبيل تجميع القوى المبددة، وقد ظهر قادرا على تنفيذ هذه المهمة الدقيقة والصعبة، واكتشف فيه معاصروه، أنه أقوى حكام جزيرة العرب[3]، وقد ساء اتجاهه بريطانيا، التي وجدت أن مكمن قوتها تغذية خلافات حكام الجزيرة العربية[4].

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى، حتى انجلت المواقف محليا ودوليا، وعلى الرغم من أن الثورة الروسية كانت قد كشفت الستار عن اتفاقية (سايكس ـ بيكو)، الرامية إلى تقسيم الوطن العربي لمناطق نفوذ أوروبية، فقد ظل بعض حكامه، غير قادرين على التحرك الإيجابي لإبطال مفعولها، وظلوا يؤمنون بالوعود البريطانية، حاصرين جل اهتمامهم على الجوانب الشخصية، غير مهتمين بمصالح بلدانهم أو رغبات شعوبهم.

المهم، أن الجزيرة العربية، بعد الحرب، وجدت نفسها، أمام اختيارات واختبارات، اختيارات لحكامها، لأن الشعوب لم تكن قد نضجت، واختبارات لايجتازها إلا الأقوياء والأذكياء، وقد أثبتت الأيام حسن اختيار بطل الجزيرة في زمانه، عبدالعزيز بن سعود، وأكدت الأحداث تفوقه على أقرانه، الأمر الذي أشاع المخاوف في نفوس الأتباع من حكام الجزيرة العربية، الذين لم يجدوا مفرا حيال انتصاراته سوى

---

(١) فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص٣٤٩.

(٢) جروج انطونيوس، المرجع السابق، ص٤٤٥.

(٣) Philp Graves; The Life of Sir Precy Cox, p. 195

(٤) 371/11445 Doc No. 9037, Public Record Office, F.O.

اللجوء إلى بريطانيا[1] التي بقيت على الساحة وحيدة لامنافس لها من القوى العظمى، ولم تجد مقـاومة إلا من عبدالعزيز، الذي لم يشأ أن يفجر العداوة صراحة، فدارى المواقف، مستعملا حنكته إلى جانب فروسيته، بعدما تأكدت قيمته، ووضح اتجاهه القومي.

(١) بيار روفايل، صقر الصحراء، ص٢٥٥، ٢٥٦.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

تأسيس الكيان الكبير

- شخصية عبدالعزيز
- بداية فترة التأسيس
- فتنة العجمان
- معركة تربة
- استخلاص حائل
- ضم عسير السراة
- فتح الحجاز
- حصار جدة

هذا الفصـل سنحصر الحديث فيه عن العمليات العسكرية، ليس لكونها كل شيء في قيامه، فقد أسهم لحد بعيد في قيام هذا الكيان التفكير السياسي، واستعمال الحكمة، وأسلوب العفو عند المقدرة، والتسامح من غير ضعف، ومجاملة لا إسراف فيها خشية ضياع المكتسبات، وهذا ما سنتعرض له في الفصول القادمة، وما استهدفنا من حصر الحديث في هذا الفصل عن العمليات العسكرية إلا لفاعلياتها في كثير من المـواقف، حيث بدت مصدر الحسم في وسط لم يكن حسه الوحدوي قويا، تحكمه زعامات متشرذمة لم يجد عبدالعزيز معها سبيلا للوفاق، سوى النضال المصحوب بنبل الغاية، فقضى على الخلافات مانعا الانقسام، وصادا الاعتداءات، ومستجيبا لمطلب وطني.

شخصية مؤسس الكيان:

أعتقد أنه من الضروري أن نتحدث في بداية هذا الفصل عن شخصية مؤسس هذا الكيان «عبدالعزيز بن عبدالرحمن»، لنتعرف على تفكير رجل متميز حقق انجازا قوميا، محاولين فهم أساليبه في الحكم وقيادة الجيوش، وكيفية تعامله مع المحيطين به، ومقدار ما يتمتع به من مواهب وخبرات، رغم أن ذلك سنحسه في كل كلمة من هذا البحث، غير أننا شئنا التحديد، سعيا وراء وضوح الملامح بالحصر لا التباعد، وتأكيدا على الرؤى عبر سطوره.

والحقيقة أن الباحث يحار في الحديث عن شخصية عبدالعزيز، فلا يدري من أين يبدأ؟ وكيف يبدأ؟ فهو موهوب، تعلم من تجاربه، واكتسب خبرات غنية، وعسكري شجـاع، وقـائد مظفر، وسياسي محنك، وحاكم مصلح، ولكن لنحاول، ونبدأ من طفولته لنجد أن أمارات الذكاء، وسرعة الاستيعاب ظهرت عليه قبل حلول والده في الكـويت، وكـان لماحـا دقيق الملاحظة، فضلا على أنه إبن من أبناء الملوك، اعتاد الإختـلاط، وجـالس العلماء وأكـابـر القـوم، وكثـيرا ما أنصت للأحاديث العلمية والسياسية، ولم تخف عليه وهو سليل أسرة حاكمة أساليب الساسة، ومطالب الرعية،

وأنماط الحياة في عصره، سيما إذا علمنا أن الحكام في وسط الجزيرة، لم يكونوا بعيدين عن الشعب لافي مأكلهم ولا ملبسهم، ولايترفعون عن مخالطتهم، فكسبوا حب رعاياهم، واستفادوا من التعرف على طبعائهم وتصرفاتهم، وعبدالعزيز بالإضافة إلى ذلك كان قد عانى من النفي، وفهم مذ نعومة أظافره مطامع الدول، ومقاصد المستعمرين عندما اشترط الصدر الأعظم العثماني مساعدة والده بقبوله الاعتراف بالسيادة العثمانية، وذاق مرارة الجوع، وقسوة الطبيعة بين البدو في أكثر منازلهم فقرا ووحشية[1].

هذا وعبدالعزيز علاوة على تكوينه الفكري، امتاز بطول القامة، وتناسق الأعضاء، وحسن الخلقة، وبياض الوجه[2]، وكان رياضيا قوي الجسد، زادته نكبة أسرته حيوية، وجعلته لايستقر دائم المسعى، لاينتهي فضول الاستطلاع فيه عند حد، حيث عرف عنه أثناء سنوات نفي والده في الكويت، اهتمامه البالغ بمعرفة ما يجري في العالم، فيقف على رصيف الميناء ساعات طويلة بلا ملل، ملتقطا أحوال الدنيا من التجار والبحارة[3]، وكان لايكاد ينقطع عن سوق الكويت، متتبعا أخبار نجد، ومستطلعا القادمين عما آلت إليه في العهد الرشيدي، بل لقد أصبحت هاجسه الوحيد الذي يؤرقه[4]، ولشد ما آلمه مباهاة أبناء الأغنياء بأموالهم[5]، لأنه مشغول بقضية، لايهمه من المال إلا ما يعينه على استرداد حقوقه، وأحيانا كان يروح عن نفسه بالقراءة، مستفيدا منها روحيا وذهنيا، ورغم أن أحوال زمنه المضطربة لم تسمح له بالحصول على قدر كبير من التعليم، فما نحب الإشارة إليه، هو أن حكام نجد كانت نظرتهم للعلم مختلفة عن نظرة سواهم من بعض حكام جزيرة العرب الذين يرون في تعليم أبنائهم

---

(١) بيار روفايل، كتابه السابق، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) ضاري بن فهيد بن رشيد، نبذة تاريخية عن نجد، أملاها على وديع البستاني، ص١٢٦.

(٣) بنواميشان، سيرة بطل، ومولد مملكة، ترجمة: عبدالفتاح يس، ص٥٨.

(٤) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص١٠٢، ص١.

(٥) بنواميشان، المرجع السابق، ص٥٨.

انتظار الصدقات مما لايتناسب مع مركز الإمارة[1]، ذلك لأن نجدًا شهدت ثورة عقلية، حققتها حركة إصلاحية دينية، فخلفت آثارا روحية وعلمية وسياسية، وقد توسعت الدولة التي نصرتها في عملياتها العسكرية، الأمر الذي خشيت معه الدولة العثمانية من خطرها، وتصدت لها بواسطة واليها على مصر، وقد نجح بعض الوقت أعداؤها في تضليل البسطاء عن حقيقتها، ووجد من رأى في اتجاهها تعارضا مع مصلحته الشخصية، فثار بهذا جدل حولها[2]، وكتب عنها الكثيرون، ودارت بشأنها المناقشات والمناظرات بين دعاتها وخصومها حتى اجتمع من ذلك رسائل وردود كثيرة «جمعت . . . فبلغت مجلدات طبع أكثرها[3]».

ذكرنا أن عبدالعزيز لم تتح ظروف زمنه له تحصيلا علميا عاليا، ولكننا لانستطيع إغفال شغفه بالاطلاع على الدقيق والجليل، والاستفسار عن كل غامض، ورغبته القوية في الفهم العميق، ولم يكن مترددا في أحاديثه، ولم يحجم عن طرح الأسئلة حول ما يلاحظه، وقد كان مولعا بمعرفة أحداث التاريخ، سيما ما يتعلق بأخبار أجداده ودولهم، إضافة إلى تدربه على المفاوضات في سن مبكرة، وكثرة احتكاكه بالأمراء والعلماء والفقهاء، ودرسه على بعض المطاوعة لفترة، مكّنته من الكتابة والقراءة، وما أتاحته إقامته في المنفى من اتصال بكثير من زوار الكويت[4]، مستطلعا أخبار العالم، ومتابعته الدائمة لأحوال بلاده، ونظرا لتطلعاته الطموحة، كان يكثر الأسئلة، ملتقطا الإجابة، لأنه ـ كما يبدو ـ كان عازما على استرداد حكم أسرته، وبالتالي لابد من معرفة الأحوال العامة، وما آلت إليه حال بلاده، فصار يعد نفسه للمستقبل، جاعلاً من الأمل فسحة تخلصه من ضيقه الشديد.

---

(١) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص١٣١.
(٢) انظر دراستنا عن الأدب السعودي في وسط الجزيرة قبل توحيد البلاد، المنشورة في (الجيل الثقافي)، العدد الأول الملحق الصادر عن مجلة الجيل بمناسبة جائزة الدولة التقديرية في الأدب ٢٣/١/١٤٠٢هـ، أكتوبر ١٩٨٣، ص٤.
(٣) عبدالعزيز بن باز، الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب: دعوته وسيرته، ص٣٣.
(٤) بنواميشان، كتابه السابق، ص٥٨.

كما لايغيب عنا في هذا المقام، أنه كان قوي الصلة بالشيخ مبارك، الذي أكسبته رحلاته معرفة كثير من أحوال العالم، واختلاطه بالأجانب مكنه من فهم الانجليزية، وكان قبل توليه حكم الكويت يتردد على مجلس الإمام عبدالرحمن، فلفت نظره انصات الفتى عبدالعزيز، واهتمامه الكبير فيما يدور في الجلسات، فقويت الصلة، فأعجب به مبارك، الذي فهم منه عبدالعزيز كثيرا من خفايا السياسة، وسيرة الساسة، واطلع من خلاله على بعض الشؤون الدولية، ويقال إنه علمه شيئا من الحساب واللغة الإنجليزية[1].

هذا إلى جانب وضعه - فيما بعد - كحاكم اعتمد الدين في مقدمة اهتماماته، وجعل الشريعة دستوره، فحفظ كثيرا من سور القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وتبصر في الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى أنه شاعر نبطي مطبوع، قرأ بعض الشعر الفصيح، وحفظ كثيرا من القصائد العربية[2]، وكان في معيته دوما «عبدالله العجيري»، أحد أبرع رواة أيام وأشعار العرب في الجاهلية والإسلام، والذي كان سلوى عبدالعزيز في أوقات فراغه[3]، ولعبدالعزيز بعض المواقف الطريفة، والمداعبات والملح الخفيفة، ومن ميزاته سرعة الخاطر، وحضور البديهة، وشدة الفطنة.

كل ما تقدم مضافا إلى جرأته واستيعابه، ومن ثم صقل التجارب له، حتى صار بصيرا بما يقوم به من خلال حذقه ما مر عليه، وشخصيته المتميزة بالقوة صيرته خطيبا قوي الحجة، ومتحدثا قادرا على الإفصاح عما يدور في ذهنه، ومفاوضا يجيد المناورة والحوار، سليقة واكتسابا.

---

(١) بنو اميشان، كتابه السابق، ص ٦٠.
(٢) حمد الحقيل، عبدالعزيز في التاريخ، ص٨٣.
(٣) انظر الرحلة السلطانية التي كتبها يوسف ياسين في أم القرى وجمعتها وزارة المعارف في كتيبات بعنوان «الرحلة الملكية».

والآن نبدأ ملحمة التأسيس، مارين مرورا سريعا على الأحداث التي سبقتها، لنتوقف بعد ذلك عند الأحداث الداخلة في موضوع دراستنا، مستطلعين صفات شخصية صانع هذه الملحمة ضمن أحداث هذه الفترة.

بدأ الكيان الكبير في مغامرة، ولكنها لم تكن من المغامرات فاقدة الأبعاد، بحيث لايستهدف منها سوى العودة بالغنيمة للأهل والقوم، وإنما كانت مغامرة بدت ضروب الشجاعة فيها أسطورية[١]، وغذتها روح التضحية في سبيل استخلاص الحق.

إن في تفصيلات إعادة مدينة الرياض ما يبعث الإعجاب، وكانت بداية كفاح طويل، فبعد تثبيت عبدالعزيز وضعه فيه اتجه جنوبا فهزم فلول جيوش ابن رشيد، وأدب أعوانه، وقضى على تطلعات المتزعمين في المنطقة[٢].

توالت عقب ذلك الإنتصارات، متبوعة بالمبايعات من جميع أقاليم نجد، فلما وصل حدود منطقة القصيم واجهته المتاعب: ابن رشيد مصر على الاحتفاظ بها، والقوات العثمانية تؤازره وتؤيد الطامعين بحياد هذا الإقليم تحت الحماية، غير أن عبدالعزيز لم ييأس فمضى مصرا على تخليصه، وتحقق مراده.

ورغم أن نفوذ ابن رشيد انحسر عن القصيم، وقوات بني عثمان جلت عنه، وتمكن عبدالعزيز فيه من قتل رأس آل رشيد «عبدالعزيز بن متعب» في موقعة دارت بينهما، فدبت بعد مقتله الخلافات بين أبنائه، وأبناء عمومتهم، فاعترى التفكك الأسرة الرشيدية، مما ترتب عليه كثرة الغدر، وتفرق الصفوف.

---

(١) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ترجمة: عفيفة البستاني، ص٤٤١.
(٢) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص٢٧٩، ط١.

رغم كل ذلك، فإن عبدالعزيز لم يسر نحو حائل لثلاثة عوامل هي :

١) خيانـات بعض أعيان القصيم، وتقلبهم وتلونهم، ومنهم من طمع بالاستقلال، فلم يشأ عبدالعزيز المواجهة مع حكام حائل قبل تصفية حسابه مع هؤلاء، وقد فعل.

٢) عدم التأكد من اتجاهات الأهالي حتى ذلك الوقت، رغم ما لحقهم من أذى من جراء منازعات حكامهم.

٣) الزحف على المدينة لم يكن سهلا كما تصور بعض معاوني عبدالعزيز، فلا زالت حصينة، وترابط بها قوات عثمانية مزودة بأحدث الأسلحة.

لعل هذه الأسباب، دعت عبدالعزيز للموافقة على طلب أمير حائل الصلح معه، فاستجاب، فتم على أساس اعتراف عبدالعزيز بسيادته على حائل، وما يلحق بها، مقابل اعترافه بسيادة عبدالعزيز على نجد بما فيه القصيم، واطلاق سراح ما لديه من الأسرى السعوديين[1]، بيد أن هذا الصلح لم يلبث حتى انتقض، وتكرر نقض الاتفاقات من قبل حكام حائل، فاضطراب أحوالهم، واستمرار منازعاتهم، وتوزع أهاليها إلى شيع وأحزاب، وقد شجتعهم إمدادات الدولة العثمانية بالمال والرجال والسلاح على عدم الالتزام، ومخالفة بنود كل صلح واتفاق.

لقد أجل عبدالعزيز هجومه على حائل إلى أن يحين الوقت المناسب، ليضمن النتائج، فصبر سنوات إلى أن حان، وهذا ما سنأتي عليه في حينه.

---

(١) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص١٤٣-١٤٤، ط١.

هذا ويبدو أن العثمانيين خابت آمالهم في حكام حائل، فاتجهوا لشريف مكة الذي كان مواليا لهم، فبدأت تحرشاته بنجد سنة ١٩١١م، فحل في بلدة «القويعية»، وفيها أعتقل الأمير سعد بن عبدالرحمن، فاتخذ منه رهينة ساوم عليها أخاه، الذي تظاهر بالموافقة على شروطه، فافتدى عبدالعزيز سعدًا، واعترف من غير نية بالسيادة العثمانية، واستعد أن يدفع جزية سنوية، ويتخلى عن منطقة القصيم عازما على عدم التنفيذ، وعلى هذا الأساس أطلق سراح أخيه، ومضى في مخططه دون أن ينفذ شرطا من شروط الشريف[1].

موقف عبدالعزيز هنا مبعثه التزامه تجاه وطنه ومواطنيه، وإصراره على حفظ كيانه، وعدم تفتيت بلاده، ورفضه التبعية، وقد دارى، واستعمل ذكاءه بغير انتهازية؛ لأنه ألزم نفسه في اتباع خط ارتضاه منهجا لتحقيق غاياته الهادفة لجمع صفوف أبناء الجزيرة العربية، ومثله لايقبل صلحا ذليلا، وفي ذات الوقت تخليه عن أخيه يعتبر تخليا عن الوفاء، فلا بد والحالة هذه أن يظهر ما لايبطن إلى أن يحقق غرضه، وقد ظفر حافظا استقلاله، ومنقذا أخاه غير معرض نفسه لملامة؛ لأن ما تظاهر بالموافقة عليه لايستهدف مصلحة عربية أو إسلامية، وكان الغرض منه جس النبض، والتلويح بالقوة تمهيدا للاحتلال، وهذا ما يأباه عبدالعزيز، ولايمكن أن يقبل به.

أخذ شأن عبدالعزيز يرتفع، ومكانته تتأكد، وبدأ المستقبل يبتسم له، فأراده العثمانيون أداة لتنفيذ أهدافهم، ولكنهم فشلوا في احتضانه بسبب صراحته، وكشفه حقيقتهم، وحدسه بأن الزمن لم يعد معهم، وهو من نوع الرجال الذين يراقبون الأحداث، وعلى ضوء بعد نظره يستطلع المستقبل، وقد فهم أنه لابد أن يستغل كل فرصة تتاح، وها هو بعدما اكتسب أهمية دعمها عند الذين شعروا به دون أن يمكنهم منه، وفي عام ١٩١٢م، كان قد بلغ ذروة قوته العسكرية عندما «تأصلت حركة

---

(١) جون فيلبي، تاريخ نجد، تعريب: عمر الديراوي، ص٣٠٠-٣٠١.

الأخوان بصورة حاسمة»[1]، وصار سيد نجد ولامنازع - وإن بقيت حائل - فالمسألة لاتحتاج إلا لبعض الوقت، واستطاع مد حدوده من وادي الدواسر جنوبا إلى جبل شمر في الشمال، ومن حدود الإحساء الغربية الخاضعة للحكم العثماني حتى الحدود الشرقية للحجاز.

لاشك أن عبدالعزيز في خلقه حركة الأخوان، قلب ميزان القوى لصالحه في المنطقة، وأعطى نفسه مناعة ضد الطامعين، ففرض هيبته، ولكن هذه القوة تتطلب كثيرا من الامكانات المادية، فبلاده حتى هذا الوقت داخلية تفتقر إلى ما يعينه على تنفيذ مخططه الوحدوي، وقد أشرنا أنه فتح الإحساء، فارتفعت معنوياته، وخفف بعضا من معاناته، وعند قيام الحرب الأولى تكاثر زواره، وبدأ مراسلة قادة العرب بغية جمع كلمتهم، وتلقى الإعانات والدعوات[2].

بداية فترة التأسيس:

تبدأ الفترة الأهم والأدق من فترات تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، والتي بدأت أثناءها تتضح الاتجاهات، وتظهر الملامح مشيرة إلى زعامة المستقبل في الجزيرة العربية، وهذه الفترة هي فترة التأسيس، وكانت بدايتها العام **١٣٣٣هـ/١٩١٥م**، حين أدرك الانجليز بشكل قاطع الدور الذي يلعبه ابن سعود، كزعيم عربي مؤثر، ورجل دولة متميز لايستهان به، فقام بزيارته أحد أقدر موظفيهم في الخليج هو «شكسبير»، وقد علم العثمانيون بهذه الزيارة قبل القيام بها من أحد حكام الخليج الذي نهشت الغيرة صدره[3]، ومن سوء حظ المبعوث البريطاني أنه لم يعد لبلاده حيث قتل في

---

(١) فيلبي، كتابه السابق، ص٣٠٩.

(٢) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص١٩٦، ط١.

(٣) فيلبي، كتابه السابق، ص٣١٩.

موقعة «جراب» التي اشتبك فيها ابن سعود مع ابن رشيد في صيف هذا العام[1].

في هذه الموقعة، ظهر التوتر المحموم الأنجلو ـ عثماني، فالحرب لم يكن مضى عليها سوى ما يقرب من سنة، والمعارك وإن رجحت فيها كفة الألمان، فاكتسحت جيوشهم معظم أوروبا، وحققوا انتصارات في العديد من الميادين على الحلفاء[2]، فإنها لم تكن وصلت مرحلة حاسمة ولازالت مجهولة النتائج.

إن هذا التوتر سببه الصراع القائم بين عدوين، يعلمان جيدا قيمة تأييد ومناصرة حكام العرب فتنافسا على كسب ودهم، وتسابقا على مدهم بالمعونات، وحاولا كشف طبيعة البلاد العربية، وطبائع أهلها، ومعرفة أساليبهم في القتال، ولأن العثمانيين أحسوا بخطر ابن سعود الذي حدد موقفه منهم بشكل نهائي لاستمرارهم في مساعدة ابن رشيد المقتطع عدوانًا جزءا من بلاده، أرادوا القضاء عليه، فحرضوا حليفهم على حربه، وأشتركوا إلى جانبه بقوات نظامية مزودة بالمدفعية، وقد التقى الجمعان في جراب، وقامت معركة كان النهب فيها أكثر من القتال، بعدما تخلى البدو من الجانبين عن المعركة مستهدفين الغنائم، فدبت الفوضى، واختلط الحابل بالنابل، وكانت الحرارة شديدة، وانتهى القتال دون إحراز نصر فيه لطرف على الآخر[3]، ورغم ذلك فقد خرج عبدالعزيز من هذه الموقعة منهوك القوى[4].

---

(١) بنوأميشان، كتابه السابق، ص١٣١.
(٢) فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث، تعريب: أحمد نجيب هاشم، ووديع الضبع، ص٤٩٦ وما بعدها.
(٣) فيلبي، كتابه السابق، ص٣٠٩.
(٤) ميشان، كتابه السابق، ص١٣١.

فتنة العجمان :

العجمان قبيلة عربية أصيلة من يام، حلت في الإحساء إبان إمامة تركي بن عبدالله الذي سمح لها في الإقامة فيه، ولم تستطع السلطة العثمانية منعهم، لعدم قدرتها، وهذا ناتج عن الضعف العام الذي تعيشه الدولة نفسها، التي باتت محل مساومات[١].

لم يرق العجمان الحد من نفوذهم، ولم يعجبهم ما ساد المنطقة من الأمن، فظن زعماؤهم أن صلة القرابة مع بعض آل سعود ستتيح عودة سلطانهم، فتسلقوا هذا السلم، غير أن هؤلاء أدركوا حقيقة مرماهم، فعادوا تائبين إلى ابن عمهم بعد أن طرقوا أبواب جميع أعدائه[٢].

كانت حقيقة هدفهم مطامعهم في الإحساء[٣]، الذي يريدونه عرضة للفوضى والممارسات المنافية للشرع والقانون، وغياب سيادة النظام، ولم يشأ عبدالعزيز المواجهة أثناء فصل قائظ، لم يعتد العرب الغزو فيه، ولتوه قد خرج من معركة استنفدت قواه، وما كان معه من المال ليس كافيا، ورجاله لم يكادوا يستريحون، أضف خشيته من غدر ابن رشيد، ولكنه اضطر حيال الحاح الشيخ مبارك الذي صدف أن سطا العجمان على بعض العشائر الكويتية، فنهبوا مواشيهم، فطلب من عبدالعزيز تأديبهم، الذي حاول أن يوضح له صعوبة القيام بذلك في هذا الوقت، فلم يقتنع، الشيخ مبارك، وظل يلح إلى أن وافق بعد أن اشترط عليه عدم استقبالهم عند التجائهم للكويت[٤].

---

(١) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص٤٧، وما بعدها.

(٢) ميشان، كتابه السابق، ص٣١٩.

(٣) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص٢٠٩، ث١.

(٤) ابراهيم جمعة، الأطلس التاريخي للدولة السعودية، ص: ١٦٣-١٦٤.

سار عبدالعزيز ومن معه من الوشم في جو لاتحتمل حرارته متجها نحو الإحساء، فلما علم العجمان بتحركه اتجهوا جنوبا فلحق بهم، وكان لشدة الحرارة يسير ليلا، وعند موضع مليء بالنخل الطوال يدعى «كنزان»، ألتقاهم، وكان الظلام دامسا[1]، فحسب جند عبدالعزيز النخيل بيوت شعر تخص العجمان، فأخذوا يطلقون الرصاص بكثافة إلى أن نفد، والأعداء خلف النخيل صامتون، فاستغلوها فرصة فطوقوا عبدالعزيز ومن معه، وأثناء ذلك قتل أخوه «سعد»، ولحقته الهزيمة[2]، ولكنه ببعد نظره، وتكتيكه العسكري المحكم، حولها لنصر في انسحابه، فلم يمكنهم منه رغم ملاحقته، واستطاع أن يحتمي بالهفوف، ويبعث لوالده الإمام عبدالرحمن، الذي أرسل نجدة بقيادة الأمير/ محمد، ففكت حصار العجمان عن المدينة[3].

أطمعت موقعة كنزان أعداء عبدالعزيز، فنقض ابن رشيد الصلح معه، وعبأ نفسه متقدما تجاه بريدة بغية إحتلالها، وتحركت لصده عنها حملة حجازية على رأسها الشريف عبدالله، ولكنها عادت دون أن تشتبك معه، فقد رده الأهالي عنها[4].

إلا أن عبدالعزيز لم يرتح، حيث ظلت قضية العجمان تؤرقه، فطلب من شيخ الكويت العون، فمده بقوة صغيرة، حاربت في صف عبدالعزيز العجمان، الذين فرَّ أكثرهم تجاه الكويت، فتبعهم عبدالعزيز، وفي الطريق وهو في أثرهم تخلى الشيخ سالم قائد القوة الكويتية عن مناصرته[5]، وكادت تقع أزمة عندما اغتاظ عبدالعزيز لو لم يزل غيظه سماعه وفاة الشيخ مبارك، وقد عزم أن يدخل هذه المرة للقيام بواجب التعزية والتهنئة معا لخليفة الشيخ الراحل ابنه الشيخ جابر، بيد أن رسولا قدم أثناء ذلك حاملا

---

(١) ابراهيم جمعة، المرجع السابق، ص١٦٤.
(٢) نفس المرجع، ص١٦٤.
(٣) نفسه، ص ١٦٤.
(٤) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٨٠.
(٥) نفس المرجع، ص٣٨٠.

رسالة من المقيم البريطاني العام في الخليج، يطلب فيها الاجتماع به في بلدة القطيف؛ لأن أمورا هامة طرأت يود بحثها معه[1]، وهذا ما سنفصله في الفصل الخاص بالمعاهدات والمؤتمرات.

وفي هذا المقام نود أن نشير بأن حب القبيلة لايعني التعصب لها، فحبها واجب، تحتمه أواصر القربى، والنشأة والإنتماء، وهو حب للأصل والقوم، بينما التعصب ظلم وظلام، واعتداء على الحق، ورفض للتآلف؛ وذلك غير الولاء الصادر عن الحب الصادق للأهل والعشيرة، ففي الحب بناء وتعاون، وفي العصبية القبلية والنزاعات الإقليمية تبديد للشمل، وتقويض للكيانات، وتفتيت للتماسك، حيث يكثر المتزعمون، وتثور الفتن، ولاتفتر الدسائس، وفي هذا ضعف لشأن الأمة، التي يستحيل أن يرتفع شأنها، وتنهض متخطية الصعاب ما لم تحل الوطنية في النفوس محل الإقليمية أو القبلية، ولكن هذا لايمنع ـ كما يبدو ـ من أن يرتبط المرء بأهله وإقليمه وعشيرته، شريطة أن يكون أساس هذا الإرتباط الحب والتواد، لا التعصب والتحيز، حتى يصبح الكيان العام للأمة محفوظا من الأخطار، فتضيق دائرة الولاء بسبب الخروج والتمرد، وخير للإنسان المتميز العمل على تحسين وتطوير مكان إقامته، ورفع مفاهيم قومه وجماعته في إطار الأمة، تبعا للأنظمة، ووفقا لأسلوب السلطة، ليكون بذلك ممثلا لمصلحة فئة أو قطاع تلتقي مع مصالح فئات وقطاعات أخرى، لتصب جميعها في وعاء الأمة مما لايتعارض مع صالح الوطن أو يخل بأمنه.

ومن حسن حظ السعودية اليوم، أن العصبية فيها زالت من غير تنكر للقرية والقبيلة، وهذا مسلك صنعه عبدالعزيز، فانصهرت في بوتقة واحدة جميع القبائل والمناطق، وصار الود بديلا للتنابذ، والكل يعملون في سبيل علو شأن وطنهم، ومما يبهج النفس في الجزيرة العربية، أن الناس فيها صاروا بعد عداء متحابين متآلفين، يذكرون محاسن بعضهم، ويرددون قصص بطولات فرسانهم، وقد كانوا كذلك منذ

---

(١) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص٤٠٢ وما بعدها، ط١.

أزمنة بعيدة، فالخصم العظيم لا أطعن به أو اختلق ما ليس فيه.

حتى هذا الوقت لم يكن عبدالعزيز قد تلقب بالسلطان، وكان اللقب الذي عرف به أسلافه هو «الإمام»، حمله والده عبدالرحمن، وخارج نجد لقبوه بأمير نجد، وبين رعاياه يعرف بـ «الشويخ»، وأحيانا الإمام، ومنحه العثمانيون لقب «الباشوية» مع رتبة البوزارة وأهدوه وساما رفيعا[١]، والبريطانيون يلقبونه بـ «حاكم نجد ورئيس قبائلها»[٢].

هذا فقط للتوضيح، لكي نلتزم أثناء الحديث عنه باللقب الذي يحمله، فالمعروف أنه كان أميرا، فصار سلطانا، وأخيرا أصبح ملكا ـ ان وجدنا هناك ضرورة تحتم ذكره ـ وإلا فهو أكبر من كل الألقاب، والتي ليست غريبة عليه، لكونه سليل أسرة حاكمة، اكتسب شهـرتـه الواسعة من اسمها الرنان، وكان اسمه المجرد الأكثر شيوعا بعدما تفوق، ومثله مثل غيره من أبناء نجد لايلتفت للشكلية، وأحب ما كان يطلق عليه أن يكنى بابنه البكر «تركي».

لم يطرأ على صعيد المعارك في العام الذي تلا فتنة العجمان ما يستحق الإشارة، سوى موقعـة أشـار إليها «بيار روفايل» مع ابن رشيد كتب النصر فيها لعبدالعزيز، وأثارت مخاوف بعض حكام الجزيرة العربية[٣] من قوته العسكرية، وكانت بقية حملاته داخلية الهدف منها تأديب العصاة، والضرب على أيدي المخلين بالأمن، وقد ظهرت في بداية العـام التالي شائعات لاتستند على أسس حول قوة عبدالعزيز العسكرية، وتركزت بالذات على حركة الاخوان التي أسسها، هادفا إلى تآخي المتعادين، وخالقا

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٢٥٥.

(٢) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص٧٩.

(٣) صقر الصحراء، ص٢٥٥.

في عناصرها روحا جديدة تعتمد على المبادىء الاسلامية الصحيحة، وتكتيل الجهود في تجمع حضاري، تتوحد فيه المقاصد، وتتصحح المفاهيم.

راجت الإشاعات عن حركة الاخوان بعيدا عن حقيقتها، فحامت حولها الشكوك، وشعر جيران عبدالعزيز بالخوف، فنشطت التحريات بغية الحصول على معلومات عنها، ووجد الأعداء فرصة للتحريض والتخويف من مرامي صانعها، وقد تصور البريطانيون أنها حركة سرية، محاطة بالكتمان، فاعتبروها مصدر خطورة[1]، بحيث لم تعلم بها الأوساط العربية والدولية إلا بعد قيامها بخمس سنوات[2]، فرأوا فيها تحركا إسلاميا يهدد مصالحهم في منطقة حيوية وهامة، مستغربين أن يتحقق بهذه السرعة تحول بين صفوف البدو، وأن تبلغ المهارة بعبدالعزيز حد تشكيل حركة بهذه الصورة المبهرة، وقد وصفها المندوب السامي البريطاني في القاهرة «ونجت» في خطاب بعث به «لبلفور» وزير الخارجية البريطاني بأنه قد يصبح من الصعب السيطرة عليها بظل القيادة القوية لإبن سعود[3]، وفي رسالة أرسلها الكولونيل «ولسون» للماجور «ونج» يقول فيها: إن اعتدال ابن سعود لايبرر سكوتنا عنه كرئيس لفرقة إسلامية[4]، بل ذهب أحد الكتاب إلى أكثر من ذلك متوهما أن حركة الاخوان تمثل عاملا بلشفيا في الجزيرة العربية[5]، وقد صورها للبريطانيين الشريف حسين بالحركة المستترة بالدين،

---

(١) Telegramme from the Secretary of State for India to the Civil Commissioner, Baghdad, 1st. Oct., 1918, Public Record Office, Mass Foreign Office, Vol. 339, Document No. 159854.

(٢) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص٥٦٦.

(٣) المرجع السابق، ص٥٦٧.

(٤) نفسه، ص٥٦٧.

(٥) Walfgange Von Wessl; Islam Iconoclasts Amakkas Gates, The Living Age (Boston), Vol. 323, Oct. 1924, p. 32.

تغطية لمراميها التوسعية[1]، وفي رسالة بعث بها فيصل بن الحسين للجنرال اللنبي في القاهرة ذكر فيها أن الأغنياء من حركة الاخوان النجدية، تقاسموا مع الفقراء أموالهم، الأمر الذي زعم فيه تهديد الأمن والاستقرار، أنها أكثر الحلقات خطورة من حلقات المخطط الخطير الموجه لبريطانيا العظمى[2].

لقد توجس الانجليز خيفة من حركة الإخوان، ولم يغفلوا عن مراقبتها، ومتابعة تحركاتها، سعيا خلف فهم حقيقتها، ولكن عبدالعزيز من الصنف الحذر، الذين لايفرطون بالمكتسبات، ولايتساهلون بالشؤون المصيرية، فلم يمكنهم من نيل بغيتهم، محتفظا بصداقتهم من منطلق التكافؤ، وكل ما شاع عن حركة الإخوان كان مبعثه الخوف من قوة عبدالعزيز، الذي أرسى في مجتمع بدائي قاعدة حضرية حيث لايمكن أن يقوم فيه مذهب إقتصادي إلا من خلال ما أمر به الإسلام من ضرورة التواد والتعاون، وأن المسلم أخو المسلم في السراء والضراء، وأن للفقير حقا على الغني، حيث نجد أن مساعدة الأغنياء للفقراء لاتدعو للإستغراب، وأيضا لم يقم أغنياء الإخوان بتوزيع الأموال؛ لأنهم لايملكون منها الكثير، فمقياس الغني في المجتمع البدوي هو عدد الإبل والأغنام، وقد قام بعض أغنياء الإخوان بمساعدة إخوانهم بتشجيع من عبدالعزيز، وما فاض عن الحاجة باعوه؛ لأنه وجد في تكاثر قطعان الإبل والماشية عائقًا، يشد تفكير أصحابها نحو البحث عن مراع لقطعانهم الكبيرة، سيما في فصول الربيع التي تغري بالانتجاع حينما لايجدون في المراعي المحيطة بهجرهم ما يكفيها - وإن تكن ضرورية - فليس لحد الإتكال عليها؛ لأن الأرض مزروعة، والمياه متوفرة.

الخلاصة، أن عملية توطين العناصر البدوية المعروفة بالإخوان، وإن اتخذت

---

(١) Habib, john; The Ikhwan Movement in Najd, Ph. D., University of Michigan, 1970, p. 71.

(٢) Letter from Prince Faysal Ibn AlHusain to Sir General Allen By, Cairo British Public Record Office, Mss, F.O. Vol. 4146, Document No. 108194, 1919.

شكل التنظيم العسكري، الدائم التعبئة استعدادا للجهاد، فالأساس الذي قامت عليه القضاء على الحياة الهامشية التي يحياها البدو قبل قيام مستوطنات زراعية، دربوا فيها على أساليب الزراعة، وظهرت فيها ملامح ثقافية؛ وذلك حين دعا الدعاة لتحبيب الحضارة على البداوة، وأن تكون لهم أرض يشدهم إليها ترابها وهواؤها، وأخذوا يدعون إلى فهم الدين، وترك التباغض، وتوثيق الأواصر بالإيمان، وأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

إنها حملة جهزها عبدالعزيز لمحاربة الجهل والعصبية والفوضى من خلال الوعظ عقب كل صلاة، فأقبل الإخوان إقبالا منقطع النظير على الدروس في المساجد والأسواق[1]، وقد فهموا من الوعاظ أن العلم فرض على كل مسلم ومسلمة، وأن طلبه من المهد إلى اللحد، وأن المشقة في سبيله فيها ثواب، وفي السفر من أجله لآخر الدنيا أجر عظيم، وقد فضل الله العالم على الجاهل فقال سبحانه: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾[2]، وأن الرسول ﷺ حبب العلم، وبين قيمته في أحاديث صحيحة، ومن ذلك ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى أني لأرى الري يخرج من أظافري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا فما أولته يا رسول الله، قال: العلم»[3].

ليس هذا سوى غيض من فيض، الهدف منه جمع الصف، والإعتصام بحبل الله امتثالا لقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم، إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾[4].

---

(١) Habib, J., Op. Cit., p. 46.

(٢) سورة الزمر، آية (٧).

(٣) الحسين بن المبارك، التجريد الصريح للجامع الصحيح ص١٦.

(٤) سورة آل عمران، آية (١٠٢).

معركـة تربـة :

لانود أن نشير إلى الأسباب التي أدت إلى وقوع هذه المعركة بين مكة والرياض، مؤجلين ذكرها إلى الفصل المخصص للسياسة الخارجية، ويكفي أن نذكر هنا أن هذه المعـركـة وقعت بسبب الخـلاف حول تبعية واحتي تربـة والخـرمة بين نجد والحجاز والعلاقات القديمة التي تربط نجدا بهما.

أمـا السبب المبـاشر لنشـوب المعركة، فالأخبار التي وصلت عبدالعزيز من أن الشريف عبدالله بن الحسين، عقب استسلام الحامية العثمانية له في المدينة المنورة، لم يتوجه كما هو مقرر لمكة، فجعل بدلا منها وجهته تربة والخرمة، مزهوا بنصره، وتجهيزه العسكري مما استولى عليه من مستودعات الحامية العثمانية، وجيشه الكثيف المكون من القـوات النظامية المدربة إلى جانب مجموعات من البادية[1]، وكان قادة البلدتين قد تركـوهمـا[2]، وذلـك استعداداً لمواجهتـه، وحرصا لصلتهم مع عبدالعزيز، للتمشي بموجب توجيهاته، وانتظار نجدتهم بقوة نجدية تساعدهم على صد الهجوم، وكان على رأس هؤلاء القادة الشريف خالد بن لؤي، وكانت أوامر عبدالعزيز التريث، وعدم البدء بالعدوان، بيد أن وصول الشريف عبدالله لتربة في **٢٤** شعبان **١٣٣٧**هـ/ **٢٤** مايو **١٩١٩**م، واحتلالها داعيا القبائل للطاعة، وتهديده القرى المجاورة[3]، وضع حدا للصبر، فوقع الصدام في اليوم التالي، وكانت قد وصلت قبل ذلك قوة نجدية لنصرة إبن لؤي بقيادة كبير هجرة «الغطغط» سلطان بن بجاد بن حميد.

نشب القتال ليلا، ولم يكد يطلع صباح اليوم الثاني، وقد ظل على قيد الحياة من الجيش الحجازي سوى قائده الشريف عبدالله، وبعض أعوانه المقربين، وبضعة عشر

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٨٣.
(٢) إبراهيم جمعة، المرجع السابق، ص١٧٠.
(٣) المرجع السابق، ص ١٧٠.

ضابطا، ونفر قليل من البدو الذين ضمهم هذا الجيش[1]، فكسب عبدالعزيز عقب هذه المعـركة ماديا ومعنويا، كسب الغنائم الكثيرة، والمعدات الضخمة، والأسلحة الحـديثة، وقضى على أهم عناصر الجيش الهاشمي، وارتفعت سمعته وعلا ذكره، فازدادت هيبته، وتزايد المعجبون به، وعلى إثر هذه المعركة تفاقم الخلاف بين الحاكمين العربيين[2].

إستخلاص حائـل:

الآن عبدالعزيز في أوجه، وشعوره بالتفوق لم يوقعه في مغبة الغرور، بل زاده ثقة بالنفس، وشجعه على ضرورة القضاء على الأرق الذي طال أمده في شمال نجد، فلا بدَّ من الحسم، إذاً، فالواجب يحتم انقاذ هذا الجزء المعذب بحكم ظالم يتلاعب في مصير أهله الأنسباء ونساء القصور والعبيد، ففسد الرأي، وتردت الأحوال، وصارت السلطة نهبا بين موتور، ومسلوب الحكمة، ومريض بالعظمة، وطامع همه مصلحته الذاتية، مما دعا عبدالعزيز إلى التفكير الجدي في الإجهاز على الوضع القائم، فخطا خطوة الإنقاذ التمهيدية، اعتبارا من أواخر العام **١٣٣٩هـ/١٩٢٠م**، فشن غارات ناجحـة على أطـراف حائل، وإحكاما لما هو مقدم عليه من عمل وطني تتحقق فيه الكينـونـة النجـدية تامـة غير منقـوصة، أقر مؤتمر عقد في مدينة الرياض في صيف **١٣٣٩هـ/١٩٢١م**، حضره أركان الأسرة السعودية، وكبار علماء الدين والقبائل[3]، أقر مبايعة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، سلطانا على نجد وتوابعها[4]، وها هي حائل أمام السلطان قاب قوسين أو أدنى، فحليفتها الدولة العثمانية هزمت في الحرب، وحكامها أمام موقف حرج وصعب، فراحوا يطرقون أبواب الانجليز والأشراف بغية

---

(١) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص٢٢٤، ط ٢.
(٢) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٨٣-٣٨٤.
(٣) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص٣، ط١.
(٤) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص٧٩.

حمايتهم منـه، وهذا ما سنرجىء استكماله في موضع آخر، ويكفي أن نذكر هنا بأن السلطان عبدالعزيز، قد تأكدت في ذهنه ما هي عليه أوضاع حائل، ولم يعد يخفاه فيها سر، فضمن بإيمانه، ودقة معلوماته، ومهارة تخطيطه، وحسن تدبيره، ضمن الإنتصار، فكان التحرك نحوها، بعدما بلغت أوضاعها الداخلية غاية السوء، وسالت الدماء، وكثـرت الاغتيالات، فهذا الأمير يقتله إبن عمه الذي يقتله في نفس اللحظة عبيد المغدور، فيتولى الإمارة أمير يسجن أخاه[1].

قلق لايكاد ينقطع، وتوتر مستمر، وعدم إحساس بالأمان أو ثقة بأقرب الناس، فقـد عاشت المدينة في رعب، وما عانت من صراعات لاطائل من ورائها، وسادتها الفـوضى، فباتت تنتظر المنقذ الذي وجه لنجدتها قوة مؤلفة من ستة آلاف مقاتل، قادهم الأميران سعود بن عبدالعزيز، ومحمد بن عبدالرحمن، وكانت الخطة المرسومة للقوة أن تنقسم إلى قسمين: قسم بقيادة الأمير سعود مهمته مشاغلة القبائل الشمرية الموالية لابن رشيد في جبل شمر، وقسم بقيادة الأمير محمد لمحاصرة المدينة، وذلك في أيام عبدالله بن متعب الرشيد، ونظرا لأن حصار المدينة طال بعض الوقت، فقد عاد الأمير محمد للرياض، وظل الأمير سعود بن عبدالعزيز مرابطا على أسوار المدينة قرابة شهرين، سنحت خلالهما فرصة لأمير حائل لم يساعده تفكيره الضعيف على إنتهازها، حين طلب الصلح من السلطان عبـدالعـزيز، الـذي وافقه عليه شريطة تخليه عن الشؤون الخارجية، والإكتفاء بالشؤون الداخلية[2]، وأخيرا ينتهي به الأمر إلى اللجوء لعبدالعزيز خوفا من إبن عمه القادم إليه من الجوف بحجة معاونته، والحقيقة التي فطن إليها اللاجىء أن مقصده قتله، والإستيلاء على الإمارة، وإسم إبن العم هذا محمد بن طلال[3]، وهو من الرجال المشهود لهم بالشجاعة، وقوة الشخصية، ولكن ليس معه ما

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٨٤.
(٢) إبراهيم جمعة، المرجع السابق، ص١٧٢.
(٣) حسن حسن سليمان، الأمير عبدالعزيز بن مساعد: حياته ومآثره، ص٨٨ ـ ٨٩.

يمكن أن يعمله حيال ما آلت إليه حائل، فقد كان كل شيء يسير ضده، والرجل الذي يواجهه ليس رجلا عاديا كما أثبتت التجارب، فعبدالعزيز قد ظهر في زمانه الأشجع والأقوى والأبرع بين حكام العرب.

عاد سعـود بن عبدالعزيز بالأمير الشمري اللاجىء إلى الرياض، فتأجل فتح حائل بعض الوقت، ولكن السلطان عبدالعزيز لم يكن غافلا عنها، فسير حملة بقيادة أمير بريدة فهد بن معمر حاصرتها من الشمال، غير أن هذا وقع في كمين راح ضحيته، فاستطاع إبن طلال دخول المدينة، فسارع السلطان عبدالعزيز مرسلا قوة من الإخوان بقيادة فيصـل الـدويش لمحـاصرة ابن طلال فيهـا، بيد أن الأخير خرج منها لملاقاة الـدويش، وكـانت الغلبـة له في البداية، ولكنه لم يلبث حتى مني بالهزيمة، وكان السلطان عبدالعزيز قد خرج من الرياض بغية الإنتهاء من حائل على رأس عشرة آلاف مقاتل، ومع من انضم إليه في القصيم، ويبدو أن عبدالعزيز كان مصرا هذه المرة على تخليص حائل، حيث رفض كل ما قدم له من عروض، ووجه إنذارا لأهاليها مدته ثلاثة أيام، فإما أن يستسلموا وإما أن يتحملوا ما يصيبهم[1].

لم يكن أمـير حائـل الجـديد قاصرا توجهه إمرأة، أو ضعيفا تتلاعب به حاشية متباغضة، فقاوم مقاومة الأبطال، وتعامل مع أعدائه معاملة الرجال، وفهم وتفهم، وعقل ولم يضعه الخيال، غير أنه لم يصل في فكره ما كان السلطان عبدالعزيز قد وصل إليه، فالوحدة ضرورة، وفيها القوة، ومنها ينبثق التآلف، ويتلاقى الجميع على صعيد طيب، وتتسامى من كل ذلك نهضة الأمة.

المهم ضاق الحائليون بالحصار، واستجاب أعيانهم لمطلبهم بضرورة البحث عن

---

(١) حسن حسن سليمان، كتابه السابق، ص ٩٠-٩١.

منفذ، ولما وجدوا أن في العناد عبثا، طلبوا السلامة والأمن، وعبدالعزيز من الرجال الذين رغم العداء، والبيئة القاسية، قد عرف عنه إلتزامه بالعهد، وحبه للعدل، وكان إنسانا رحيما يعين ولا يؤذي، ولكنه لايرحم المعتدي أو يتهاون بالحق، ويحتمل أيضا أن من بين هؤلاء الأعيان، من رأى مجال تطلعاته في اكتمال قوته، وهذا لايمكن تحقيقه بغير تجميع الجهود، في ظل قيادة رشيدة، وحاكم مستنير، ورجل قوي، وكل ذلك متوافر في شخصية السلطان عبدالعزيز، فأيقن محمد بن طلال بن رشيد في استحالة المقاومة، فاستعد للتسليم بعد أن حكم مدة أربعة أشهر[1]، قضاها في جهادٍ مع النفس، والحاشية والأعيان، وجند عبدالعزيز.

ولكنه قبل أن يستسلم اشترط أن يكون ذلك على يدي أحد كبار الأسرة السعودية الحاكمة، فأجيب لطلبه رغم التحذيرات من الخديعة، لئلا يتخذه إبن رشيد رهينة[2]، بيد أن الثقة في الرجال، والتضحية مهما فدحت في سبيل قضية، وجرأة آل سعود، جعلت عبدالعزيز يوافق بعد إستعداد ابن عمه عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي أن يكون المندوب السلطاني، فاستسلم على يديه إبن رشيد[3]، فتمت بهذا وحدة نجد، في ظل زعامة رجل متفوق استهدف جمع الشمل، وتكتيل القوى، ظافرا بما عجز عنه غيره، وذلك في **٢٩** من صفر **١٣٤٠**هـ/**٢** تشرين الثاني «نوفمبر» **١٩٢١**م[4].

هذا ولايبدو أن ما قام به عبدالعزيز، استطاع القيام به زعيم عربي حتى الآن، فقد قرن قوله بالعمل، ولم يتحدث عن قضية إلا عمل من أجلها، وعالج المثار في زمانه بروية دون طول إنتظار، فأعطى مثلا في الحكم، وصار مهابا دون غرور يجهز على منجزاته.

---

(١) إبراهيم بن صالح عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٢٠٢.
(٢) حسن حسن سليمان، كتابه السابق، ص٩٢.
(٣) المرجع نفسه، ص٩٣.
(٤) أمين الريحاني، نجد الحديث، الطبعة الأولى من الأعمال العربية الكاملة، ص٢٨٣.

المهم، أن الاستيلاء على حائل يعني دخول توابعها في طاعة عبدالعزيز، وان لم يتحقق ذلك بسهولة، فسيرت الحملات، ولكنها لم تجد صعوبة، فدخلت الجوف وسكاكا، وامتد النفوذ حتى شمل قريات الملح ووادي السرحان[1].

بعد إتمام الإستيلاء على حائل وما يتبعها، لابد من عودة السلطان لعاصمة حكمه، فجرى التشاور حول من يوليه حائلا ليحكمها باسمه[2]، وكان الإختيار صعبا، فحائل رغم أنها تابعة لآل سعود في نجد، فقد مرت في فترات إنفصال، وأطولها أيام آل رشيد، وهؤلاء كانوا قد حكموا نجدا كلها، فمهما لحق بهم، ومهما صاحب حكمهم من ظلم وتفكك، فلهم أعوانهم، وحكم عبدالعزيز في حائل بدأ، والبداية دائما بحاجة للتأكيد، لكي تتوطد أركان الحكم الجديد، وأيضا الحكمة تفرض على صاحبها كسب القلوب، وفي حائل أعيان ساعدوه على دخولها، ولكنه أيضا إن أكرمهم، ووثق بهم، فحكم المدينة وتوابعها يحتاج لرجل من خاصة السلطان، أو جنوده البواسل، أو أحد أخوته أو أقاربه.

لم يطل عبدالعزيز البحث عن الرجل المناسب لحكم حائل، فقر قراره على أحد كبار أعيانها، المعروفين بحسن التدبير، والمتصلين بالنسب للعائلة الرشيدية، ومن الذين وجدوا عدم جدوى الدفاع عن المدينة أثناء حصارها، فتعاون مع عبدالعزيز، رحمة بالأهالي الذين ضاقوا بالحصار، وهو إبراهيم بن سالم السبهان[3]، تكريما لحائل في شخصه، وحتى لايشعر أهلها بغربة الحكم، بالرغم من أن ذلك قد لاينطبق عليها، غير أن عبدالعزيز، من الصنف الذي لايريد إثارة الحزازات، ويتجنب التضييق على محكوميه؛ لأنه رحب التفكير، لاتتملكه نزعة إقليمية، ولكنه دائم التحرز، يحسب حساب الدقيق والجليل.

---

(١) إبراهيم جمعة، المرجع السابق، ص١٧٤.
(٢) حسن حسن سليمان، كتابه السابق، ص٩٦.
(٣) إبراهيم جمعة، المرجع السابق، ص١٧٤.

وحتى أيضـا يضبط شؤون حائل أكثر، من غير مباشرة بالمراقبة، ربطها بإمارة منطقة القصيم التي تولاها ـ آنذاك ـ إبن عمه القوي الأمير عبدالعزيز بن مساعد[1]، وبعد مضي مدة رأى تنصيب الأخير حاكما مطلق الصلاحيات على جميع مناطق نجد الشـمالية، فصـار باسم سلطانـه يحكم رقعة واسعة تشمل حائل وجميع جبل شمر، والقصيم والحدود الشمالية، وخيبر وتيماء وتبوك وما يتبع هذه المناطق من بلدان وقرى وهجر، وقبائل، فاتصل بالعراق والكويت من الشمال الشرقي، والأردن من الشمال الغربي. يديرها جميعها من مقره الجديد في مدينة حائل، رفعا لشأنها، وتقديرا لسكانها.

إن لدخول حائل في طاعة عبدالعزيز دلالات كثيرة منها: وحدة نجد، والقضاء على خصم عنيد، واجتياز عقبـة كأداء، والإنتهاء من شأن حياة حفلت بالدسائس والتآمر، والإغتيالات، والإعتداءات، وتحكم النساء، وتسلط الحاشية، وقبل كل ذلك إزدياد أهمية سلطان نجد المطلق، وخشية الإنجليز والأشراف منه، وذيوع صيته، ومن هنا تأكد ما كان حدسا وتحققت ظنون مراقبي ومتابعي الأحداث في الجزيرة العربية من أن عبـدالعـزيز آل سعود بات بحق رجل المستقبل العربي، فعلى الأحرار من رجال العـروبـة في شتى أقـطارهم أن يتحركوا لتنشيط قضاياهم المصيرية، وعلى المحتلين وأتباعهم أن يحولوا دون تحقيق التطلعات العربية الطموحة، الممثلة في شخص سلطان نجد، الذي بدأ مهددا لمصالحهم، ومفسدا لمخططاتهم.

لقد بدأ الصراع، صراع المطالب الوطنية العربية، والمطامع الإستعمارية، ولم يشأ عبدالعزيز خوضه من غير استعمال الحكمة فصبر وعمل واستعد، وأخيرا حدد موقفه وثبت على مبادئه فانتصر.

ودعما لهذا النصر، وتأمينًا لكيانه، وتأديبا للزعامات القبلية المتذبذبة الولاء، لاسيما

---

(١) حسن حسن سليمان، كتابه السابق، ص٩٦.

تلك التي تجد محرضًا، وأحيانا نصيرا من الحكومات المجاورة لعبدالعزيز، قضى عبدالعزيز على تطلعات شيخ مشائخ قبيلة «الرولة» السورية النجدية في الجوف، ولم يكتف بذلك، فتقدم ليسيطر على خيبر وتيماء القريبتين من الحجاز، فصار بهذا سيد نجد المطلق، فخضعت له باديتها العظيمة، وحاضرتها العريقة، وانضوت تحت لوائه مدنها وقراها، وجبالها وسهولها، وواحاتها وصحاريها، فامتد نفوذه من العراق والأردن حتى الربع الخالي، ولكنه مطوق بدول شريفية معادية من الشمال والغرب.

هذا وقد أشرنا إلى مبايعة عبدالعزيز بالسلطنة على نجد قبل إستخلاصه حائل، ويبقى لنا أن نضيف هنا بأن بنواميشان في كتابه «سيرة بطل، ومولد مملكة»، ربط متفردا أن مبايعته تمت بعد السيطرة على حائل، مرجعا ذلك لأهمية سقوطها، واعترافا له بالجميل نودي به سلطانا على نجد[1] ونحن في هذا فهمنا من تاريخ يوم المبايعة من المصادر الموثقة بالمعاصرة للأحداث بأن مبايعته كانت قبل سقوط حائل، نورد نصا صريحا لفيلبي، حيث يقول: «قبل حملة حائل، كان إبن سعود قد عقد مؤتمرا ضم زعماء القبائل، والممثلين البارزين من علماء الدين والفقهاء، لبحث وضع البلاد، ووافق المؤتمر على إقتراحه الرامي إلى إعلان نفسه سلطانا على نجد، وما يتبعها لإعطائها كيانا دوليا، كما هي الحال بالنسبة لجاراتها»[2].

صحيح أن سقوط حائل في غاية الأهمية، وكان مطلبا حيويا، لعبدالعزيز، أضاف مجدا جديدا، وأعطاه سلطة أوسع، غير أن هذا لايعني أنه لم يكن من قبل قد اكتسب أهمية في سيطرته على رقعة واسعة، وأثبت جرأة نادرة في الإقدام، وجدارة في التفاوض حول العديد من القضايا المهمة، وقد أضفت عليه معركة تربة الهيبة فضلا على أن فيلبي يعتبر من معاصري عبدالعزيز، الذين كانوا غير بعيدين عما يجري في زمانه،

---

(١) ترجمة عبدالفتاح ياسين، ص١٤٩.
(٢) كتابه السابق، ص٣٣٠.

والمصادر والمراجع الأخرى تكاد تجمع على أن المبايعة وسقوط حائل تما في عام واحد، وتاريخ البيعة سبق تاريخ السقوط.

ضم عسير السراة:

المنطقة الداخلية الجبلية من عسير تسمى عسير السراة، والمنطقة الساحلية تسمى «تهامة عسير»[1]، وحتى هذا الوقت لم يكن قد جاء دور الأخيرة، والأولى قاعدتها أبها، آل حكمها عقب هزيمة الدولة العثمانية في الحرب الأولى إلى نائب متصرفها العثماني من آل عائض، غير أن الإدريسي تغلب عليه، فضم ما بيده إلى ممتلكاته، فثار ضده ولم يستسلم، مستنجدا بالملك حسين، ولم يكن أمام قبائل عسير لتخليصهم من ظلم ابن عائض سوى عبدالعزيز الذي جهز حملة مكونة من ألفي جندي، على رأسهم أحد أبناء عمه المشهود لهم بالبسالة، وهو عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، الذي استطاع في موقعة «حجلة» بين أبها وخميس مشيط إنزال الهزيمة بجيش آل عائض، فدخل السعوديون عاصمة عسير، وواصلوا انتصاراتهم حتى دانت لهم عسير السراة كلها، واستسلم كبيرها وابن عمه، فبعث بهما القائد السعودي للرياض، وقد عفا عنهما السلطان عبدالعزيز، وبعد شهر من الإقامة في الرياض عادا لعسير التي حكمت مباشرة من السعوديين بشخص أحد الولاة، ويبدو أن حسن بن عائض[2]، عز عليه سلب سلطانه رغم أنه عاهد، ووجد الحفاوة وأجيبت جميع طلباته، فخان العهد، ولم يرع الجميل، فاتصل بالملك حسين في مكة، وطرد الوالي السعودي، فلم يسع السلطان عبدالعزيز حيال ما قام به ابن عائض إلا أن يجهز جيشا قاده إبنه الأمير فيصل، تمكن من إعادة الأمور إلى نصابها في شوال **١٣٤٠**هـ يونيه **١٩٢٢**م[3].

---

(١) مصطفى مراد الدباغ، الجزيرة العربية، ج١، ص٢٠٧.

(٢) إبراهيم جمعة، المرجع السابق، ص١٧٤.

(٣) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص١٤٨-١٤٩.

فتح الحجـاز:

كان السبب المباشر في صدام نجد بالحجاز منع الملك حسين أهل نجد من الحج، ولكون الحج فريضة فلا رضوخ إلا لله، والله يأمر به، وقد طال المنع، ولم تؤد المفاوضات إلى نتيجة، وحلاً للإشكال، لجأ السلطان عبدالعزيز للعلماء، فأفتوا بالتأجيل مادام يحتمـل من ذلـك حدوث ضرر، ولكن الكثيرين تساءلوا عن الضرر الذي سيسببه المسلم النجدي، فهذا بيت الله، وهو ليس ملكا لحسين، فلا بد من تأدية فريضة الحج[1].

لقد عرف عبدالعزيز ما لم يعرفه المصرون على الحج من أن الملك حسين ليس وحده، ولكنه كان قد سئم تصرفاته، وبلغ ضيقه قمته حين استغل حسين فرصة إلغاء الخلافة العثمانية، وتحويل مصطفى كمال تركيا إلى دولة علمانية، فأعلن نفسه خليفة على المسلمين[2].

المهم، عزم السلطان عبدالعزيز على غزو الحجاز بعد استنفاده كل الوسائل، وعبأ نفسـه محتاطا مما يحتمل وقوعه من جاريه ابني ملك الحجاز، فسير فرقة رابطت على الحدود العراقية، وأخرى على الحدود الأردنية، والجيش الرئيس توجه للحجاز[3].

عبر سلطان بن بجاد بن حميد زعيم الغطغط على رأس ستة عشر لواء، واجتمع بأمير تربة والخرمة الذي عقدت له القيادة العامة وهو الشريف خالد بن لؤي، وفي الطريق انضم بعض فرسان القبائل لهذا الجيش، الذي عند اقترابه من مدينة الطائف

---

(١) Armstrong, H.C., Lord of Arabia, p. 128.

(٢) Ibid., p. 130.

(٣) Ibid., p. 134.

التقاه ولي عهد الحجاز الأمير علي بن الحسين على رأس قوة حجازية كبيرة، ولكنه لم يستطع الصمود طويلا أمام الهجوم النجدي الصاعق، فترامت أخبار الهزيمة إلى أسماع سكان الطائف، وكان الفصل فصل صيف، ففر كثير من أهل المدينة والمصطافين بها هلعا[1].

طاردت القوات السعودية القوات الحجازية حتى لهدا، حيث لحقت الأولى بالثانية والتحمت القوتان، بيد أنه سرعان ما تراجعت القوة الحجازية، فاتجه قائدها الشريف علي رأسا لجدة متجنبا الوقوف في مكة، حتى يتجنب سخط والده معتبرا الرأي فوق شجاعة الشجعان[2].

في هذا الوقت كانت مكة مزدحمة بالحجاج من شتى أنحاء العالم الإسلامي التي تركها معظمهم بعدما سمعوا أنباء هزيمتي الجيوش الحجازية، وفرار قائدها[3]، خوفا من أن ينشب القتال فيها، غير أن السلطان عبدالعزيز الذي وضع خطة الهجوم، وزود قادة الجيوش بتعليمات حذرهم من مخالفتها[4]، عندما علم بالانتصار النجدي، أصدر أوامره بعدم دخول مكة؛ لأنه لايريد إنتهاك المقدسات[5]، وعند قدومه الحجاز انتظر حتى انتهى موسم الحج[6].

---

(١) Armstrong, Op. Cit., p. 134.

(٢) Ibid, p. 134.

(٣) فيلبي، تاريخ نجد، ص٣٣٦.

(٤) بيار روفايل، صقر الصحراء، ص٣٠٦.

(٥) Armstrong, Op. Cit., p. 134.

(٦) بيار روفايل، كتابه السابق، ص٣٠٤.

وفي أثناء فترة الإنتظار هذه، أعلن الملك حسين أنه لن يبرح مكة متظاهرا بعدم الإهتمام، وقد أعد قوة لمواجهة عبدالعزيز هزمت، فرأى عبث بقائه في مكة، فانتقل لجدة، ملتمسا عون حليفته بريطانيا، التي كانت قد سئمت تصرفاته، مدعية أن النزاع ديني لاتستطيع التدخل به ما لم يسألها الفريقان، ولم يكن عبدالعزيز في حاجة لمن يحكم بينه وبين الحسين، فطلب عدم التدخل(١)، وليتركوه والملك حسين، وهو مستعد لتحمل النتائج(٢).

وهنا نحب الوقوف قليلا عما سمي بمذبحة الطائف، فقد بولغ فيها؛ لأن الجيوش السعودية دخلت المدينة دون قتال، وكل ما زعم بأنه مذبحة مصدره الإنجليز والأشراف، والذعر الذي شعر به أهلها، طبيعة إنسانية، وهذا لايعني أنه لم يوجد بين الإخوان بعض المغالين الذين ارتكبوا بعض الأخطاء، والتي لم يرض عنها عبدالعزيز، ولكنهم أيضا مؤمنون، والمؤمن لاينزع الله الرحمة من قلبه ـ وإن حدثت مخالفات ـ فهذه فردية غير مسؤولة، ومعلوم أن حالات الحرب في كل زمان ومكان تجري فيها الفظائع إن قصدا أو اضطرارا.

هذا وحيال هذه الأحداث غير العادية، تنازل الملك حسين مضطرا عن العرش لإبنه علي، تاركا المقاومة له(٣)، بعدما أبحر للعقبة التي حذره الإنجليز فيها من عدم قدرتهم على حمايته، بحجة أن الوقت غير كاف لإستدعاء قوات بريطانية للتمركز، فرحل لقبرص(٤) وكان عبدالعزيز قد دخل مكة صلحا.

---

(١) جروج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة: ناصر الدين الأسد واحسان عباس، ص٤٥٥.

(٢) Armstrong, Op. Cit., p. 135.

(٣) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٢٦٨.

(٤) فيلبي، كتابه السابق، ص١٣٣٦.

حصار جدة:

عقب تنازل الشريف حسين لإبنه عن العرش، قام الأخير بتأليف حكومة حرب أوكل إليها مهمة مواصلة المقاومة ضد قوات السلطان عبدالعزيز، الذي وجد نفسه أمام موقف صعب ودقيق[1]، وأول مشكلة واجهته انبعثت من بين جنوده، الذين رأوا في استعمال الهاتف مخالفة للشريعة، فضحى به حرصا منه على جمع الكلمة ووحدة الصف، رغم أنه مهم في عملياته العسكرية، والثانية تحصن الملك علي في جدة واستعداده للقتال بعد تجميع قواته، والثالثة إمداد حسين لإبنه من منفاه في العقبة بالأموال، وبعث أخيه أمير الأردن الرجال[2]، والمشكلة الرابعة أنه لابد لعبدالعزيز من الإعداد لفتح ما تبقى من الحجاز، وتأديب قبائله التي اعتادت الفوضى، وإن انصب جل اهتمامه على جدة، فإنه لم يهمل بقية الأجزاء، واشتد في الضرب على أيدي القبائل العابثة بالأمن، والمعتدية على قوافل الحجاج، وأيضا استعد لتأمين طرق الحج، واستقبال الحجيج[3].

استمر حصار جدة مدة عام، تخلله استسلام المدينة المنورة دون إراقة دماء على يدي الأمير/ محمد بن عبدالعزيز[4]، ونجاح أول حج برعاية عبدالعزيز، ونزوح كثير من أهل المدينة طلبا للنجاة من المعارك الطاحنة، وصيام شهر رمضان الذي توقف خلاله القتال، وإنقطاع إمدادات حسين بعد رحيله لقبرص، وفتك الوباء بالرجال الذين أرسلهم لمساعدة أخيه الأمير عبدالله بن الحسين[5].

---

(١) أحمد حسين، مشاهداتي في جزيرة العرب، ص٣٤١.
(٢) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص٣٦٤، ط١.
(٣) فيلبي، تاريخ نجد، ص٣٣٩.
(٤) فيلبي، المصدر السابق، ص٣٣٩.
(٥) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٣٦٠ وما بعدها، ط١.

المهم، أن جدة ضاقت بالحصار، ولم تجد جميع وسائل الملك علي ومن معه سبيلا لرفعه، وقد خطا عبدالعزيز خطوات إيجابية في سبيل تحقيق السلام، فأمن، وعفا، وساعد، وعطف، ولكن رغم استجابة أغلب الأهالي، ورغبتهم في التغيير، تخلصا من ضعف الحكم، وتسلط فئة قليلة عليهم، رغم ذلك أصر الملك علي مغررا من قبل مستشاريه على المقاومة.

عندئذ لم يجد عبدالعزيز غير الحسم، بعدما شح الماء، وقل الطعام في جدة، فقدمت من الرياض قوة إضافية كبيرة بقيادة إبنه الأمير فيصل، فازدادت المعارك ضراوة، التي لم يستطع الملك علي الصمود أمامها طويلا، فاستسلم طالبا الرحيل لأخيه ملك العراق، فذهب إليه بحرا عن طريق عدن، راضخا لما اشترطه عليه عبدالعزيز، فلم ينقل معه الأسلحة أو ما يخص الحكومة الحجازية من العدد الحربية، والذخائر والطائرات، فاقتصر ما نقله على أمتعته الشخصية[1]، وقد ضمن عبدالعزيز للموظفين من مدنيين وعسكريين، والأشراف والأهالي سلامتهم، وسلامة أموالهم، وأعلن العفو العام، وتعهد بترحيل الجند الراغبين في العودة لأوطانهم[2].

دخل إبن سعود مدينة جدة يوم الخميس الواقع في ٨ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/٢٤ ديسمبر ١٩٢٥م، فأصبح والحالة هذه سيد جزيرة العرب[3]، فأعد نفسه إعدادا كاملا لتحمل حكم أطهر بقعتين إسلاميتين، فبويع ملكا على الحجاز في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/٧ يناير «كانون ثاني» ١٩٢٦م، مستعدا لتحمل كافة المسؤوليات.

---

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ٣٦ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ط ١، ص ٢٢٤، ط ٢.

(٣) أحمد حسين، كتابه السابق، ص ٢٥٦.

الآن عبدالعزيز ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، فبلغ أوجه، وهو في قمة نشاطه، وعز رجولته، وتمام فخره بجلائل أعماله ـ وإن انتعش بنصره في الحجاز ـ فقد وجد أن مسؤوليته تفرض عليه التصرف الذي يبعده عن الإنتقاد، وقد دانت له معظم أرجاء الجزيرة العربية[1].

بعد أن تأكد الملك عبدالعزيز من أوضاع الحجاز، وقام بتنظيم شؤونه، وتعرف على أحـوالـه، وطبيعة أهله، وفهم مشكلاته، وعلم احتياجاته، عاد بعد أن قضى عامين لعاصمة ملكه، ليفرح به أهله الذين اشتاقوا إليه، ويحتفل به شعبه في وسط مملكته، الذين لم يعودهم غيبة طويلة كهذه.

لم يكن الوقت قد حان عند عودة الملك عبدالعزيز للرياض لجمع مملكة الحجاز، وسلطنة نجد في تنظيم إداري واحد سوى ما يمثله شخصه، وإن بدا ذلك من الوجهة القانونية لا الواقع[2]، فنجد والحجاز جارتان، وفي أغلب الأشياء متقاربتان، ولم تنقطع صلتهما ببعضهما عبر التاريخ، بيد أن ذلك لم يمنع عبدالعزيز من أن يستجيب لمطالبة النجـديين، فيعلن نفسه ملكا على الحجاز ونجد في **٢٥** رجب **١٣٤٥**هـ/ **١٩** يناير **١٩٢٧**م فبلغت الدول الأجنبية بهذا[3].

---

(١) أحمد حسين، المرجع السابق، ص **٢٥٧**.

(٢) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص**٨٥**.

(٣) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص**٣٩٤**.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

تثبيت الكيان

- قيام هيئات الأمر بالمعروف.
- الأخوان والحياة الحديثة.
- ١ - قوات الجهاد - ٢ - قوات الرديف - ٣ - قوات النفير
- إبن رفادة والأدريسي.

لقد قام الكيان الكبير، فتحقق بقيامه جزء من أمنيات العرب الغالية في الوحدة، وانتعشت الآمال الإسلامية في إصلاح شأن الحرمين الشريفين، وبدأت بالفعل منذ أول يوم دخل فيه مؤسس هذا الكيان مكة بوادر الجدية في معالجة القضايا الداخلية والخارجية، ففتح أبوابه للجميع، وتحدث بصراحة، شارحا أهدافه، ومبينا أسباب اصطدامه بالحسين، وجامعا الوجهاء والأعيان لبحث احتياجات الأراضي المقدسة، ومستقبلا أصحاب الشكاوى والحاجات، وضاربا على أيدي المخلين بالأمن فأستتب، والمتلاعبين بالأقوات، وأهل الغش، فاستقرت أحوال الكيان في جميع أرجائه المترامية الأطراف، والملك عبدالعزيز كان يعلم أن أهم جزء فيه الحجاز، لكونه مقر الحرمين، ومحط أنظار المسلمين في كل جهات المعمورة، وأنه الأكثر تحضرا وانفتاحا على العالم لوجود الجاليات الاسلامية الكبيرة فيه من شتى الأصقاع، ولتردد المسلمين عليه بقصد الحج والعمرة والزيارة، ولأنه المكان الذي تتواجد فيه الممثليات والمعتمديات الأجنبية، ويؤمه المفاوضون، وأصحاب المصالح[1].

وإننا في هذا في الفصل سنقصر حديثنا على من لم يرضهم ما جدَّ على الساحة في الجزيرة العربية، مرجئين الحديث عن الصعوبات التي واجهها الملك عبدالعزيز، نتيجة الظروف الصعبة التي تعيشها بلاده إلى موضع آخر من هذه الدراسة؛ لأنها كثيرة تحتاج لفصل مستقل، وهؤلاء الذين خصصنا لهم هذا الفصل، كاد بعضهم أن يشكل عائقا في مضي عبدالعزيز، في مخططه الرامي إلى لمّ شتات معظم أبناء الجزيرة، وهذا أمر حدوثه في البدايات طبيعيّ، كما أن نيل رضى الناس جميعا غاية لاتدرك، ففيهم ضعيف العقل الذي لايستطيع التمييز، ومن لايجد رزقه إلا بظل الفوضى، ومنهم المغالون، وبعضهم مفتون بالإنقسام لاتظهر سلطته بغيره، بالإضافة إلى الساعين لمصالحهم الذاتية، والنادمين على زوال عدوانيتهم، والمغرر بهم من البسطاء،

---

(١) أنظر رسالتنا في الماجستير عن (التطور الثقافي للدولة السعودية المعاصرة ١٩١٥-١٩٣٢م)، مقدمة لقسم التاريخ - كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص٢٢، «لم تنشر».

والمجتهدين دون علم أو فهم للحقيقة.

قيام هيئات الأمر بالمعروف:

ولدت هذه الهيئات لتأكيد قوة السلطة السعودية الوليدة في الأراضي المقدسة، ولتأمين الأهالي والحجاج والوافدين من الاعتداءات، ولحفظ النظام، وسيادة الشريعة، وحماية الأموال والممتلكات، وطمأنت كل المواطنين في مدن الحجاز وقراه وباديته، بأن السلطة ساهرة لاتنام، تحرص على العدل، ولاتميل إلا مع الحق.

منشأ هذه الهيئات كان السبب فيه عنف وشدة الإخوان عند دخولهم الحجاز، الذي رأوا فيه ما لم يألفوه؛ نظرا لأوضاعه المختلفة، فظنوا أن كل من يختلف معهم ليس على صواب، واعتقدوا عن حسن نية أن كل مظهر لايتفق مع ما هم عليه منكر من الواجب إزالته، وهذا صحيح، بيد أن المشكلة في معرفتهم الناقصة، فنصب كل واحد منهم نفسه حاكما، فأخذوا يضربون المدخنين، ومرتدي الأزياء الغريبة عليهم، ويقبضون على المجتمعين لذكر أو تلاوة على إعتبار أنها بدع لم تكن موجودة أيام السلف الصالح، الأمر الذي وجد معه عبدالعزيز ضرورة إيقافهم عند حدهم، حرصا على راحة الحجازيين، وخوفا من أن تمتد أيديهم إلى الحجاج، مما قد يعرض علاقاته مع الدول للتوتر، وهو الذي يسعى من أجل كسب السمعة الطيبة، وثقة المسلمين، وإظهار القدرة على الضبط والربط، والعمل على جعل الحج في أحسن صورة[1].

هذه التصرفات وضع لها الملك المؤسس حدا، فبادر، معيّنا مجموعة من حرسه الخاص الأشداء، المعروفين بالمرونة، ودماثة الأخلاق والورع، والطاعة لولي الأمر، وضع هؤلاء الحرس الذين هم محل ثقته، لتأديب كل من تخوله نفسه تجاوز حدوده،

---

(١) Howarth, David; The King of Desert, p. 259.

وعـين قاضيا للنـظر فيما يحدث من تعـديات الإخوان، وممارسات الأهالي والوافدين لبعض العـادات المخـالفـة لحقيقة الدين، ومما يمكن إعتباره نوعا من البدع، فمن واجبات الملك الأساسية حماية الدين منها، ولكن بالموعظة الحسنة، والحجج الشرعية[1].

هكـذا ابتـدأت هيئـات الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدولة السعودية المعـاصرة، ومـع مرور الأيام، غدت هذه الهيئـات، مؤسسـة رسمية كبرى، تمتـاز بشخصية معنوية فريدة، تعاقب على رئاستها رجال كبار في عقولهم، وثقافتهم الدينية، ومشهـود لهم بالتقـوى والصـلاح، وهـذه الهيئـات تعتـبر في مثابة الحسبة في النظم الإسلامية، وقد تطورت تطورا ملحوظا، فأخذت تراقب الأسواق دون شدة إلا حين يتطلب الموقف ذلك، وهي في تقدم من حسن إلى أحسن.

الإخوان والحياة الحديثة:

إن الحديث عن حركة الإخوان النجدية السلفية، التي أسسها عبدالعزيز في مطلع هذا القرن، يطول كثيرا، وهذه الحركة لازالت في حاجة إلى أبحاث مستقلة، لأنها كانت فكرة رجل عبقري، لايساويها إلا تصفيتها بعدما يقرب من عشرين عاما[2]؛ وذلك عندما كاد كثير من أعضاء هذه الحركة، يحولون بينه وبين الإستقرار، وإحترام الدول، ويحاولون تغيير الأوضاع، وسلب المكتسبات العسكرية والحضارية والسياسية والإقتصادية.

بدت حركـة الإخـوان خطوة أمنية وتـظاهرة روحية، وظاهرة ثقافية، وتكتلات

---

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٣٠٧ - ٣٠٨.
(٢) فيلبي، كتابه السابق، ص٢٣٧.

عسكرية، وقوة توحيدية، وبدا خالقها رجل المهمات الصعبة والمعقدة بين حكام العرب في الحرب والسلام، وقائد المسيرة الإصلاحية، ومحط الأنظار العربية، ومصدر الإزعاج للقوى الإستعمارية، والإخوان رفاقه في السلاح، بقيادته حققوا أروع الإنتصارات، وعاونوه على رفع راية التوحيد الديني والدنيوي في معظم أجزاء الجزيرة العربية. رسل التوحيد الذين لايهابون الموت، وصرخة الذعر في قلوب طلاب الفتن، والعاملين على تكريس الفرقة، ومثل الشجاعة الأعلى، الذين يخوضون المعارك طلبا للشهادة، وأحدهم يودع أمه أو أخته أو زوجته، راجيا منها له الدعاء بالجنة لاالعودة بالسلامة.

الحديث عنهم لابد منه عند بحث موضوع عن دولتنا المعاصرة، تأكيدا لقيمتهم، وإظهارا لفعالياتهم، وكشفا للإنحراف، الذي كاد يتسبب في تقويض أركان الكيان الكبير، لو لم يفطن الملك البصير، فكان من أقوى أرساء قواعده القضاء عليهم، فثبتت دعائمه.

هؤلاء البدو الذين تحولوا من الترحل إلى الإستقرار، ومن الغزو والسلب إلى الجهاد، والتضحية في سبيل الأوطان، والذين انتقلوا من الجهل إلى العلم، ومن الرعي إلى الزرع والحرث، ومن الخوف إلى الطمأنينة. قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾[1]، وقال أيضا: ﴿إن الذين آمنوا، والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾[2].

هؤلاء الذين امتثلوا لتعاليم الدين، وتشددوا في شأن المختلفين معهم، وجاهدوا طمعا في غنائم الدنيا، وثواب الآخرة، قلبوا ظهر المجن بعد أن أعماهم التزمت،

(١) سورة التوبة: آية (١٩).
(٢) سورة البقرة: آية (٢١٧).

فتحـولـوا عن ولي الأمر، متوهمين أن قتاله حلال مادام قد تسامح بدخول الكفار، ومعتبرين عن ضيق أفق أن استعمال المستحدثات خروج على الدين، غير مدركين أن القوة الحقيقية في مسايرة العصر، والإحتفاظ بالأصالة، والحرص على القيم، والمرونة دون الإفـراط، ولكننا قبل الإستطراد نشير باختصار إلى المراحل التي شهدتها حركة الإخوان، والتنظيم الذين قامت عليه هجرهم، حتى تتضح بعض الملامح عنها، علما بأنـه لايمكننـا ضمن هذا البحث التـوسع في الحديث عنها، لئلا نخرج عن خطته المرسومة، حتى ما يتعلق من هذه الحركة في موضوعنا؛ لأنها متعددة الجوانب، الحديث حولها متشعب، وتناولها من شتى الوجوه يحتاج لتتبع دقيق، لما لها من مظاهر ومرامٍ، ومـا كانت عليه طبيعتهـا، وأثارته، وحققته، وتميزت به، وما سببه موقف أعضائها المتحجر من إنكسارها، فانفرجت بذلك الأسارير، وانفتحت المغاليق، فتحطم الجمود، ورفع الحصار عن الأفكار المستنيرة.

لقد تجمع الإخوان في «هجر»، ومفردها «هجرة»، والهجر عبارة عن قرى مبنية دورها من الطين المجفف، والأشجار وسعف النخيل، وهي تسمية مستحدثة في نجد، والإخـوان المتجمعون فيها كما هو معلوم جمع «أخ»، المستعملة عند ظهور الإسلام بمعنى الحليف أو المعـاهـد[1]، حين آخى الرسول ﷺ بين الأوس والخزرج، حتى تناسوا خلافاتهم[2]، فنزلت الآية الكريمة: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا، ولاتفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾[3].

---

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٢٨٩.
(٢) جلال الدين محمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، ص٥٣.
(٣) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

إذًا، هذه التسمية مأخوذة من المفهوم الإسلامي، بعدما تشاور عبدالعزيز مع كبار علماء الدين، وخاصته من الواعين، وزعماء هذه العناصر، حيث تآخى المهاجرون من البداوة للحضارة، والتقوا بالمقاصد، ووحدة المصير، وصارت مقراتهم قلاعا منيعة، ومخازن للذخيرة والأسلحة، وأماكن عبادة لايسمع فيها سوى الذكر والتكبير والتهليل، والتسبيح والدعاء، وأحاديث الجهاد، وضرورة عودة مجد الإسلام، ورفع شأن التوحيد. كما أنه لايشترط في أن تنفرد كل قبيلة بهجرة مستقلة، فقد يشاركها السكن فيها أفخاذ أو بطون من قبائل أخرى، ربما كانت تناصبها في الماضي العداء، ولكنهم الآن جميعهم وحدوا بالله، وصاروا أخوة تجمعهم رابطة الإيمان، التي هي أقوى وأبقى من رابطة الأسرة والعشيرة، فأنتفت بهذا العدوات القبلية القديمة، التي حلت محلها، تأكيدا لهذه الرابطة وشائج المحبة، والإرتباط بالمصير الواحد[١].

هذا وقد اختلف المؤرخون في تقدير عدد الهجر، فمنهم من جعلها سبعين[٢]، ومن حددها بالمائة[٣]، ومن بلغت عنده مائة واثنتين وعشرين[٤]، بيد أنه لايبدو الاختلاف كبيرا، عندما نأخذ في الاعتبار تزايدها مع الزمن، لكون بناء الهجر لم يتوقف، حتى بعد فترة من تغلب عبدالعزيز على بعض زعماء الإخوان، بقي كثير منهم قاتل إلى جانبه.

---

(١) أنظر: رسالتنا للماجستير عن «التطور الثقافي للدولة السعودية المعاصرة»، «لم تنشر بعد».

(٢) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص٢٦٢، ط٢، وقد ضمن في ملاحق كتابه لائحة بأسماء الهجر.

(٣) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٧٥.

(٤) أنظر: أم القرى، العدد ٢١١٤، في ٦ رجب ١٣٤٧هـ، أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص٥، الزركلي، شبه الجزيرة، ج١، ص٢٦٤.

قام بناء الهجر على عدة إعتبارات هي :

١ ـ تعيين الأرض التي يتوافر فيها الماء لسقاية سكان الهجرة، ومواشيهم وزروعهم[١].

٢ ـ قربها من المراعي الصالحة للإبل[٢].

٣ ـ بقدر الإمكان ألا تكون الهجرة بعيدة عن العاصمة، التي لازالت معاركها حامية مع الخصوم، ضمانا لسرعة التعبئة، ووصول النجدات، وقد انتفى هذا الشرط بعد بلوغ الحماس القبائل البعيدة.

وهكـذا نرى أن عبدالعزيز، لم ينجح فقط نجاحا باهرا في تطويعه للصعاب، وإقدامه على المخاطر، وقدرته الفائقة على التخلص من المآزق، وإصراره على الإنتصار حتى في أسوأ المواقف، بل في استكناه الشيء، واستكشاف المستقبل، فبدأ وكأنه سبق عصره، وهذا ما لاينكره من يعرف سيرته، فكان المنظم البارع، والمخطط المتميز، وقد ظهر هذا في أدق صوره في تنظيمه لهجر الإخوان، في وقت كانت فيه نجد معزولة، لم تتعـرف بعـد على الحياة العصرية، فعـين أوقـات توزيع المياه، توزيعا لم تظهر معه خلافـات عليهـا، وجعل للنفوس سجلا وافي المعلومات عن كل فرد في الهجرة[٣]، ودفعتـه روح الإصلاح أن يكلف من يعلم البدو المهاجرين الزراعة، مقدما البذور مجانا[٤]، واستطاع أن يخلق في سكان هذه الهجر الروح العسكرية العالية، ويجعلهم

---

(١) مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ص١٥٨.

(٢) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص٢٣٥، ط١.

(٣) مديحة أحمد درويش، كتابها السابق، ص١٥٨.

(٤) أحمد عبدالغفور عطار، صقر الجزيرة، ج٣، ص١٩٨-١٩٩.

منضبطين، وبالتعليمات متقيدين، فقسمهم ثلاثة أقسام:

١ ـ قوات الجهاد:

وهم المستعدون دائما، سلاحهم لاينزل عن ظهورهم، وركابهم لاتفارق عيونهم، وكانوا بمثابة قوات نظامية، واختلافها عنها أنها في حالة تعبئة مستمرة، وفي انتظار الأوامر التي يصدرها القائد الأعلى[١].

٢ ـ قوات الرديف:

وهم الذين لايملكون النياق السريعة، الصالحة للجهاد، والكر والفر، يخرجون للقتال حينما يعلن الإمام أن الجهاد مثنى، أي أنه على كل مجاهد أن يختار رديفا يشاركه الركوب على ناقته[٢]، وهؤلاء بمثابة قوات احتياطية بالمفهوم العسكري الحديث.

٣ ـ قوات النفير:

لايطلب منهم القتال إلا عندما يُعلن النفير العام، ومهمتهم الأصلية إرشاد الناس في حياتهم الجديدة، واحتراف الزراعة والتجارة[٣]، اللتين يترك شأنهما عند إعلان النفير العام للنسوة والصغار وكبار السن[٤].

---

(١) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية: ماضيها، وحاضرها، ص٤٧.
(٢) نفس المرجع، ص ٤٧.
(٣) حسن حسن سليمان، المرجع السابق، ص٤٧.
(٤) صلاح الدين المختار، كتابه السابق، ج٢، ص١٤٦.

هذا وميز الإخوان في هذه الهجر أنفسهم بعمائم بيضاء تعلو رؤوسهم، مستعيضين بها عن العقل، مكفرين من يلبسها؛ لأن من يلبس العقال زعموا أنه مبتدع لايتبع السلف، وبغيته التفاخر، ولكنهم نهوا عما توهموه كفرا، فوقعوا بالإثم، حين أصبحت عصائبهم كالتيجان يستعرضون بها متحدثين بنعمة الله تعالى التي حرم منها البدو غير المهاجرين، والحضر الذين بالسنة لايتقيدون.

بهذا التنظيم، تمكن عبدالعزيز أن يخرج الاخوان من هجرهم، التي انقطعوا في البداية عن الناس فيها، مكبين على العبادة وكأنها صوامع، فأفهمهم، مستعينا بالعلماء، أن الإسلام دين ودنيا، وأنه ليس دين رهبنة، وأن العمل واجب على كل مسلم، الذي من المفروض عليه أن يتعامل مع الحياة، فحبب زراعة الأرض، وجني الربح من المتاجرة.

ولما كانت أحوال الإخوان في حياتهم السابقة أميَّة وجهلا، اندفعوا في حياتهم الجديدة للتخلص منها، بيد أن أوضاع نجد الثقافية المحدودة، وأعمار المهاجرين، وندرة المتعلمين، حدَّ من هذا الإندفاع، فاقتصر تعليم القراءة والكتابة على شخص أو اثنين على الأكثر، يقوم أو يقومان بتعليم مجموعة، غير أنه لم تتحقق رغم ذلك نسبة كبيرة لمحو الأمية لعدة عوامل منها: الدعوة الدائمة تقريبا للجهاد[1]، وعقم أسلوب التعليم، حيث عجزت الأفهام عن هضمه، وقلة المرشدين حيال الحشد من الراغبين في تعلم شؤون دينهم، وعدم إتقان الأشخاص الذين يتلقون عنهم ذلك مهنة التدريس، حتى بشكلها التقليدي، الأمر الذي حول حركة الإخوان إلى أمية دينية، وجهل تام بالحقائق والأشياء[2].

---

(١) سمعت ذلك شفويا من أحد أقاربي المعمرين في مدينة المزاحمية، التابعة لها حاليا بلدة الغطغط.

(٢) أنظر: رسالتنا السابقة، ص١٠٧ «لم تنشر».

لقد غالى الإخوان في تزمتهم ومعارضاتهم، وإحتجاجاتهم بسبب أو من غير سبب، وتعدياتهم على من لايرى رأيهم، ولايتمثل سلوكهم أو يسير سيرتهم، والغلو ـ كما هو معلوم ـ لاتسلم منه أمة أو بلد، ولأنه مخالف تماما للشدة في تطبيق الأحكام الشرعية، المنبعثة من الاهتداء بنور الإيمان بعد تبصير في التعاليم[1]، نجده جهلا، منشأه الإسراف في التعصب، مما يخلق في الفئة المغالية، روحا عدائية[2] بغيضة، وصدودا عن المعطيات، ومكابرة حتى في المسلمات.

حاول عبدالعزيز في مواجهته الإخوان، معالجة خلافه معهم ومع بقية المواطنين بشتى الوسائل، قبل استنفاده فرص الوفاق، وتحول ضيقه بإستفزازاتهم وعصيانهم إلى القيام بعمل وضع حدا فصل فيه ما بينه وبينهم لصالحه، ولصالح الأكثرية من شعبه، والوعي ضد الجهل، والتآلف بدلا من التنافر، متحملا كثيرا من تجاوزاتهم.

لم يترك وسيلة إلا جربها: إستعمل معهم السياسة، وقدم الحجج، واستنجد بالعلماء، لعلمه بتأثيرهم عليهم، وتوقيرهم لهم، وذلك عكس ابن عمه حاكم الإحساء الأمير عبدالله بن جلوي، الذي كان شديدا، فلا يتسامح مع من هم في ناحيته، وكثيرا ما كان يقول ـ كما يروي حافظ وهبة[3] ـ «إن حالتهم الأولى على ما فيها من الشرور خير من حالتهم هذه»، ويخاطبهم قائلا: «إن الدين ليس في العمائم».

ولكن عبدالعزيز ـ وإن تعاون مع الإخوان، وفي كثير من الأمور ـ لم يكن هينا، وتسامحه يعني مزيدا من القوة، لايضع قدمه إلا وقد عرف موقعها، وفي أعصب الأوقات لايتسلل إلى نفسه اليأس، وفي ذات الوقت يعطي الفرصة متأهبا لكل

---

(١) لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، ص٨.

(٢) شكيب ارسلان، نفس المرجع، ص٣٢٠.

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٢٩٤.

طارىء، وقد أعطى الإخوان فرصا عجزت عقولهم عن إستثمارها، فوقعوا في مغبة قصور مفهومهم، وكان من أبرزها: أنهم كادوا يثيرون فتنة أهلية، بعدما تأذى منهم نسبة المواطنين الكبرى، ورغم ذلك ظل يسايرهم في الحدود التي حفظت هيبته وترضيتهم، فلجأ لكبار علماء الدين، حرصا منه على سيادة تعاليم العقيدة، ولثقته فيهم، ومعرفته الجيدة بأنهم لايقبلون ممارسات الإخوان، المنافية لروح الإسلام، نتيجة إجتهاد أضاع تعصبهم الأعمى إيجابيته، فكانوا في الأغلب غير عالمين سبل الصواب، وهذا ما لايرضاه المتفقهون في الدين، فلم يوافقوا الإخوان على تكفيرهم من لايعتمر العمامة، وممايزتهم بين المسلمين، معتبرين غيرهم من حضر وبدو خارجين على الملة، بحيث لايجوز - كما جاء في الفتوى التي أصدروها - لأحد أن يهجر أحدا بغير أمر واضح، وكفر صريح، وبدون إذن من ولي الأمر أو الحاكم الشرعي[١].

ولكنهم لم يأخذوا بما جاء بالفتوى، فضاق بهم الناس ضيقا شديدا، بلغ درجة الإختناق من كبريائهم، وغلظتهم وتعاليهم، وغلوهم الذي تسبب في حدوث مشكلات لاحصر لها، الأمر الذي أضطر معه عبدالعزيز إلى أن يبحث مع بعض زعمائهم النقاط المختلف عليها، في محاولة منه لتخليصهم مما هم عليه، وأيضا التلويح بالتهديد، والإيحاء بقدرته على سحقهم[٢].

هذا ويظهر أنه قد صعب إنقيادهم، فباتوا يحاولون دون علم بالنهج الصحيح، الحد من سلطة عبدالعزيز، كسيد مطاع، فعرضوه للعديد من الإحراجات الحدودية مع جيرانه[٣]، في الوقت الذي كانت فيه الظروف تفرض عليه المداراة، بغية الوصول

---

(١) أمين الريحاني، نجد الحديث وملحقاته، ص٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) Habib, John,; The Ikhwan Movement of Najd, p. 224, UN published.

(٣) Letter from Political Resedent in the Persian Gulf to his Highness Sheik Abdul-Aziz Bin Abdul-Rahman AlFaisal Al-Saud G.G.I.E Sultan of Najd and its dependencies, No. 129. India Office Library, Ref, IOR/15/563, London.

إلى تحقيق تطلعاته الوحدوية في الجزيرة العربية، مستهدفا بالسيف والسياسة والكياسة، إستعادة حقوقه التاريخية، وتجميع القوى المبددة بالخلافات والصراعات.

بدأت نوايا بعض زعماء الإخوان تنفضح إثر القرارات التي أصدروها في هجرة «الإرطاوية»، فلما علم الملك بها تأهب من غير توتر، متجهزا بالحجج والجرأة، ويوم اللقاء، حيث كان يتوقع لهم النهاية الوخيمة، مادامت مفاهيمهم لاتستوعب حركة التاريخ، وناموس الإرتقاء، فيستنكرون رحلتي الأميرين سعود وفيصل، الأول لمصر، والثاني للندن واستخدامه السيارات، وسماحه لعشائر العراق والأردن بالرعي في بلاد المسلمين، وفرضه الرسوم على البضائع، ومنعه التجارة مع الكويتيين، الذين يرون فيهم أنهم بين أمرين: فإما من الكفار وإما من المؤمنين، فبالأول يحاربون، وبالثاني لايقاطعون، والنظر في شأن شيعة القطيف والإحساء[1]. عندما سمع الملك عبدالعزيز المؤتمرين، أدرك حقيقة مراميهم، فعاد مسرعا من الحجاز لنجد لمعالجة الموقف المتأزم، وهذا ما سنتعرض له في موضعه المقرر.

طبعا، الملك كان متفوقا لاتفوته فرصة، ولايقوم بأمر إلا فهمه جيدا، فيعين كيفيات نهجه، ويحدد خطوط مساراته، ويحلم ويتسامح، غير منحرف عن الصواب أو متراجع عن الهدف النبيل.

ولكي يدرأ الملك الفتنة، نفذ بعض مطالب الإخوان، بيد أنه يبدو أن بعض زعمائهم، أخذوا يتطلعون إلى ما هو أعلى من قاماتهم ومقاماتهم، ومكانة أسرهم وعشائرهم، وإلى ما هو فوق قدرهم، فروجوا أن انتصارات ابن سعود كانت بفضلهم، بعدما أخذت الغيرة تنهش صدورهم، ورأوا الملك قد بلغ من القوة حدا عاليا، وفيهم سذج ظنوا عن سلامة نية أن استعماله مخترعات النصارى ضرب من الكفر.

---

(١) Habib, John, Op. Cit., p. 22.

لاشك أن دور الإخوان لاينكر في عمليات الملك العسكرية، ولكنه كان في كثير من الأحيان يقود المعارك بنفسه، ودائما القائد الذي يندر خطأه، والمفكر في الخطط، والمدبر والموجه، وكان إلى جانب الإخوان في ساحات القتال، جند عبدالعزيز الخاص، الذين اختيروا بعناية فائقة من بين حضر نجد، وهم سليلو أسر عريقة، أغلبهم توارثوا الخدمة عند آل سعود منذ أيام الدرعية، فأقام حبهم في قلوبهم، وعبر التاريخ السعودي الحديث والمعاصر، جاهدوا مطيعين تحت راية الإمامة الشرعية، وتحملوا مع قادتهم مرارة النفي والغربة، فثبتت في ذهن الملك عبدالعزيز صورة وفائهم، بحيث لانستغرب العناية الخاصة التي يوليها إياهم، والإهتمام البالغ الذي يحظون به منه، وحرصه على تدريبهم تدريبا رفيع المستوى، وتجهيزهم بأفضل ما يملك من السلاح، وإعدادهم إعدادا كاملا للأيام العصيبة، فكانوا قطب رحى قواته، وعماد جيشه في إسترداد جنوب نجد، وحروبه في منطقة القصيم، وفي إخماد فتنة العجمان، وفتح حائل، والضرب على أيدي العصاة والمتمردين، وفي القضاء على الإخوان.

إن عدم معرفة عامة الإخوان طبيعة العصر، وشؤون السياسة، وأطماع بعض زعمائهم الشخصية، فضلا على حياتهم القاسية، ومعلوماتهم القاصرة التي ضاعفت غلوهم، فاضطربت مفاهيمهم، وتبلبلت أفكارهم، فغاب والحالة هذه عن أذهانهم معنى الإستقرار، وأهمية الإنضباط، والدلالات الحقيقية للمبادىء الإسلامية، فانحبسوا في إطارات شديدة الضيق، مندهشين من المستحدثات، للحد الذي تصوروا معه أنها منكرات، فأصاب الإرهاق تفكيرهم، وتعطلت فيهم ملكة التمييز، فانطلقوا في الفوضوية، ظانين أن في قدرتهم إرجاع العجلة الى الوراء، غير تاركين لولي الأمر الواعي بكل شيء حوله، المدرك ما يجب أن يفعله حيال معالجة القضايا بأسلوب رجل الدولة، المجرب والمؤمن، ومن ذلك الخلاف مع الحكومة البريطانية حول إقامة المخافر بين نجد والعراق[1]، الذي اتفق مع شعبه في التنديد بهذا المسلك البريطاني،

---

(١) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٢٩٧.

غير أن بعض الفئات من الإخوان، المدفوعين من زعاماتهم المغرضة، لم تترك فرصة التفاهم للملك الذي كان مجتمعا في جدة مع المندوب البريطاني لبحث هذه القضية، لأنه يعلم أن الإشتباك في حرب سافرة مع بريطانيا في تلك الظروف معناه الكارثة[1]

في الوقت الذي كان الملك عبدالعزيز يتباحث فيه في جدة حول قضية المخافر، وصلته أخبار تعديات فيصل الدويش على قبائل العراق، ومحاولاته توريطه في قضايا جانبية، يمكن التفاهم حولها، وإحراجه أمام الرأي العام في نقض اتفاقات أوجبت عليه الإلتزام بها، كحاكم قادر، يحترم عهده، فلا بد إذًا من أن يوقف هذه التصرفات، وأن يحرص كذلك على القبائل النجدية التي هددتها السلطات البريطانية، بالطائرات[2]، من غير ذنب ارتكبته سوى تحرشات الدويش وأتباعه.

بلغ الأمر منتهاه بين الملك والإخوان، وقد صبر وحلم طويلا، وها هو يغضب، فيجمع قواته، فيلتقي في معارك مع الإخوان، خاضها بجنده الخاص، وحماس مواطنيه، وثقته بالنصر ضد ثلاثة من أعتى وأقسى زعماء الإخوان، مع بعض الزعماء الثانويين، وهؤلاء الثلاثة هم: فيصل بن سلطان الدويش شيخ قبيلة مطير، وسلطان بن بجاد بن حميد، أحد كبار برقه من قبيلة عتيبة، وضيدان بن حثلين شيخ قبيلة العجمان.

دارت المعارك على ثلاث جبهات في المملكة: في الوسط، والشمال الشرقي، وفي المنطقة الشرقية، كان النصر في جميعها من نصيب الملك، الذي تنفس عقب القضاء على الإخوان الصعداء، حيث بدأت حياة جديدة في المجتمع السعودي، فظهرت ملامح البشر في مستقبل أحسن على وجوه جميع أفراده، فصار الملك طليقا من أسر

---

(١) فيلبي، تاريخ نجد، ترجمة: الديراوي، ص٣٦٠.
(٢) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٢٩٧.

الرجعية، ففتح النوافذ على رياح الحضارة في كل الإتجاهات، فاعتبر بهذه الخطوة، كما أعتبر في تأسيس حركة الإخوان، مصلحا حارب الجهل فانتصر عليه، ومصباحا بدد الظلام[1].

إبن رفادة والإدريسي:

لاعلاقة بينهما سوى تزامن خروجهما على مؤسس الكيان، هو الذي جعلنا نوحد الحديث عنهما، والتضييق عليه في تحريض الإدريسي في الجنوب، بغية إحكام خيوط المؤامرة وإرباكه في الحرب على جبهتين، فآل رفادة في بيتهم الرئاسة على قبيلة «بلي» القضاعية اليمانية، والمنقسمة إلى ثلاثة أقسام[2]:

١ - **بلي الحجازية**: مساكنهم في أقصى جهات الحجاز الشمالية، على البحر الأحمر، ومن أشهر المدن التي في منطقتهم «الوجه».

٢ - **بلي الفلسطينية**: منازلهم في أطراف «بئر سبع»، في فلسطين.

٣ - **بلي المصرية**: تنتشر في سيناء، ومدن قناة السويس.

هذه القبيلة لها شأن في تلك الجهات، وتتألف من أفخاذ وبطون وعمائر، تجمعهم عصبية واحدة، وأقلهم عددا المقيمون في فلسطين، وإن بدوا خارج سلطة أمير شرقي الأردن، الشريف عبدالله بن الحسين، فالأردن قريب منهم، وصلاته بفلسطين قوية،

---

(١) ناصر الدين النشاشيبي، عندما دخلوا التاريخ، ص٦٠ - ٦١.

(٢) عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج١، ص١٠٦-١٠٧.

ويوجـد بين سكان البلدين تمازج بالمصاهرة والجوار، بالإضافة إلى أن بادية فلسطين مرتبطة بالأردن والسعودية لحاجتها في مواسم الربيع للمراعي، وهناك على الحدود مع الأردن بلي الحجازية، الذين يتردد عليهم بنو عمومتهم في بئر السبع.

كل شيء بات في حكم التاريخ، الذي ليس من الإيجابية تجاهل حقائقه، ولاريب أنه سجل عداء بين أعرق أسرتين ملكيتين في ديار العرب، وهما الأسرة السعودية، والأسرة الهاشمية، وأيضا قد سجل التحول بين هاتين الأسرتين، حيث زال ما بينهما، فصار الود بين الأسرتين بديلا للعداء، وفي الفترة التي نتحدث عنها لم تكن قد زالت العـداوة، خاصـة بين الملك عبـدالعزيز والأمير عبدالله، الذي لازال يحمل ضغينة لعبدالعزيز، وسبب ذلك الهزيمة التي تجرع مرارتها في تربة التي «كسرت العمود الفقري للجيش الهاشمي»[1]، وما تلاها من أحداث انتهى بعدها حكم الأسرة الهاشمية في الحجاز، وخلافات حول الحدود، واحتكاكات بين العشائر[2].

هذه الأسبـاب مجتمعـة، جعلت عبدالله يبحث عن أي إنسان يثير شغبا ضد عبدالعزيز، وكان يتلمس ذلك بين كبار مشائخ القبائل السعودية، فنال بغيته في ضيق «حامد بن سالم بن رفادة»، شيخ عام بلي، ضيقه من الحكم السعودي، الذي حدد صلاحياته، مانعا تسلطه، ومنهيا ممارساته القبلية، المخالفة للشريعة، والمخلة بالأمن، وتواجد كثير من أتباعه في مصر، الذي ساء ملكها فؤاد إعلان عبدالعزيز نفسه ملكا

---

(١) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص١٢٧ـ١٢٨.

(٢) لقـد تهيأت للقبـائل السعودية المجاورة لبعض الدول الشقيقة، وسائل الإستقرار، وبواعث الإرتباط بالأرض، من خلال إمتلاكها للدور والمزارع، ودخول أبنائها المدارس، والإنخراط في وظائف الدولة، وامتهان التجارة، فارتقت المفاهيم، وتجذر في نفوس أفرادها الإنتماء الوطني.

على الحجاز[1]، وكان طامعا في الخلافة بعد خروج الحسين منه، وما شجر من خلاف عقب حادثة المحمل المصري في الحج[2]، والكيفية التي تصرف بها عوائد الأوقاف المصرية في الحجاز، حتى بلغ الأمر حدا امتنع فيه الملك فؤاد من الإعتراف بعبدالعزيز، طوال مدة حكمه على مصر[3].

زين كل من ملك مصر، وأمير الأردن، الثورة لإبن رفادة، ووعداه بالمساعدة، فأعلن العصيان، فوجه له الملك عبدالعزيز قوة عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، ويبدو أنه لم يكن مقتنعا بقدرته على المواجهة، ففر قبل مواجهتها، محتميا ومن معه بمصر[4]، حيث لم يأمن جانب بعض أبناء عمه وأعوانهم من أفراد قبيلته، فالرجل كان مكروها، دميم الخلقة، لايتمتع بصفة تحببه حتى إلى أقرب الناس إليه، وليس فيه أدنى حد من الحس الإنساني، شراسته لاتطاق، وكان متسلطا أنانيا، مهووسا بالاستبداد، لايهتم إلا بمن يسيرونه، ويزينون له العصيان.

ظل ابن رفادة في مصر قرابة الأربع سنوات، وكثيرا ما كان يتردد على العاصمة الأردنية، متزودا بالتعليمات والأسلحة والإعانات، ومنسقا مع من يكلفهم ملك مصر الإتصال به، منتظرا صدور الأوامر، وقد اتضح أن تمرده جزء من الخطة الموضوعة للإطاحة بالملك عبدالعزيز، حيث كان تنفيذ الجزء الآخر منها موكلا للإدريسي في الجنوب، واسمه «الحسن»، الذي خلف إبن أخيه «علي»، وكان ضعيفا، طمع فيه إمام اليمن، فاجتاحت جيوشه الحديدة، واللحية، وميدي، فجاور الجبال المتصلة

---

(١) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص١٢٧، وما بعدها.

(٢) استنكر الاخوان في حج عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، الذين حرم الملك عبدالعزيز عليهم حمل السلاح أثناء أيام الحج، استنكروا ما يجري حول المحمل المصري، المحروس بقوة كبيرة، فرجموه بالحجارة، فقابلهم الجنود المصريون بإطلاق النار عليهم، وكادت تقع مأساة لو لم يتدارك عبدالعزيز الأمر ويمنع حدوث المضاعفات.

(٣) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص١٣٠ وما بعدها.

(٤) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج٢، ص٥٥٧.

بجازان، واندفع محتلا سامطة وأبا عريش، فثار عليه قومه مستبدلينه بعمه الذي لم يجد وسيلة بعد طرقه أبواب حلفائه، سوى طلب حماية الملك عبدالعزيز، فعقدت بينهما معاهدة[1]، سنفصل بنودها في المكان المخصص لهذا الغرض.

المهم، أنه في العام الذي شبت فيه فتنة إبن رفادة، ثار الإدريسي على نائب الملك عبدالعزيز في جيزان «فهد بن زعبر»، وكان الأول قد استعد لمواجهة عبدالعزيز، بعد أن اجتمع عليه كثير من المرتزقة، وهواة النهب واللصوص، إضافة إلى فئات من قبيلته، وقد زوده محرضوه بالمؤن والعتاد، فبالغت الدعاية الإنجليزية في القاهرة وعمان في قوته، ووضعته في غير حقيقته، فروجت له، ذاكرة بلاغاته الحربية الكاذبة، الصادرة من مقر قيادته، وإنتصاراته الوهمية.

عند سماع القبائل القاطنة في المنطقة، المتجه إليها المتمرد، توجه زعماؤها، وفي مقدمتهم أبناء عمه للملك عبدالعزيز، معلنين تضامنهم وولاءهم، ومبدين إستعدادهم للإشتراك في القتال، وكان إتفاق الملك معهم العمل على استدراجه بعدما أعلنوا تبرأهم منه، ونعته بأشر النعوت، وأوصى - بالأخص - أن يتم ذلك من قبيلته، التي كاتبته متظاهرة له بالإستعداد للقتال معه[2]، فدخل الأراضي السعودية، ولكنه لم يكد يستقر بها، حتى فوجىء بزحف القوات السعوودية نحوه بقيادة «عبدالله بن عُقيل»، فحاول التراجع، ولكنها أدركته في يوم السبت **٢٦** ربيع الأول **١٣٥١**هـ/**١٩٣٢**م[3]، فدارت معركة لم ينج فيها واحد من أنصار ابن رفادة، وكان وولداه ضمن القتلى، فخمدت بهذا أنفاس الفتنة في تلك المنطقة[4].

---

(١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ١٠.
(٢) خير الدين الزركلي، كتابه السابق، جـ٢، ص ٥٥٧ـ٥٥٨.
(٣) حسن حسن سليمان، الأمير عبدالعزيز بن مساعد: حياته ومآثره، ص ١٣٦.
(٤) أحمد عبدالغفور عطار، صقر الجزيرة، جـ٣، ص ٢٧٠.

في نفس الوقت، الذي كانت خلاله الحكومة مشغولة في فتنة إبن رفادة، تحرك الإدريسي، بعد أن تلقى الوعود بالمساعدة، فحن للسلطة، وتطلع إلى تقليد أخيه الأكبر، مؤسس الأسرة الإدريسية «محمد بن علي»، فوقع في شر ما أقدم عليه، غير متبصر بتغير الظروف، ومتعظ بأن صراعه المذهبي مع إمام اليمن، ما كان سيبقى على حياة فرد من أفراد أسرته والمقربين منها، فوجد في الملك عبدالعزيز الحماية والكرم والإحترام، بيد أنه لم يدرك ذلك فخرج خدمة لنفسه غير مبال في معاناة من هم في جهته، الذين شعروا في حكم عبدالعزيز براحة البال، فطابت حياتهم في ظلال العدل، وإنتظار خطوات التطوير.

إنه رغم الدعاية التي هولت قوة إبن رفادة، والمعونات التي تسلمها، فالحرب مع الإدريسي كانت أطول، فاتخذت أشكالا متعددة، وكانت لها ذيول كثيرة، وتطلبت عدة حملات عسكرية حتى انتهى أمرها، ولعل وضعه السابق كرئيس لدولة، أكسبه دراية أكثر من إبن رفادة، ولكنه بدا عاجزا، وعلى الإجماع خارجا، ولوحدة الجزيرة العربية في رعاية ملك متميز رافضا.

والآن سنحاول ذكر الأسباب التي دعت الإدريسي للثورة، والخطوات التي اتخذت للقضاء عليها، وأهم الأماكن التي جرى القتال عليها، والفئات المشاركة فيها، تأكيدا على أن الملك المؤسس، لم يكن يخيفه إلا خالقه، وما كان يلتفت لدعاية مغرضة، الهدف منها الإستعداء عليه، ومحاولة إضعاف كيانه، والحد من نفوذه العربي، الذي لم ترتح له الدوائر الإستعمارية، المستعينة بمن نهشت الغيرة صدورهم، ومستغلة جهل متزعم لايعي عاقبة ما هو مقدم عليه.

هذا ويمكننا تلخيص الأسباب الداعية لثورة الإدريسي في النقاط التالية:

١ ـ القلاقل الداخلية التي ترك للإدريسي التصرف في معالجتها، لم يستطع القضاء عليها، فسادت الفوضى المنطقة، وكثرت الإضطرابات، وتأذى السكان من التعديات

والتحزبات، الأمر الذي دعا المندوب السامي السعودي في جازان إلى الرفع لجلالة الملك، الـذي أمـره أن يضبط الأمن برجـال أكفـاء من عنـده، شريطة رجـوعهم للإدريسي[1]، غير أن تضـارب صلاحيات الإدريسي والمنـدوبين، وأساليب الإدارة المتبـاينـة بينـه وبينهم، أثارت خلافات كان في الإمكان زوالها لو لم يتخذ الإدريسي إجراءات جعلت الشبهات تحوم حوله، فتريث الملك حتى يتيقن، متخذا إحتياطه، بعد أن بدأ يحس بالتحرك المشبوه.

٢ ـ سوء سياسـة الإدريسي الإقتصادية، مما تسبب في نضوب الخزينة، وكانت إيرادات الجـمارك تذهب في غير المقـرر لها، لغياب الـرقابة عنها، وعدم وجود نظام لتحصيلها، وكيفية أوجه صرفها، فكثر التهريب، وصار السطو مألوفا، والمعونة التي يمد بها الملك عبدالعزيز الإدريسي، أخذ يصرفها في غير صالح البلاد[2]، مما دعا الملك أن يأمـر في تكوين مجلس شورى للمقاطعة الإدريسية، مرجعه الإدريسي، ولاتنفذ مقـرراتـه دون موافقتـه، واختصـاصـاتـه: «النظر في مصالح البلاد، وتأمين الأمن الداخلي، وترقية التجارة والزراعة والتعليم، ولا رأي له في السياسة الخارجية»[3].

٣ ـ تجاوز الإدريسي صلاحياته، وخرج على ما رسم له، وما حددته الإتفاقات في نقطتين:

أ ـ منحـه إمتيازا لشركـة إنجليزية، لاستخـراج النفط من جزر «فرسان» دون استشارة الملك، كان عربونها المقدم ذخيرة وأسلحة تسلمها من ابن عمه القادم إليه من مصر، فباشرت الشركة إنزال معداتها، وإقامة مساكن موظفيها، فتدخل الملك مبطلا الإتفـاقية التي لايملك الإدريسي إبـرامهـا، وكـانت قد اقتنعت بعـدم جدوى

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، كتابه السابق، جـ٢، ص٢٩٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٩٠، ص ٢٩٣.

(٣) الزركلي، كتابه السابق، جـ٢، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧.

الاختبارات، بعد البدء في عمليات الحفر[1].

ب ـ مفاوضته الإيطاليين عقب احتلالهم «مصوع»، على الشاطىء الغربي من البحر الأحمر[2].

٤ ـ حنينه لعودة نفوذه، واستقلال سلطانه، بعدما زينت له بعض الجهات، ممثلة بـ (حزب الأحرار الحجازي)، الذي رسمت له المخابرات الإيطالية والإنجليزية أسلوب عمله، فأخذ يبث دعاية معادية، رابطا ذلك بفتنة ابن رفاده، تحريضا للإدريسي للقيام بثورة تتبدد بها، وبما يجري في شمال الحجاز قوات ابن سعود[3].

أما السبب المباشر لقيام الإدريسي بالتمرد، فمبعثه ظلم وفظاظه، وتصرفات أمير صبيا «محمد عبدالله الحجازي»[4] المنافية لمسلك الإنسان المتحضر، فساء ذلك المندوب السعودي، فعزله بعدما كثرت الشكاوى منه، الأمر الذي عجل بقيام الفتنة، وكانت النفوس قد شحنت، والأجواء هيئت، والخطط رسمت، فانخدع كثيرون من السكان بذلك، ولم يبق سوى العمل، فنما لعلم المندوب ما يجري، فأبرق للملك به، فلم يشأ أن يقابل بالعنف، فأمر في بحث الموضوع، والتأكد مما يجري، ومعالجة الاختلاف بروحٍ طيبة، فاستدعى المندوب أعيان المنطقة، ورؤساء قبائلها، وأفهمهم بأهمية الاستقرار، وقيمة الحياة بسلام، بيد أن الاجتماع انفض دون نتيجة[5].

لم يرد المندوب السعودي أن يقرر أمرا قبل أن يجرب شتى الوسائل السلمية، تمشيا

---

(١) العقيلي، المرجع السابق، جـ٢، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.
(٢) الزركلي، المرجع السابق، جـ٢، ص ٥٣٥.
(٣) العقيلي، كتابه السابق، جـ٢، ص ٣٠٢.
(٤) نفس المرجع، جـ٢، ص ٣٠٠.
(٥) العقيلي، كتابه السابق، جـ٢، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.

مع التوجيهات والتعليمات، وكانت آخر محاولة قام بها، إرسال وفد من كبار موظفي المندوبية، من بينهم «تركي بن ماضي»، ورئيس ديوان المندوبية «حسين قدح»، إلى صبيا للتباحث مع الإدريسي في المثار عل الساحة[1] تمهيدًا للاتفاق على موعد يجتمع به بالادريسي، يتفاهم فيه معه حول نقاط الخلاف، ولكن الإدريسي حال وصول الوفد احتجزه، وباشر العمل استعدادا لإعلان خروجه عن الطاعة، فافتعل في اليوم المقرر لبدء حركته التمردية، ويصادف ١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ، حادثا سببه سوء تفاهم بين أحد رجال المسؤول عن صبيا من قبل المندوب مع بائع تطور لمشادة تجمهر الناس إثـرهـا، الذين ساقوا الخوي للإدريسي، فأمر بسجنه، واعتقل جميع الموجودين من «الخويا» لديه، فاحتشد جمع كبير من الدهماء، تقدمهم ابن أخيه عبد الوهاب، فبدأ بذلك التحرك نحو جازان، حيث يقيم المندوب «فهد بن زعير»، فاحتاط للأمر[2]، غير أن الأمر قد خرج من يده، وهو في قلة من الرجال، حيال الحشود الهائلة التي حاصرته، فاستسلم مع كل من معه فما كان من الملك حيال هذا الاعتداء الصارخ، والخيانة الكبرى التي ارتكبها الإدريسي، إلا أن يأمر بعثة المصالحة بينه وبين ابن زعير، وكانت قد وصلت «القنفذة» في طريقها لجازان، بالانتظار فيها[3] حتى تصلهم القوة، إذ لم يبق أمامه غير الحل العسكري، بعد أن حاول تجريب شتى وسائل الوفاق، ولكنه في الـوقت نفسه زود رئيسي البعثة، وهما: حمد السليمان الحمدان، وكيل وزارة المالية، وخالد قرقني «أبو الوليد»، أحد مستشاريه أن يحاولا المفاوضة أولا، وإلا فليتركا لقائد القـوة أمـير الـطائف ـ حينـذاك ـ محمـد بن عبـدالعزيز الشهيل، التصرف في إدارة العمليات العسكـرية، فشبت نار الفتنة، حيث قوبلت القوة السعوية، المكونة من خمسـمائة جندي، تحملهم سبعون سيارة، يباريها لنشان يقلان مائة وخمسين جنديا، قوبلت عنـد دخـولها أول نقطة من منطقة الشغب، بقوة إدريسية، فكان لامفر من القتال، ولكن قوة الإدريسي لم تستطع الوقوف أمام قوة الملك غير ساعات قليلة، قتل

(١) العقيلي، المرجع السابق، جـ٢، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤.
(٢) العقيلي، المرجع السابق، جـ٢، ص ٣٠٤.
(٣) الزركلي، كتابه السابق، جـ٢، ص ٥٣٨.

خلالها القائد الإدريسي، وجميع مساعديه، والبقية بين قتيل وجريح وهارب يطلب النجاة[1].

هذه المعركة دعيت باسم القرية التي جرت فيها، وهي «سواده»، وكان ذلك في مساء الخميس **١٩** جمادى الأولى **١٣٥١**هـ/ **١٩٣٢**م، والتي لم تكد تنتهي حتى عم الظلام، فرأى القائد التريث حتى الصباح، فلما تحركت القوة متجهة نحو مدينة جازان، واتجه اللنشان لتمشيط الجزر من جيوب المتمردين، فتم الاستيلاء على المدينة، وإخراج المتحصنين في مقر المندوب، وقبض على «علي الدباغ»، أحد أبرز أعضاء حزب الأحرار الحجازي، وكان الإدريسي عند اعتقاله ابن زعير، قد وضعه مع رجاله الثلاثين في بلدته «صبيا»، فجرت مشاورات حول مصيره، لم تؤد إلى نتيجة، بيد أن للملك أنصارا حتى من بين رجال الإدريسي العقلاء المقربين إليه أمثال «باصهي»، ومن السكان الذين لم يعجبهم ما قام به الإدريسي، وهناك أيضا القوة بالمرصاد لمن تخوله نفسه الإمتناع عن الطاعة، فأطلق سراحه[2].

هذه القوة، لم تكن سوى نجدة عاجلة، لفك أسر ابن زعير، فالمنطقة كبيرة، وأنصار الإدريسي الذين أعماهم الجهل في الدين والدنيا كثر، حيث اجتمع عليه من لم يدركوا أهمية تطهير العقيدة من دنس الطرق الصوفية، وهواة النهب، والمرتزقة، ومثيري الشغب والفوضى، وطبيعة المنطقة مساعدة للعصيان، وهناك الإمام يحيى حميد الدين يشجع ويعين، والمحرضون في عدن ومصوع والقاهرة، يعملون بجدية لإنجاح حركة التمرد، والملك عبدالعزيز كان قد خرج لتوه من معاركه مع الإخوان، والقضاء على فتنة ابن رفادة لم يمض عليها شهران، ومحاربة الفساد الإداري، والتسيب الذي اعتاده الناس منذ العثمانيين، كان عليه أن يحاربه، ويحارب الجهل في مملكته المترامية الأطراف.

---

(١) العقيلي، كتابه السابق، جـ٢، ص ٣٠٧.
(٢) العقيلي، كتابه السابق، جـ٢، ص ٣٠٧ وما بعدها.

إنه في مفترق الطرق، فلا سبيل له غير الاختيار، ولكنه الاختيار الصعب، وقد اختار الوحدة والإصلاح، فووجه بذوي المطامع والأغراض، والمغرر بهم، وقصار النظر، ولم يبال ماضيا في سبيله الذي انتهت إليه البلاد، نهاية أسعدت أهلها، بعد جهاد طويل، ومواجهات لاتحصى، وها هو ذا الإدريسي يخرج عن الطاعة، ويشعل الفتنة، ويستنجد بالمستعمرين، فلا بد من إيقافه عند حده، وقد فعل، فتوالت الحملات العسكرية على منطقة التمرد، فوصلت حملة من عسير السراة بقيادة أحد أعيانها لمناصرة جيوش ولي الأمر، فتمركزت في صبيا قاطعة دابر التسلل، ومسيطرة على المنطقة المحيطة بالبلدة، ومنها مراقبة التحركات المعادية[1].

وإظهارا لإصرار الملك على النصر، أرسل حملة قادها الشريف خالد بن لؤي، الذي أدركته الوفاة، فتولى ابنه سعد قيادتها، فبددت شمل التجمعات في أعالي صبيا، فازداد موقف القائمين بالفتنة ضعفا، وتلتها حملة أخرى بقيادة ابن ربيعان، فتعزز بها أكثر جانب قوات الملك، وعند وصول ابن مساعد إلى المنطقة بعشرة آلاف مقاتل، لم يجد المتمردون وسيلة تمكنهم من الاستمرار في المواجهة، فكان وصوله عاملا فعالا في تهدئة الخواطر، وتطمين النفوس، فعاد بذلك الأمن، واستقرت الأوضاع، وكان ذلك في أول شوال **١٣٥١**هـ[2].

---

(١) العقيلي، كتابه السابق، جـ٢، ص ٣١٦.

(٢) نفس المرجع، جـ٢، ص ٣٣٨.

الفصل الرابع

الفصل الرابع
المعاهدات والاتفاقيات والمؤتمرات

أولا: المعاهدات والاتفاقيات:

أ ـ معاهدة القطيف.

ب ـ معاهدة المحمرة.

جـ ـ معاهدة العقير.

د ـ إتفاقية بحره.

هـ ـ إتفاقية حدة.

و ـ إتفاقية تسليم جدة.

ز ـ معاهدة مكة المكرمة.

ح ـ معاهدة جـدة.

حـ ـ معاهدة جدة.

ط ـ معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين نجد والحجاز والعراق.

ي ـ معاهدة الصداقة وحسن الجوار مع شرقي الأردن.

ثانيا: المؤتمرات:

أ ـ مؤتمر الكويت.

ب ـ مؤتمر النظر في فتح الحجاز.

جـ ـ المؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة.

د ـ مؤتمر الرياض لبحث الخلاف مع الإخوان.

هـ ـ مؤتمر خبارى وضحا.

في أحيان كثيرة قد تختلط المفاهيم بالنسبة للتسميات، فلا نستطيع التمييز بين معاهدة واتفاقية ومؤتمر، ومن المسلم به أن تكون بين طرفين أو أكثر، وقد يتفق طرفان أو أكثر على تعاون وتبادل منفعة، أو على أمور كانت مدار خلاف، أو من أجل عقد تحالف تضامنا أو تكتيلا للقوى لمواجهة خطر يتهدد كيانات متشابهة، ونحن هنا أيضا قد نقع في هذا اللبس غير قادرين على التفريق؛ نظرا لأننا سنتوه في المسميات، فبينما نجد في أحد المراجع معاهدة المحمرة، نجدها في مرجع آخر إتفاقية، وكذا بالنسبة للعقير، فهناك من يقول معاهدة العقير، وآخر يدعوه بالمؤتمر، رغم أن المعاهدة مشتقة من العهد، ويقال للشخص «يتعهد الأمور ويتفقدها»[1]، أي أنه مسؤول عنها، ومنها يتعاهدان أو يتعاهدون على أمر من أجل تنفيذه، وأن الاتفاقية أتت من الاتفاق أو الوفاق على شأن من الشؤون[2]، وليس التحالف، وأن المؤتمر اصطلاحا التوفيق بين أطراف مختلفين اجتمعوا لتسوية موضوعات الخلاف أو التقريب في السياسات في شتى الميادين.

ولكننا برغم ذلك، سنفصل المعاهدات والاتفاقيات عن المؤتمرات، لكوننا نتصور أن المعاهدة والاتفاقية في المفهوم الاصطلاحي الحديث لايختلفان، فتعاهد دولتين على تحقيق السلام بينهما، كاتفاقهما على التعاون أو التفاهم أو الحوار، بهدف حل ما يعترض سبيل تحسين علاقاتهما، أو تحقيق مطامعهما، بينما المؤتمرات - غالبا - ما تتصف بالتجمع الشعبي برعاية زعيم للإتفاق على نهج معين، أو تسوية قضايا مختلف بشأنها، أو إقرار مشروع أو خطة تحت رعاية منظمة دولية أو إقليمية، أو بين مجموعة من دول متحالفة أو متخالفة، بوساطة دولة أو أكثر من أجل التنسيق، أو لبحث مواضع الخلاف للتقريب.

---

(١) لويس معلوف، المنجد، ص ٥٣٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٩١١.

إن الإسهاب في مثل هذا الموضوع ليس من شأننا، ولايهمنا إلا ما تم في فترة بحثنا من معاهدات وإتفاقيات ومؤتمرات، كانت من عوامل تأكيد شخصية، وإيضاح ملامح الدولة السعودية المعاصرة، التي يبدو أنه من حسن حظها، أن حكمة مؤسسها فاقت بطولته، فكما خاض ساحات القتال فارسا شجاعا، وقائدا محنكا، حاور وداور وناور، فأعطى كلا حسب مفهومه، ولم يخضع لتهديد أو يتنازل عن مصلحة وطنية وحق تاريخي، فصار جديرا بالتأييد، فأسس ملكا واسعا، عقب تعرفه على الأصدقاء والأعداء، وفهمه دقائق الأمور، ومكابدته الصعاب، وإخماده الفتن، فذاق حلاوة الانتصار، وتجرع مرارة الهزيمة، وجرب الجوع، وعانى من الغدر والخيانات، وقد قسا وعفا، متغلبا على الظروف العصيبة، غير آبه من الذين حاولوا الإطاحة به، فاتكل على خالقه، ثم على نفسه، صابرا وصامدا، وقد فضح ذوي الأغراض، وأقر الأمن بعد الإضطراب، ولأول مرة يحقق في جزيرة العرب ماعجر عن تحقيقه الأمويون رغم سطوتهم، وسعة ملكهم، فأزال بين القبائل روح العصبية، مسيطرا على ديار، أعيت السيطرة عليها العباسيين، فحسن أحوال البدو، ونزع من نفوسهم العداوة[1]، واستعملهم في سبيل ترويض المتمردين، وتوحيد معظم أجزاء الجزيرة العربية، ولما حاول هؤلاء العودة إلى جاهليتهم بعد أن طمس التعصب عيونهم كسر شوكتهم، فأبدل الفوضى بالنظام، وأحل الولاء للأمة محل الولاء للقبيلة.

إنه رجل السيف والحوار، وابن الواقع الذي حقق ما يشبه الخيال، ورمز وفاء المواطن لوطنه، والساعي إلى إحلال السلام، وتقوية الكيان، والمتعامل بندية فاغتصب الاحترام، ونال إعجاب المتصلين به.

لم يكن المؤسس يترك فرصة دون انتهازها لصالح بلاده، إصراراً منه على الإرتفاع بشأنها، والإبقاء على سيادتها، فاتحا أبوابها من غير إهمالها عرضة للفساد أو التآمر، أو

---

(١) الريحاني، نجد الحديث، ص ٣١، ط١.

تعريضها لصراعات من غير السهل تسويتها، ومعرفة الدوافع التي أدت إليها، وهذا ما سنحاول عرضه في هذا الفصل.

أولا: المعاهدات والاتفاقيات

لايخفي عبـدالعـزيز قيمة العهد، وضرورة التمسك به، والمحافظة عليه، لأنه مسلم مؤمن، وحاكم يحترم نفسه، وسياسي قدير يعرف كيف يستخلص حقه، ويواجه معارضيه، ويدافع عن وجهة نظره، وقد علمته التجارب أساليب التفاوض، وأهّله ذكاؤه كشف آلاعيب الساسة، وأهداف الدول، ففاوض من موقع قوة، وثقة بالنفس، وهذا ما سنلحظه في جميع المعاهدات والإتفاقيات التي عقدها، وكان حذرا بمرونة، ومترقبا الفرص بالتزام، ومنتظرا التطورات، مستعدا للتحرك الإيجابي.

أ ـ معاهدة القطيف

أبرم عبدالعزيز قبل هذه المعاهدة عدة معاهدات وإتفاقيات، غير أن هذه تعتبر معاهدته الأولى أثناء فترة تأسيس دولته، وهي الفترة التي أشرنا إلى أهميتها، وخصصنا بحثنا لها، ففيها بدأ الظهور السياسي والعسكري لنجد، وأخذت القوى المتصارعة في المنطقة تحسب حسابها، وخشي عملاؤها على امتيازاتهم، فتبلورت في غضونها الصورة، ووضحت الرؤية، فالقوة مطلب حققه عبدالعزيز، ولكنه لم يجعلها وسيلته الوحيدة، فقرنها بالتحرك السياسي، وتطلع للتغيير والتطوير، لتقوم الأساسات المتينة التي ينهض عليها الكيان، وكان ضمن وسائله للوصول إلى غاياته، الإبتعاد عن الصراع الدولي، والإقتراب من الحيوية السياسية، حماية للنفس، وتأكيدا للدور الذي يلعبه على الساحة العربية، فعقد المعاهدات، وأبرم الإتفاقات، واضعا في اعتباره أنه لاينميها ويجعلها سارية المفعـول إلا الأغـراض والمصالح، وأن بريطانيا لايهمها سوى بسط نفوذها، والحـرص على مصـالحهـا وممتلكـاتها، لأنه لاتربطها بالمنطقة وشيجة، فهي غريبة، أهدافها استعمارية، ومبعث اهتمامها بالتحالفات تقوية نفسها ضد أعدائها، في فترة حرجة.

لقد فهم عبدالعزيز مقاصدها، فظل يسايرها محتاطا من الوقوع في الشرك، الذي لم ينج منه سواه في الجزيرة، اللهم إذا استثنينا إمام اليمن في عزلته الجبلية، والذي رغم نزعتـه الاستقلالية، لم يستطع نزع ما يطالب به بريطانيا، ولم يكن كعبدالعزيز محبا للإصلاح العصري[1].

اجتمع عبدالعزيز في جزيرة «دارين» قرب مدينة القطيف، بالمقيم البريطاني في الخليج العربي السير برسي كوكس Cox ، وذلك في عام ١٣٣٣هـ، الموافق شهر ديسمبر ١٩١٥م، متفقا معه على ما يلي[2]:

١ ـ اعتراف الحكومة البريطانية العظمى باستقلاله، وضمان عبدالعزيز من أي اعتداء خارجي.

٢ ـ عدم البت في حدود ابن سعود إلا عقب نهاية الحرب.

٣ ـ تعهده بعدم مهاجمة المحميات البريطانية في الخليج.

٤ ـ عدم نقل ملكية الأراضي إلى أية دولة أجنبية.

٥ ـ استعداد الحكومة البريطانية، لتقديم مساعدة مالية سنوية له.

هذه الإتفاقية رغم بطلانها في إتفاقية لاحقة، بعد فتح الحجاز، نجد أنه أثناء انعقادها، كان كوكس متحفظا بالنسبة لحدود نجد الغربية، ولم يكاشف عبدالعزيز خلالها بما دار من مراسلات بين الشريف حسين والسير/ هنري مكماهون، المعتمد

---

(١) Huretwitz, J.C., Diplomacy in the Near and Middle East, P. 16.

(٢) OP. Cit., P. 19.

البريطاني في مصر؛ لأنه لم يرد إثارة قلقه، وتشكيكه في نوايا حكومته، بيد أن عبدالعزيز، رغم ما يبدو من غموض بنود هذه المعاهدة، استفاد من عقدها في ظروف الحرب، فحقق أهدافه التي عجزت الحكومة البريطانية عن الحيلولة بينه وبينها.

ب ـ معاهدة المحمرة:

حتى نهاية الحرب الكبرى الأولى، لم تكن حدود نجد وتوابعها قد عينت، وكانت تتسع أو تضيق حسب قوة أو ضعف الحاكم[1]، وكان عبدالعزيز قد ظهر مهيب الجانب لايساوم على مصلحة وطنية، أو ما يعتبره حقا تاريخيا، فحدد مراميه، وعرف مواقعه، غير أنه ظل قلقا من سياسة الحكومة البريطانية، لايطمئن لأساليبها ـ بالأخص ـ فيما يتعلق بالقبائل النجدية المقيمة في العراق، والتي أعتبرها البريطانيون عراقية، وساء عبدالعزيز أن حكومة الانتداب البريطانية على العراق، نصبت أحد شيوخ «المنتفق» من السعدون، نصبته قائدا للحدود، وكان معروفا بعدائه لعبدالعزيز، ولم تكن عشائر نجد والعراق والمجاورين لهما تعترف بحد أو تتقيد بنظام، فتنتقل كيفما تشاء للرعي أو الإمتيار[2]، وكثيرا ما كانت تثور الخلافات، وتتصاعد العداوات، الأمر الذي دعا عبدالعزيز إلى ضرورة وضع حد لهذه الفوضى، وتعيين رسوم على الحدود، فطلب من بريطانيا عقد إتفاقية لهذا الغرض، فوافقته، فأوفد أحمد بن ثنيان، ود. عبدالله الدملوجي إلى المحمرة، الواقعة على الخليج، والمعروفة اليوم بـ «خرمشاه»، فعقدا نيابة

---

(١) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرةالعرب، ص ١٧٧.

(٢) نفس المصدر، ص ١٧٧، علما بأن معظم القبائل النجدية، كانت تمتار من العراق، فتأتي بالحبوب، وتبيع الإبل والأغنام، ومستخرجات الألبان، وغالبا ما كانت القبائل العراقية تخرج لترعى مواشيها في الأراضي النجدية.

عن نجد معاهدة مع بريطانيا نيابة عن الحكومة العراقية، في رمضان ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م[١]، ومن بنودها[٢]:

١ ـ معاقبة القبائل المعتدية.
٢ ـ تأمين طرق الحجاج.
٣ ـ تعيين آبار المياه، ومواضع الري.
٤ ـ إبقاء الرسوم كما هي عليه.

هذه الإتفاقية وضحت فيها النوايا البريطانية، ويبدو أن البريطانيين أرادوا منها جس نبض عبدالعزيز، والتعرف على مواقفه في مثل هذه القضايا، والتلميح له بالحماية مادام موافقا على نهجهم، ولكنهم لم يجرأوا بالتصريح بذلك، لأنهم رغم علمهم باختلافه عن البقية، كان أملهم فيه لم يخب، فأخذوا بشتى الطرق يسعون لاحتوائه إلى أن أصابهم اليأس، فراحوا يعملون مع أعدائه للتخطيط في تقليص نفوذه.

إن الإجحاف واضح في هذه المعاهدة، والخطأ الذي وقع فيه مندوبا عبدالعزيز لاشك فادح، لو لم يتداركه لضاعت كثير من المكاسب، ويحق له أن يندهش من تصرف مندوبيه، ومن التجاهل البريطاني لحقوقه حتى الفرات، لأنها الحد الطبيعي لبادية نجد، ونحن لانقول إن قصر نظر مندوبي عبدالعزيز[٣]، كان السبب المباشر في وقوعهما بهذا الخطأ، بل جهلهما بالأرض والقبائل، وعاداتها وأعرافها، وطبيعة العلاقات، وشكل التعامل؛ لأن إبن ثنيان لم يعش شبابه في نجد، والدملوجي قدم من الموصل في مجتمع حضري، فجهلا الأرض والناس، ولم يكونا جاهلين ـ وإن غضب عبدالعزيز

(١) الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ١، ص ٢٨٨.
(٢) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ٢٥٩.
(٣) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ٢٥٩.

عليهـما ـ فلم يعاقبهما، وقد كرم الأول قابلا اعتذاره عن العمل إلى أن وافته المنية، واستمر الثاني في خدمته إلى أن وصل أعلى المراتب، وقد عاد لبلده الأصلي.

لم يرض عبدالعزيز عن هذه المعاهدة، فأبلغ الحكومة البريطانية عدم موافقته على بنـودهـا[1]، فطلب منهـا نقضهـا، وحضور ممثل بريطاني على مستوى رفيع، ليتولى مفاوضته شخصيا، وقد تم له ما أراد.

جـ ـ معاهدة العقير

استجـابت الحكومة البريطانية لطلب السلطان عبدالعزيز، فبعثت إليه السير/ برسي كوكس، أحد أقدر رجالها، والمسؤول الأول عن مصالحها في الخليج العربي، يرافقه وفد كبير يضم نخبة من الخبراء في الشؤون العربية، ومثل العراق في هذه المعاهدة وزير المواصلات والأشغال العامة، صبيح بك نشأت، وشيخ شمل قبيلة عنزة فهد الهذال، وشيخ بطن العمارات من نفس القبيلة[2].

سبق السلطان عبدالعزيز الوفد لميناء العقير، ليكون في استقباله، وتجهيز أمكنة إقامته، وتحضير ما يلزم أثناءه، حيث عرف عنه سخاؤه، وحرصه على راحة ضيوفه، وعدم شكه بنفسه، وتواضعه المتسامي، وحزمه وتدقيقه في كل شيء، وتبسطه ولينه دون ابتذال.

وصل الوفد المكلف لمفاوضة عبدالعزيز في أواخر نوفمبر «تشرين ثاني» **١٩٢٢**م، وصادف وصوله وجود الرحالة اللبناني المشهور/ أمين الريحاني عند عبدالعزيز، فنقل ما

---

(١) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، جـ٢، ـ ص ٦٧.

دار في جلسة علنية على لسان عبدالعزيز، الذي لم ترقه عضوية ابن هذال في الوفد، على اعتبار أنه يرأس قبيلة نجدية: أصلا وأرضا وعرفا، مما جعله بذكاء وسرعة بدهية يقول[1]: «. . . لاندري يا حضرة المندوب ـ يعني كوكس ـ ما خفي من المقاصد، ولكننا نرجو منها الخير، مما نعلمه علم اليقين أن العشائر خصوصا عشائر العراق، لاترتاح إلى حكومة قوية الساعد، بل لاتبغيها؛ لأن الحكومة إذا كانت قوية تضربهم فيتأدبون. أما إذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال اليوم. العشائر يا حضرة المندوب لايفهمون إلا بالسيف، وإلا فهم يركبون ظهر الحكومة ويسوقونها والبلاد إلى مهاوي الخراب. . . أشهروا السيف يرتدعون[2] ويتأدبون[3]، أغمدوا السيف يقتتلون[4] وينهبون[5]، ويتقاضون[6] مع ذلك الخوة»، ويعلق قائلا[7]: «فاه عظمته ـ لم يكن قد أصبح ملكا ـ بهذه الكلمات، ووجهه للمندوب السامي» وظهره لفهد الهذال، وكان الشوحط الطويل بيده يساعده بالإفصاح والتمكين، فراعني منه هذا التصريح، فقلت في نفسي: «سامح الله عبدالعزيز، قد أخطأ في استرساله إلى غضبه، ولكنه وهو السياسي المحنك أراد أن يفهم ابن هذال بأنه صريح مع الإنجليز كما هو صريح مع العرب، وأنه في الحق لايخاف بشرا. على أن المجلس أدلهم هنيهة من كلامه فجاء هو على عادته. . . يجلوه بكلمة لطيفة فأزال الإنقباض الذي أستولى على النفوس؛ لأنه في غمزه قناة ابن هذال أهان حكومة الانتداب التي تدفع له مشاهرة ليحفظ الأمن في البادية بين العراق والشام»، ويستطرد قائلا: «. . . ثم مال بوجهه إلى الشيخ فهد وقال مبتسما: أليس كذلك يا فهد «حنا» أي نحن، نعرف بعضنا فضحك كل من في المجلس سوى شيخ العمارات الذي كان يحدق نظره في السجادة، ثم يرفعه خلسة إلى المندوب السامي كأنه يقول: لابارك الله بساعة جئت فيها معك».

---

(١) ملوك العرب، جـ٢، ص ٦٨.

(٢) الصواب حذف النون لوقوعه جوابا للطلب، وكذلك بالنسبة للأرقام ٣، ٤، ٥، ٦ لأنها معطوفة.

(٧) نفس المصدر، ص ٦٨.

دارت مباحثات العقير حول ما اتفق عليه في المحمرة، فنتج عنها إبطال معظم بنود هذه المعاهدة؛ نظرا لإحساس السلطان عبدالعزيز باللعبة البريطانية، المستهدفة الحد من مناطق نفوذه، وللغموض في كثير من موادها، والنقص الواضح في عدم معالجة مواضع الإختلاف، مما يجعل المشكلات قائمة في العلاقات بين العشائر، والخلافات على حدود نجد مع جارتيها الخاضعتين للنفوذ الأجنبي من جهة الشمال الشرقي دون حل تتأمن معه شخصية نجد الاستقلالية، وتتسالم فيه العشائر العربية فيها، فتم لعبدالعزيز ما أراده، متطلعا لأكثر مما حصل عليه، فحددت في برتوكولين ملحقين الحدود بين نجد من جهة، والكويت والعراق من جهة أخرى[1] فقامت منطقة محايدة، معلمة فيها حدود كل بلد، تقوم على أساسها المخالطة بين عشائر نجد والعراق، وفق القوانين والأنظمة والأعراف، وهي منطقة مشاعة، يستفاد من المراعي والآبار فيها، ولاتكون محصنة، ولايقام فيها بناء، منعا للتصادم بين الحكومتين في حالة اشتباك عشائرهما، وتأكيدا لحسن النوايا، واستمرار تبادل المنفعة[2].

هذه الاتفاقية معدلة عن السابقة لها، وسع فيها ابن سعود مدى نفوذه، وأُخذ بوجهة نظره في بعض القضايا، وفيها طمئن بتسليمه اللاجئين من عشائره للعراق، سواء بسبب ممارساتهم الغزو والنهب أو التمرد عليه، وعدم امتثالهم للطاعة؛ لأنه من النوع الذي لايسمح بالفوضى، ولايرضى مجاملة كبير على حساب ما تتطلبه المصلحة العامة، ولا يتقيد إلا بالتعليمات المستمدة من الشريعة[3].

هذا ويتضح لنا من تصوير الريحاني للمباحثات، أنها دامت بين الخمسة والستة أيام، فهو يعطينا بدقة متناهية كل ما جرى خلالها، ناقلا بصدق العالم، وأمانة المؤرخ،

---

(١) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص ٨٤.

(٢) هذا ما حدثني به محمد بن شهيل، وكان مسؤولاً عن عشائر المنطقة الشمالية الشرقية، من عام ١٣٦٥ ـ ١٣٧٣هـ.

(٣) Philby, H. St., The Trouble in Arabia, Iraq and Nejd Frontier, Contemporary Review, London, Vol. 133, 1928, PP. 705-715.

ويراع الأديب، وشفافية الفنان، وبصيرة المجرب، ومراقب التطورات، تفصيلات جعلت من يقرأه، يشعر بأن الكاتب يضعك بين من يتحدث عنهم. يقول[1]: «وقف في صباح اليوم السادس مندوبو المؤتمر للمصورين وقفة الرضا والامتنان. . . فعاد كل إلى سبيله يثني على رجل المؤتمر، بل رجل نجد الكبير السلطان عبدالعزيز، حتى أن الشيخ فهد كان صباح ذلك اليوم من الراضين المسرورين المادحين. سأله عبدالعزيز عند الوداع: هل من حاجة نقضيها لكم فأجاب: نعم يلزمنا بعض العمانيات[2]. قال عظمته: أرسل أحد رجالك معنا نرسلها إليك من الحسا». ويضيف متحدثا عن مندوب الحكومة العراقية: «. . . فأمره محزن، كان قد مرض في الطريق. . . فوصل إلينا ورديفته الحمى. وكان أثناء المؤتمر يشكو من كل شيء: ثقل الجو، ملوحة الماء، ووحشة البيداء، وظلمة السماء، ويقبل مع ذلك يد السلطان عبدالعزيز. أظنه يجهل أن أهل نجد لايقبلون يد السلطان، وأن تقبيل الأيدي هو مستنكر عندهم»[3]،

د ـ إتفاقية بحره

بحره تقع بين مكة وجدة، أبرمت فيها إتفاقية بين حكومتي نجد وبريطانيا، في المخيم السلطاني، وذلك في الرابع عشر من ربيع الثاني ١٣٤٤هـ/ أول كانون الأول «ديسمبر» ١٩٢٥م[4]، أثناء سنة حصار مدينة جدة، وقد تولى مفاوضة عبدالعزيز، الجنرال «جلبرت كلايتون»، وفي البداية لم يرتح له عبدالعزيز لعلاقاته الوثيقة مع

---

(١) ملوك العرب، جـ٢، ص ٧٠.

(٢) العمانيات: نوع من الهجن النجيبة المتميزة بالسرعة والصبر والراحة عند الركوب.

(٣) ملوك العرب، جـ٢، ص ٧٠، ويبدو أن الكاتب جهل أن تقبيل يد ولي الأمر، والأب، والعم، والخال ليس مستنكرا.

(٤) مجموعة المعاهدات، ص ٤٤٨.

الأشراف(١)، بيد أنه لم يفته أن المصلحة البريطانية فوق الاعتبارات الشخصية، وأن بريطانيا لم يعد أمامها إلا أن تتفق معه محافظة على مصالحها، وكانت علامات الحدود التي أُتفق على وضعها في العقير، قد بدأت تدرس، وعادت الإعتداءات العشائرية سيرتها الأولى، فاضطرب حبل الأمن(٢)، مما دعا عبدالعزيز إلى معالجة هذه الفوضوية مع الحكومة البريطانية، المنتدبة على العراق، فاتفق كل من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عن نجد والجنرال جلبرت كلايتون عن العراق على(٣):

١ - معاقبة القبائل المعتدية عقابا صارما، وتحميل شيوخها المسؤولية.
٢ - تكوين لجنة من نجد والعراق، متساوية العدد، تجتمع دوريا للنظر في الإعتداءات والمخالفات، يرجع إليها في تقدير الأضرار، وتكون قراراتها نافذة.
٣ - إلزام الحكومتين بتنفيذ قرارات هذه اللجنة، وفقا لعادات العشائر.
٤ - منع اجتياز الحدود إلا بعد الحصول على رخصة، مع عدم أحقية الحكومتين منع إعطائها، عملا بمبدأ حرية الرعي.
٥ - تتعهد الحكومتان بتسهيل انتقال عشائرهما، والإمتناع عن تقديم الهدايا أيا كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الأخرى.
٦ - لايجوز للحكومتين التفاوض مع رؤساء عشائر الدولة الأخرى في الأمور الرسمية.
٧ - لايحق لقوات الدولتين، تجاوز حدود بعضهما بقصد تعقب المجرمين، إلا بعد موافقة الحكومتين.
٨ - لايجوز لشيوخ العشائر ذوي الصفة الرسمية، من الذين لهم رايات، تدل على أنهم قواد لقوات مسلحة، أن يظهروا راياتهم في أراضي الدولة الأخرى.

---

(١) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ٨٤.
(٢) مجموعة المعاهدات، ص ٤٤٩.
(٣) مجموعة المعاهدات، ص ٤٤٩، وأمين الريحاني، الأعمال العربية الكاملة، المجلد الخامس، الطبعة الأولى للمجموعة ١٩٨٠م، نجد الحديث، ص ٤٣٨ ومابعدها.

٩ ـ إذا طلبت إحـدى الحكـومتـين من عشائرها النازلة، في أراضي الدولة الأخرى تجريدات مسلحة، فالعشائر المذكورة حرة في تلبية دعوة حكومتها، على أن ترحل بعائلاتها وأموالها بكل سكينة.

١٠ ـ إذا انتقلت عشيرة من أراضي إحدى الحكومتين إلى الأراضي التابعة للحكومة الأخرى، وشنت الغارات بعد انتقالها على البلاد القاطنة فيها، يحق للحكومة التي تقيم العشيرة في أراضيها، أن تأخذ منها ضمانات كافية، حتى إذا تكرر منها مثـل ذلـك الإعتـداء، تكـون هذه الضمانات عرضة للمصادرة، وذلك عدا العقاب المنصوص عليه في المادة الأولى، وعدا ما قد تفرضه اللجنة.

١١ـ تتعهد الحكومتان بالسعي لعقد اتفاقية خاصة، بشأن تسليم المجرمين، طبقا للعادات المرعية، وذلك في مدة لاتتجاوز السنة، اعتبارا من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة من قبل الحكومة العراقية.

هـ ـ إتفاقيـة حـدة:

تعرف قديما بـ «حداء»، كانت حصنا في ذي نخيل تقع بين مكة المكرمة وجدة[١]، عقدت فيها أثناء حصار جدة أيضا اتفاقية عرفت باسمها، بين نجد والأردن، تمثله الحكـومـة الـبريطانية بشخص كلايتـون، الهدف منها تسوية المشكلات الحدودية، ومعـالجة أوضاع القبائل بين البلدين، وكان من أهم بنودها، استعادة نجد لقريات الملح، التي ظن أمير شرقي الأردن، أنه سيجعل الأطراف المعنية أمام الأمر الواقع، ولم يفلح مسعـاه؛ لأن الملك عبدالعزيز، سيلجأ لاستخلاص المغتصب بالقوة في حالة فشل المفاوضات، غير أنه لم يضطر إليها، فحقق استرداد حقه بهذه المعاهدة، وقد تم ذلك في الخامس عشر من ربيع الثاني **١٣٤٤هـ/٢** تشرين ثاني **١٩٢٥**م[٢].

---

(١) محمد بن عبدالله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، جـ٢، ص ١٣٩.
(٢) مجموعة المعاهدات، ص ٤٥٨.

و - إتفاقية تسليم جدة:

عقب يأس الملك علي بن الحسين من المقاومة، أتفق مع السلطان عبدالعزيز على تسليم المدينة، وفق الشروط التالية[1]:

١ - بالنظر لتنازل الملك علي، ومغادرته الحجاز، وتسليمه بلدة جدة، يضمن السلطان عبدالعزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين والأشراف وأهالي جدة عموما والعرب والسكان والقبائل سلامتهم وسلامة أموالهم.

٢ - يتعهد الملك علي أن يسلم في الحال أسرى الحرب الموجودين بجدة إن وجد.

٣ - يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعلاه.

٤ - يجب على جميع الضباط والعساكر بأن يسلّموا في الحال إلى السلطان عبدالعزيز بجميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات، ومدافع وطيارات وخلافه وجميع المهمات الحربية.

٥ - يتعهد الملك علي وجميع الضباط والعساكر بأن لايخربوا أي شيء من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها أو يتصرفوا بها.

٦ - يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة إلى أوطانهم، ويتعهد بإعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم.

٧ - يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين مبلغ خمسة آلاف جنيه.

٨ - يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يبقي جميع موظفي الحكومة الملكيين الذين يجد فيهم الكفاية في تأدية واجباتهم بأمانة في مراكزهم.

٩ - يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح الملك علي الحق أن يأخذ معه الأمتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك سيارته وسجاجيده وخيوله.

١٠ - يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية

---

(١) الريحاني، الطبعة الأولى من أعماله العربية الكاملة، المجلد الخامس، نجد الحديث، ص ٤٥١ وما بعدها.

في الحجاز بشرط أن تكون هذه الممتلكات من الموروثة فعلا، ولاتشتمل على الأملاك الثابتة المحولة من الأوقاف بمعرفة الحسين إلى شخصه، ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في أثناء ملكه لما كان ملكا على الحجاز.

١١ ـ يتعهد الملك علي أن يبارح الحجاز قبل الثلاثاء المقبل مساء.

١٢ ـ جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي «الطويل ورشدي والرقمتين ورضوى» تصير ملكا للسطان عبدالعزيز، ولكن السلطان يسمح إن لزم الأمر للباخرة الرقمتين أن تستعمل لنقل الأمتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع.

١٣ ـ يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بأن لايبيعوا أو يخرجوا أي شيء من أملاك الحكومة مثل اللنشات والسنابيك وخلافه.

١٤ ـ يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح جميع السكان والضباط الموجودين في ينبع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقا إلا فيما يختص بتوزيع النقود.

١٥ ـ يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح العفو للأشخاص المذكورة أسماؤهم أدناه أيضا ضمن العفو العام وهم: عبدالوهاب ومحسن وبكري أبناء يحيى قزاز، وعبدالحي بن عابد قزاز، وأحمد وصالح أبناء عبدالرحمن قزاز، وإسماعيل بن يحيى قزاز، والشيخ محمد علي صالح بتاوى وأبناء عمهم حسن وزين يتاوى وأبناء محمد نور والشيخ يوسف خشيرم والشيخ عباس بن يوسف خشيرم والشيخ ياسين بسيوني والسيد أحمد السقاف وعائلات وأموال جميع المذكورين آنفا.

١٦ ـ إن كان الملك علي أو رجاله في حال من الأحوال يخالفون أو يقصرون في تنفيذ أي مادة من المواد التي تقدم ذكرها، فإن السلطان عبدالعزيز لايعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولا عن تأدية ما عليه من هذه الإتفاقية.

١٧ ـ يتعهد الطرفان السلطان عبدالعزيز، والملك علي أن يكفا عن أي حركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضات.

الخميس في ١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ، الموافق ١٧ كانون أول ١٩٢٥م.

ز ـ معاهدة مكة المكرمة :

الحمد لله وحده :

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الإمام السيد الحسن بن علي الإدريسي. رغبة في توحيد الكلمة، وحفظا لكيان البلاد العربية، وتقوية للرابطة بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود، وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي على عقد المعاهدة الآتية[1]:

المادة الأولى: يعترف سيادة الإمام الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في إتفاقية ١٠ صفر **١٣٣٩**هـ، المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام محمد بن علي الإدريسي، والتي كانت خاضعة للأدارسة في ذلك التاريخ، هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة[2].

المادة الثانية: لايجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة، وكذا لايجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، المخلاف السليماني، جـ٢، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) عقدت هذه المعاهدة عقب خروج العثمانيين من عسير السراة، حيث استقل بها بعدهم آل عائض، الذين استبدوا، فطلبت بوادي عسير نجدة عبدالعزيز، ففعل حيث تأكد للإدريسي عدم قدرته على المواجهة، فأبرم هذه الاتفاقية ضمانا لنفسه، فتحددت بها حدود مناطق نفوذه.

المادة الثالثة : لايجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الرابعة : لايجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضى عسير المبينة في المادة الأولى .

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي على الأراضى المبينة في المادة الأولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لإمامته .

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية ، والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي عليه في الحكومتين .

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضى عسير المبينة في المادة الأولى . وذلك بالإتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ، ودواعي المصلحة .

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولا بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين .

المادة العاشرة : دونت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين .

المادة الحادية عشرة: وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ، الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٢٦م.

يلاحظ في هذه المعاهدة أن الإدريسي لم يلتزم بها ـ كما مر بنا ـ فبطلت بعد الصدام المسلح، وانها جاءت نتيجة اضطراره لحماية سلطانه المهدد، وأن الملك عبدالعزيز بحمايته أمنه من الخطر الخارجي، وأنه تسامح كثيرا معه، ووثق به، وأعطاه حرية التصرف في شؤونه الداخلية، حتى أنه لم ينص في مواد المعاهدة على حدود إمامة الإدريسي، فوصف بإمام عسير، تدليلا على حسن النية، بينما لم يصل نفوذ الأدارسة وهم في قوتهم لعسير السراة ـ وان امتد بمعاونة وتشجيع الإنجليز لهم ـ فقد ثار عليهم آل عائض، ورفضت سلطانهم معظم قبائل سراة عسير، ونجحوا في استرداد ما أخضعوه منها بمساعدة الملك حسين[1]، فلم يتأكد وجودهم كما تأكد الوجود السعودي؛ نظرا لمناصرة الأهالي والقبائل للسعوديين، ورغبتهم في الإنضواء تحت رايتهم، للإرتباطات التاريخية التي جمعت منذ بدء التاريخ السعودي بين نجد وسراة عسير.

جـ ـ معاهدة جدة:

هذه المعاهدة تعتبر من أهم المعاهدات، فرغم أن الهدف منها توطيد العلاقات الثنائية، ووضع أسس للتفاهم حول ما يثور من مشكلات بين حكومتي نجد والحجاز من جهة، وبريطانيا من جهة أخرى، فقد ظهرت اختلافات في وجهات النظر سويت باقتناع الحكومة البريطانية، بوجهة نظر الملك عبدالعزيز في مسألتي: الرقيق ومعان والعقبة، بحكم ما كانتا عليه أثناء حكم الملك حسين وابنه للحجاز، فوافق الطرفان

(١) العقيلي، كتابه السابق، جـ٢، ص ١٤٨.

أن يتم حلهـا بمـذكـرات متبادلة، وألا يتدخل الأجانب بالنسبة للرقيق في شؤون الأراضي المقدسة الداخلية.

ومن العقبات التي اعترضت مفاوضات الجانبين قضية تسليم الغزاة اللاجئين من العشـائـر للعراق، بسبب موقف حكومته المتعنت، برغم اتفاق الجانبين، على أنهم بحكم القـانون من المجرمين، الذين يستحقون العقاب[1]. وهناك قضية بناء ثلاثة مخافر في المنطقة المحرم عليها إقامة البنيان على الحدود بين نجد والعراق، الأمر الذي اعتـبر معه الملك عبدالعزيز هذه المخافر بمثابة حصون أمامية في الصحراء «لتكون مراكز لغزو بلاده في المستقبل»[2].

هذه المسألة ظلت معلقة لم يتم بشأنها أمر، ويبدو أن هذه المعاهدة من الأهمية بحيث فشلت مفاوضات سبقتها في «العقيق» قرب المدينة المنورة مع مبعوث بريطاني اسمه «جوردن»، ولاندري هل المفاوضات ـ كما يقول وهبه ـ فشلت؛ نظرا لقصر نظر المبعوث البريطاني، وقلة خبرته التي لاتستوي مع خبرة كل من: كوكس وكلايتون، فصححتهـا معـاهـدة جدة[3]، أو أن الموضوع من الدقة والأهمية، مما تطلب تمهيدا لتقـريب وجهـات الـنظر، ووضـع أسس تقـوم عليهـا المفـاوضـات الجـدية المزمع عقدها؟[4]... قد يكون مصيبا فيما وصف به جوردن، ولكن ما نربأ بأمثاله عنه، وهو المجـاهد الوطني، والسياسي المجرب، والكاتب والمؤرخ والمربي أن يعرض بزملائه، لمجرد أنه لم يشارك في المفاوضات ـ بالأخص ـ فؤاد حمزة الذي يقول فيه: «وقد اشترك

---

(١) Philby, J., The Recent History of the Hijaz, Journal of the Royal Central Asian Society, London, Vol. 12, PP. 333-348.

(٢) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ٨٨.

(٣) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ٨٤ ـ ٨٥.

(٤) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ١، ص ٢٩٨.

في هذه المفاوضات لأول مرة، الزميل الراحل فؤاد حمزة، فقد قدمه السيد شكري القوتلي لجلالة الملك عبدالعزيز باعتباره من الشبان المجاهدين، ولكن فؤاد حمزة أخيرا كان حربا على شكري القوتلي، وعونا للفرنسيين»[1].

إنه لو كان عونا للفرنسيين ضد القوتلي، الذي تربطه بالملك أوثق الروابط، لما أبقاه في خدمته، ووثق به حتى توفاه الله، وكان في الخارجية الثاني بعد عودة الدملوجي لوطنه الأصلي، بينما أقصى ما وصل حافظ وهبه منصب سفير في لندن، ومع أن المناصب لايقاس بها الرجال، إلا أن الحسد يفسد في أحيان كثيرة السجل الحافل لهم، وبغض النظر عن المآخذ على ما كتبه فؤاد حمزة، يبقى من أصحاب الفضل علما وأدبا، ولو أن وهبة لزم جانب التواضع في كتاباته لتميزها لكان له تأثير على الحياة الفكرية العربية، فكتابه «جزيرة العرب في القرن العشرين»، يعتبر من الكتب المعدودة، المعول عليها لمعرفة تطور التاريخ العربي الحديث، ولكنه كثيرا ما يتعثر فيه، وفي كتابه الآخر «خمسون عاما في جزيرة العرب» قلل قيمتها الإكثار من الحديث عن نفسه، وليته ترك ذلك لغيره؛ لأنه قمين بأن يكون مجالا للباحثين.

المهم، أبرمت هذه المعاهدة في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥هـ ١٩٢٧/٥/٢٠م، ناب فيها عن حكومة نجد والحجاز، بتفويض من الملك عبدالعزيز، نائبه في الحجاز، سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وعن ملك بريطانيا العظمى، جلبرت فلكنجهام كلايتون، ومن أهم موادها، إلغاء معاهدة القطيف، و إقامة العلاقات على أسس من الندية، والتأكيد على الصداقة بين الحكومتين[2]، اعترافا بمقام الملك عبدالعزيز، وتقديرا لسياسته، وتعزيزا لمكانته كخادم للحرمين الشريفين، ومحاولة من بريطانيا

---

(١) خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ٨٦.
(٢) انظر مجموعة المعاهدات، ص ٣٦ وما بعدها.

للتقرب منه بعدما أصبح سيد جزيرة العرب[1].

ط ـ معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين نجد والحجاز والعراق:

هذه المعاهدة، سبقها اجتماع بين الملكين العربيين: عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ملك نجد والحجاز وملحقاتها، وفيصل بن الحسين، ملك العراق على إحدى البوارج البريطانية في الخليج العربي، «لوبين»، وذلك في القرب من مياه الكويت[2]، وقد أثمر الاجتماع عن تصافي العاهلين، واتفاقهما على عقد معاهدة صداقة وحسن جوار، وتسليم المجرمين[3]، ووقعها نيابة عنهما مندوبوهم في الكويت[4]، في **٣٠ مارس ١٩٣٠م**، ولكنهم لم يتفقوا على القضايا الهامة، حيث ظلت القضيتان الحيويتان مدار خلاف، وهما: تسليم المجرمين، وهدم المخافر الثلاثة التي أقامتها الحكومة العراقية في المنطقة المحايدة، رغم ما سبق اجتماع الملكين، وما تم من وفاقهما، وتفويضهما مندوبيهم توقيع ما أتفقا على خطوطه العريضة، غير أن هذه المعاهدة تبقى المعاهدة التي قامت عليها العلاقات بين القطرين، والتي ظلت إلى وقت قريب لاتخلو من توتر عابر بسبب احتكاكات العشائر، وإصرار الحكومة العراقية إبقاء المخافر.

ي ـ معاهدة الصداقة وحسن الجوار مع إمارة شرقي الأردن:

نفس المشكلات مع العراق، نجلا الحسين من الشمال الشرقي، ومن الشمال

---

(١) Kirk, G.L., Ibin Saud Builds an Empire, Current History, Philadelphia, Vol. 41, PP. 291-297, 1934.

(٢) عبدالله العلي الزامل، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، ص ٣٧١.

(٣) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ١٣٢.

(٤) الزامل، كتابه السابق، ص

الغـربي، العشـائر مختلطة، والحدود مشتركة، والخلافات مستمرة، والانجليز بعدما ارتفع شأن الملك عبدالعزيز، بدأوا يعملون على تكتيل القوى ضده.

إذا، الحجة الحدود والعشائر، والتوتر قائم، وعبدالعزيز لايقبل بغير الوضوح في علاقاته، فحاول مع بريطانيا بصفتها الدولة المسؤولة عن شرقي الأردن، فعقد معها معاهدة، استرد ـ كما سلف ـ بها قريات الملح من الأردن، ولم يبق الآن سوى التصافي بين القـطرين العـربيين الشقيقين، وقد تحقق في معاهدة عام ١٩٣١م، حين وافق الطرفان، على تسوية بريطانية، حول صعوبة التحقق من صحة إدعاءات العشائر، فعقدت معاهدة صداقة وحسن جوار، تلاها عدد من الملحقات تتعلق بتبعية العشائر، وعقوبات المجرمين[١].

إن بريطانيا التي كانت تشعر بأن عبدالعزيز حاكم مختلف عن سواه، وكانت تنظر إليه أنـه لم يعد هناك ما يحول بينها وبينه سوى نزعته الإستقلالية، وقوة شخصيته، أخذت الآن تخشاه، فشعرت بأن قدره لايحتمل شكا بأنه يكبر يوما بعد يوم، وأنه عقب تفرده بشؤون الحجاز، وبسط نفوذه على مملكة مترامية الأطراف، لابد لها أن تحافظ على مصالحها، وتحمي صنائعها، وتؤمن حدود محمياتها، بعدما حسبت جيدا حساباتها، ودققت في سياساتها، وراجعت تقاريرها، فضمنت كثيرا من بنود اتفاقياتها ومعاهداتها معه، تعهده بعدم التعرض لممتلكاتها في الجزيرة والخليج العربي[٢].

ثانيا: المؤتمـــرات

دائما مؤسس الدولة السعودية المعاصرة، لايقدم على أمر إلا بعد فهم طبيعته،

---

(١) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ١٢٩.

(٢) Philby, J., Forty Years in the Wilderness, P. 102.

ومعرفة دقائقه، وبقدر الإمكان يتجنب الصدام، وكثيرا ما يلجأ للتسويات السلمية بشتى الوسائل، ويجتهد في سبيل إحلال الوفاق على الصعيدين: الداخلي والخارجي، ومن سماته التريث، وعدم التسرع، وتقليب ما يحدث خلافا لما يريده على جميع الوجوه، والتفكير العميق قبل التقرير، فيجرب ويحاول، ويستعمل الحكمة في معالجته، ولا يتغير بما يؤمن به، وما يعتقده صوابا، فيثبت على موقفه، وفي حالة عدم اقتناع الخصوم بحججه، يلجأ للقوة، دفاعا عن وحدة البلاد، وحرصا على تجميع الجهود، وتوحيد الأهداف، وكانت من وسائله لتلافي الاشتباكات المسلحة، عقد المؤتمرات، والموافقة عليها، مادامت تخدم الصالح العام، ولربما ينتج عنها ما يخلق التآلف والتفاهم.

أ ـ مؤتمر الكويت:

عقد هذا المؤتمر، بناء على دعوة المندوب السامي البريطاني في الخليج العربي، الكولونيل/ نوكس، الذي كان يستعجل عقده، نظرا لقرب إحالته للتقاعد، بغية تتويج خدمته للتاج البريطاني بعمل متميز، يخلصه من عقدة كوكس، المعتبر أقدر موظف إنجليزي مسؤول خدم في الخليج[1]، حتى يتصافى الفرقاء من أصدقاء بريطانيا وهم: نجد من جهة، وشرقي الأردن، والحجاز، والعراق من جهة أخرى، أي مواجهة عبدالعزيز بالتكتل الهاشمي[2]، الذي أشعره بالمرارة، وأفسد عليه سبل الوفاق مع كثير من الأطراف، على الصعيدين: الداخلي والخارجي، فقد ألبوا القبائل على بعضها، وشجعوا النهب[3]، وصعدوا الخلافات على الحدود، وحالوا دون إتفاق الأمة العربية[4].

إنه رغم اقتناع عبدالعزيز بعدم جدوى نتائج هذا المؤتمر، والذي صادف إنعقاده

---

(١) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ٢٦٢.

(٢) موضى بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود، الملك عبدالعزيز، ومؤتمر الكويت، ص ١٢١.

(٣) الكتاب الأخضر النجدي «مؤتمر الكويت» ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣.

إصابته بمرض كاد يودي بحياته، طلب تأجيله ريثما يتماثل للشفاء[1]، بيد أن المندوب البريطاني ظل يلح عليه، وعلى حكومته في ضرورة تسوية جميع المشكلات المعلقة، مظهرا أهمية مشاركة سلطان نجد، والتعجيل في عقد المؤتمر في موعده المقرر[2]، لأن «حل المشاكل... المعلقة لاتزيدها الأيام إلا تعقيدا...»[3]، وأن تأمين المصلحة البريطانية العليا في الخليج والجزيرة العربية، يتطلب فورا معالجة القضايا الهامة التي يمكن لهذا المؤتمر حسمها، فتتحقق بذلك كينونة الوجود البريطاني، الذي سيتأثر ما لم تقم صلات مبنية على التفاهم[4].

وافق عبدالعزيز على الاشتراك في المؤتمر، بعد أن اشترط مفاوضة كل حكومة من الحكومات الثلاث على حدة، فقبلت الحكومة البريطانية شرطه[5]، حيث أبتدأت عقب ذلك أعمال المؤتمر، التي استمرت من ١٧ ديسمبر ١٩٢٣ - ١٩ ابريل ١٩٢٤، وخلال ذلك كان مصطفى كمال قد ألغى في فبراير عام ١٩٢٤م، الخلافة الإسلامية، مما فتح الباب لمطامع الملك حسين بها، وكان ذلك من عوامل إفشال المؤتمر غير المباشرة، إذ ضاعف من تعنت حسين، وعدم استجابته لنداءات المصالحة مع السلطنة النجدية[6].

---

(١) انظر: Translation of a letter No. 76, Dated 16th of Rajab, from the Sultan of Najd to the Political Resident in the Persian Gulf. Public Record Office, of 371/9998.

(٢) Letter from the Political Resident in the Persian Gulf to the Secretary of State for Colonals Office, 2nd. March, 1924. Koweit conference. Public Record Office, F.O. 371/9998 London.

(٣) حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ٢٦٢.

(٤) Letter from Colonial Office, No. 13943, Dated 21st March 1924. Public Record Office, O.F. 371/9998.

(٥) وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ٢٦٢.

(٦) موضى بنت منصور آل سعود، كتابها السابق، ص ١٢٢.

يبدو أن عدم تحمس سلطان نجد للإشتراك في هذا المؤتمر، علمه مقدما بفشله، وكان قد قرر الحسم، والقيام بعمل يتفق مع قناعاته الوحدوية، من غير تبعية تعرضه للملامـة، وتؤدي به إلى أوخم النتائج، وتلقين من يتوهمون اهتزاز سلطانه، وقرب نهايته، درسا في الأخلاق والتعامل، ويخيب ظنونًا لاتستند على أساس، ولم تنبعث إلا من الحقد الأسود.

لقد استغرقت أعمال المؤتمر ما يقرب من الأربعة أشهر، انتظمت دورين، الدور الأول بدأ في ١٧ ديسمبر ١٩٢٣م، وقد دارت فيه المباحثات حول منازعات الحدود، واختـلافـات العشـائـر، ولم يحضره منـدوبون يمثلون الحجاز، رغم استعداد الملك حسين، إرسال ابنه الأمير زيد، ليمثله فيه، على أن يبعث عبدالعزيز أحد أنجاله، لينـوب عنـه في المفاوضات، غير أن عبدالعزيز، أفاد الحكومة البريطانية، بأنه منح مندوبيه التفويض الكامل، مما لايتحتم معه إرسال أحد أنجاله[١]، للإشتراك في دور المؤتمر الثاني، الذي ابتدأ بعد فترة توقف للمشاورات، في ٢٥ ـ ٣ ـ ١٩٢٤م[٢].

هذا، وقد انفض المؤتمر دون الوصول إلى النتيجة التي كانت تطلبها بريطانيا، ففشل فشلا ذريعا بسبب موقف الأردن المتشدد، ومطالباته غير المعقولة، ووضوح روح العـداوة في تصرفـات ممثليه، وتعـالي الملك حسـين، ومغالاته في المطالب وتذبذب مواقفـه[٣]، وكـانت قد تطورت الأحداث في الرياض بعدما اكتملت الاستعدادات النجدية، للتحرك نحو الحجاز.

---

(١) الكتاب الأخضر النجدي «مؤتمر الكويت»، ص ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٣) لمعرفة المزيد عن أعمال مؤتمر الكويت ارجع إلى: الكتاب الأخضر النجدي، حافظ وهبة في كتابيه: جزيرة العرب في القرن العشرين، وخمسون عاما في جزيرة العرب، الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ٣، فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، موضى منصور آل سعود، الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت، وترجمة خطاب سلطان نجد، رقم ٧٦ في ٦ رجب، وخطاب مندوب بريطانيا في الخليج لوزير المستعمرات، المؤرخ في ٢ مارس ١٩٢٤م، وخـطاب وزارة المستعمـرات رقم ١٣٩٤٣ في ٢١ مارس ١٩٢٤م، دار السجـلات البـريطانية، لنـدن، قسم المخطوطات الأجنبية تحت رقم ٩٩٩٨/٣٧١، وغير ذلك من المراجع والمصادر.

ب ـ مؤتمر النظر في فتح الحجاز:

بعد أن يئس سلطان نجد من عقم المعالجات البريطانية، وكان قد عرف أساليب البريطانيين، وحقيقة مراميهم، قرر الإقدام على عمل إيجابي أكسبه شرعية الحق التاريخي، ودعمه بحجة منع النجديين من القيام بفريضة الحج، فدعا لمؤتمر سيعقده في الرياض، أثناء انعقاد مؤتمر الكويت، الذي اكتشف في مفاوضات دوره الأول ميوعة الموقف الإنجليزي، ومكابرة الملك حسين، ومطالب إمارة شرقي الأردن التعجيزية، واستمرار التوتر مع العراق رغم اعتداله، على الحدود، وبين العشائر.

انعقد المؤتمر في ذي الحجة عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، وكان قد وفد على العاصمة جموع هائلة من جميع أرجاء السلطنة النجدية، للسلام على السلطان، وتقديم التهنئة بحلول عيد الأضحى من هذا العام، فطلب من أفراد الأسرة الحاكمة، وكبار العلماء حضور المؤتمر، ومن كل الرؤساء والأمراء والأعيان، من جميع أنحاء البلاد البقاء، مبديا رغبته في عقد اجتماع معهم، لبحث موضوع في غاية الأهمية، وكان جميعهم قد أدرك من تلميحه مرماه من جمعهم، وكلهم ساخطون يتمنون صدور أمره بالجهاد، وكان لهم ما أرادوه، بعدما شرح ولي الأمر هدفه، وبين مواقف الملك حسين المعادية، مستعرضا جميع الأحداث بين نجد والحجاز، وكيف أنه لم يكتف بالمجاهرة بالعداوة، والتهديد والوعيد، ولم ينته عند حد عدم الاهتمام بأهل نجد، واستعداء القريب والبعيد عليهم، ووراثة أحقاد أسلافه مضاعفة عشرات المرات، بل تمادى فكفرهم، وحاول إخراجهم من الإسلام، وهم على سنة رسوله المطهرة ﷺ، وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم، ويزداد غلوه وتحقيره وتجنيه كلما حاولنا استرضاءه[1]، إلى أن بلغ الأمر مبلغه، مما لا يحتمل معه الصبر، فمنعنا عن حج بيت الله الحرام، أداء ركن من أركان الإسلام[2]،

---

(١) Philby, J., Arabian of the Wahhabis, P. 85 - 86.

(٢) Rihani, A., Maker of Modern Arabia, P. 175.

وقد بذر الشقاق، وحرض القبائل على بعضها، متجاهلا حقوقنا التاريخية والحق، وممعنا في الاستهتار[١].

إثر حديث السلطان عبدالعزيز إلتهب حماس الحاضرين، فأخذوا ينددون بسياسة حسين، الذي لاينفع معه سوى تخليص الحجازيين من ظلمه[٢]، بيد أن السلطان لم يشأ الاستسلام للعاطفة، والانسياق خلف الغضب، والوقوع تحت تأثير الحماس، والتهاب المشاعر، وتأجج النفوس، فوافقهم على كل ما يقولونه عن الملك حسين، وأنه مهما أصابه قد لايكفيه، وأننا لم نترك سبيلا إلا سلكناه بغية جمع الكلمة، وتوحيد الصف، أو على الأقل نصل إلى نتيجة سلمية، ولكن ما حصل هو أننا عندما نقترب يبتعد، وحين نطلب تسوية ما بيننا يتضاعف تعنته، ويبالغ في تسفيهنا، وإنا لم نكن في يوم من الأيام نصبر، متحملين إهانات لايسكت عليها، وغاضين الطرف عما يبدر منه نحونا على اعتبار أنه رجل مسن[٣].

برغم قناعة عبدالعزيز التامة بعدم جدوى التفاهم مع الملك حسين، فقد رجع للعلماء طالبا رأيهم، فرأوا أن الحج فريضة، ومن المستحسن أداؤه بالرضى، إلا أن عبدالعزيز أجابهم: من العبث التفاهم مع الملك حسين، ومن المستحيل أن ننتهي وإياه إلى ما نحبه والله يرضاه، فنحج بسلام، ونجعل بيننا وفاقا، فالرجل يتطاول في استفزازاته، ويتعالى في تعامله معنا.

استمع العلماء لما قاله، فرأوا رأيه ما دام واقفا «على التطورات السياسية»، فأقر

---

(١) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص ٨٧.
(٢) بيار روفايل، صقر الصحراء، ص ٣٠١.
(٣) Rihani, A., Op. Cit., 176.

المجتمعون غزو الحجاز[١]، رغم أن السلطان لم يكن قد عرف ردة الفعل الانجليزية حيال ما سيقوم به، وكان يخشى التدخل البريطاني لصالح حسين، لما بينهما من حلف وصداقة، والذي لايبدو أن عبدالعزيز كان يعلمه ما جدّ من فتور بين الملك حسين والإنجليز، حين أخذ البريطانيون يملّون عناده، ويضيقون بكثرة مطالبه، ويستاؤون من مواقفه حول العديد من القضايا[٢].

إنـه رغم عدم علم الملك عبـدالعزيز في الجديد الذي شاب علاقات بريطانيا بالحجاز، وعلمه الأكيد بما بينهما من تحالف، حال بينه وبين غرضه عقب معركة تربة، فقد عزم ضاربا عرض الحائط بالمعارضة البريطانية، ومصمما على إنهاء الفرقة بالوحدة، فأمر بالجهاد، حيث ذهب كل إلى شأنه سعيدا بما تم، وبالتالي بدأت الاستعدادات للتحرك العسكري نحو الحجاز، وسرعان ما تجهزت ألوية الغزو بعد إقراره[٣].

جـ ـ المؤتمر الاسلامي في مكة المكرمة:

وجـه السلطان عبـدالعـزيز، قبـل سفـره للحجـاز، رسائل لرؤساء الحكومات الاسـلامية، دعـاهم فيهـا إلى عقد مؤتمر[٤]، يتقرر فيه مصير الحجاز، بعيد انتصار جيوشه على جيوش الملك حسين، وعند دخوله مكة المكرمة، نشرت الجريدة الرسمية[٥] بلاغا لأهل الحجاز، أوضح فيه عبدالعزيز هدفه من عقد مؤتمر إسلامي، مؤكدا على أنـه لايقبل بغير الشريعة المطهرة بديلا، ولكن يبدو أن ظروف حصار مدينة جدة،

---

(١) أحمد عسه، كتابه السابق، ص ٨٧.

(٢) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة: ناصر الدين الأسد، واحسان عباس، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٣) Rihani, A., Op. Cit., 178.

(٤) أمين الريحاني، نجد الحديث، الطبعة الأولى من المجموعة الكاملة، مجلد ٥، ص ٣٥٩.

(٥) أم القرى، العدد (١)، في ٥ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ.

وانشغاله في إقرار الأمن، وتأمين سبل الحجاج، وتيسير أدائهم فريضة الحج، ومعالجة مشكلات الحجاز الداخلية، وإحساسه بأن معظم الدول الإسلامية لاتملك سيادتها، وأن بعض رؤسائها لايهمهم من أمر الحجاز غير الحيلولة بينه وبين حكمه، حسدا وطمعا، فقد أصدر بيانا في ٢٢ جمادى الثانية ١٣٤٣هـ، ٧ يناير ١٩٢٦م، أعلن فيه عدوله عن الدعوة لإنعقاد المؤتمر، نظرا لعدم استجابة هذه الدول للدعوة التي وجهت إليها[١]، وفي اليوم التالي بويع عبدالعزيز ملكا على الحجاز[٢]، قاطعا في خطوته هذه كل أشكال المساومة، ومحددا نهجه، عازما على المضي في الخطة التي رسمها لحكمه، إنقاذا له مما هو فيه، وانفاذا لأحكام الشريعة، التي قد لاتطبق بحذافيرها في حالة حكمه من دول وهيئات العالم الإسلامي، حرصا منه على تحكيم كتاب الله، والأخذ بسنة رسول الله ﷺ؛ لأن الملك لايطمئن للتأثير الغربي المتغلغل في نفوس زعماء المسلمين، فحسم القضية بعيدا عن تدخل هؤلاء بشؤونه الداخلية.

بعد أن اشترط الملك عدم بحث المؤتمر في مكة قضية الحكم في الحجاز، من ممثلي الدول والهيئات الإسلامية، انعقد المؤتمر في ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٤هـ[٣]، فلم يلب الدعوة سوى جمعية الخلافة الهندية، والهيئة العربية العليا في فلسطين، ممثلة بأمين الحسيني، والملك كان قد حقق رغبة الحجازيين في قبوله طلبهم ملكا عليهم، لأنهم لايريدون تعريض أنفسهم للضياع، من خلال جمعية لايوافقون على أن تحكمهم من بعيد[٤]، ومن خلال نظرة مخالفة لكثير مما ألفه الحجازيون، ومن منطلق الوصاية وبأسلوب التغريب المرفوض جملة وتفصيلا، وهذه الجمعية نفسها تعيش في بلد ليس فقط يشكل فيه المسلمون أكبر الأقليات، أو أنه بعيد لاتجانس بينه وبين البلاد

---

(١) أم القرى، العدد الخامس.

(٢) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٧٥.

(٣) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٧٦.

(٤) أمين الريحاني، نجد الحديث، الطبعة الأولى من المجموعة الكاملة، مجلد ٥، ص ٤٢٧.

الحجازية، بل لأنه واقع تحت الاحتلال النصراني، والحجاز بلد مستقل، دعم استقلاله ملكه الجديد: فطهره من الفساد، وأنصف مظلوميه، وطمأن أهله في الأمن الذي يعيشونه، وحكم فيهم الشريعة، وهو ليس غريبا عنه، فله حق تاريخي، وطوال عصور التاريخ لم تنقطع صلة نجد بالحجاز: بدوا وحضرا، وأصلا، وتشابها في العادات والطبيعة.

لقد حضر المؤتمر، إضافة إلى جمعية الخلافة التي بالغت في مطالبها، والهيئة العربية العليا، مجموعة من الشخصيات الإسلامية البارزة، بعضهم حباً في الوقوف على أوضاع البلد المقدس، وبعضهم بدعوة من جلالة الملك أمثال السيد رشيد رضا، ومع أن الملك فؤاد رفض المشاركة، فقد بعثت مصر مندوبا عنها لحضور المؤتمر، بصفة مراقب[1].

هذا المؤتمر لم تكن نتائجه إيجابية، فانتهى إلى الفشل، نظرا لتباعد وجهات نظر المؤتمرين، وعدم تجانس ثقافاتهم، واختلاف مشاربهم، وتباين أساليبهم في شأن إصلاح أوضاع الحجاز، مما يدل على الضعف الذي كان قد اعترى العالم الإسلامي، والوضع المؤسف الذي آل إليه، والنزعات الفردية المستحكمة ببعض زعمائه، وتجاهل البعض الآخر الشرط الذي اشترطه الملك قبل انعقاده، والاستفزازات التي تعمدها بعض المشاركين، فمضى الملك مستعدا لتحمل المسؤولية الجسيمة، بعدما كشف حقيقة الغايات، مصمما على خدمة الحجازيين، من منطلق إسلامي، وبروح تستهدف الإصلاح.

د ـ مؤتمر الرياض لبحث الخلاف مع الإخوان:

انعقد هذا المؤتمر في **٢٥** رجب **١٣٤٥**هـ / يناير (كانون ثاني) **١٩٢٧**م، لبحث

---

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٧٦.

ما أثـاره الاخـوان في مؤتمرهم في الارطاوية، الذي عند سماع الملك بقراراته[1] عاد للرياض من الحجـاز، قاطعـا مفاوضاته مع الحكومة البريطانية، حول المخافر التي أقامتها الحكومة العراقية، مخالفة بذلك ما نصت عليه معاهدتنا: المحمرة، والعقير، على جعـل المنطقة المحايدة بين نجد والعراق، منطقة لاتقام فيها المباني، لكي لاتتحول لعـامل مشجع على احتكاكات قبائل الدولتين، مما قد يترتب عليه توتير للعلاقات، يحتمل معها قيام حرب بين الحكومتين[2].

إن الثبـات الـذي تميز به الاخـوان النجـديون، شانه تعصب مقيت، وأطماع شخصية، وتفكير قاصر لم يتفهم طبيعة العصر، وناموس الارتقاء البشري، فغابت عن أذهانهم عوامل التطوير[3]، فورطوا عبدالعزيز في قضايا جانبية، وأوقعوه في مشكلات لاتحتمل قتال الأشقاء، فصبر وجامل، ولكنه لم يتراخ أو يهمل الحزم لحظة من لحظات حياته، لأنه يعرف حقيقتهم، ولكنهم اشتطوا كثيرا، وعن المسار المطلوب لتحقيق الوئام انحـرفـوا، فغالوا مغالاة، بات فيها التفاهم مستحيلا، حيث رفضوا التسويات ولم يقابلوا الود بالاستجابة، جاهلين روح العقيدة، وماهية المفاهيم الإسلامية.

لقد استعان الملك بالعلماء عليهم، واستعمل معهم الحكمة، وتساهل في كثير من الأمور، معرضا نفسه للوم بعض المتنورين، بغية التوفيق، ومنع قيام فتنة أهلية، وعمل ما في وسعه لمنع الصدام، ولكنهم تمادوا متوهمين قدرتهم على تعجيزه، حتى يكون أسير رغباتهم، المنبعثة من أفكارهم المشلولة، ولكن الملك لايخيفه تهديد أو ينقاد للأنانيات والاتجاهات الانفصالية، فأقام حوارا مستعدا لتأديب من تخوله نفسه على الخروج، وقد

---

(١) أنظر: قرارات مؤتمر الاخوان في الأرطاوية في فصل «تثبيت الكيان».

(٢) Wahba, Hafizh, Wahhabism in Arabia: Past and Present, Journal of the Central Asian Society, Vol. xvi, Part IV, 1929, PP. 458-467.

(٣) IBid.

أشـار لذلـك في المؤتمر، الذي حضره جميع زعماء الاخوان، عدا سلطان بن بحاد، وفيصل الدويش[1]، وهما أكبر رأسين فيهم، بيد أن الملك فوت عليهما الفرصة، وأظهر خطل تصرفهما بالحجة، شارحا للمجتمعين الموقف، ومبينا الحقائق، فاقتنع كل من في الاجتماع بسلامة منطقه، فجددوا مبايعته.

بعد ذلك انفض الاجتماع، بنصر معنوي جديد ناله الملك، الذي لم يشأ الاكتفاء بما حصل عليه، دون تعزيزه برأي الدين، فطلب من كبار العلماء النجديين إصدار فتوى بما يعترض عليه الاخوان، إيمانا منه بأهمية ذلك في حكمه، فأصدروا فتوى فحواها[2]:

من محمد بن عبداللطيف، وسعد بن عتيق، وسليمان بن سحمان، وعبدالله بن حسين، وعبدالله بن عبدالعزيز العتيق، وعبدالله العنقري، وعمر بن سليم، وغيرهم.

من هؤلاء، صدرت الفتوى، وقد جاء فيها: إنه لايصح البت في موضوع البرق، لكونه من اكتشافات الزمن الحديث، مما جعلهم لايبدون رأيا فيه، وقد نصت الفتوى بهدم قبري الحمزة وأبي رشيد، وإبطال ما كان معمولا به من القوانين في الحجاز ـ إن وجـدت ـ حيث لايجـوز الأخـذ بغير الشرع المطهر، ومنع دخول الحجاج المصريين بالأسلحـة، لأن القـوة في بيتـه الحرام غير جائزة، ودخول المحمل المصري المسجد

(١) Habib, John. S., The Ikhwan Movement, Ph. D., 1970, P. 229.

(٢) طالع تفصيلات المؤتمر، والفتوى في أم القرى، الأعداد: ١١١ في ٢٨ يناير، ١٢٦ في ١٠ مايو ١٩٢٧م، ٢٠٨ في ١٨ ديسمبر، ١٩٢٨م، وفي الريحاني، نجد الحديث في جميع طبعاته، وحافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، وجون حبيب في رسالته المتقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة ميتشجن ١٩٧٠م وعنوانها: حركة الاخوان النجديين: نهضتها، نموها، أفولها «لم تنشر»، وفي غيرها من المصادر والمراجع، والدوريات والصحف والمجلات، عربية وأجنبية.

الحرام، ومنع التمسح به أو تقبيله، وعدم السماح للمرافقين له من القيام بالملاهي والبدع، مما يتنافى مع حقيقة العقيدة، ومن المستحسن منعه عن مكة بقدر الإمكان، شريطة ألا يتبع ذلك مفسدة، وإلا فاحتمال أخفهما سائغ شرعا.

بالنسبة لشيعة الاحساء والقطيف، فقد رأوا منعهم عن إقامة شعائرهم، وإجبارهم على دخول مذهب أهل السنة والجماعة، وترك الدعاء للصالحين من آل البيت وغيرهم، وزيارة القبور، وإلزامهم بأداء الصلوات الخمس مع غيرهم في المساجد، وأن يرتب فيهم أئمة ومؤذنون ونواب، وتعليمهم الأصول الثلاثة وإزالة محالهم المخصصة لإقامة البدع.

«أما البوادي والقرى التي دخلت ولاية المسلمين: فأفتينا الإمام أن يبعث لهم دعاة ومعلمين. ويلزمهم نوابه من الأمراء من كل ناحية بمساعدة المذكورين على إلزامهم بشرائع الإسلام، ومنعهم من المحرمات. وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين: فأفتينا الإمام بكفهم عن الدخول في مراعي المسلمين. وأما المكوس: فأفتينا إنها من المحرمات الظاهرة، فإن تركها فهو الواجب عليه، وإن امتنع فلا يجوز... الخروج عن طاعته من أجلها. وأما الجهاد: فهو محول إلى نظر الإمام، وعليه أن يراعي ما هو الأصلح للإسلام والمسلمين، على حسب ما تقتضيه الشريعة الغراء. ونسأل الله لنا وله ولهم ولكافة المسلمين التوفيق، وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه وسلم.

من هذه الفتوى، نجد أن الملك قد وضع في موقف حرج، وضيق عليه تحركه عن حسن نية، وفق مفهوم محدود لايتناسب مع منطلقاته الرحبة، فهو إمام صالح وملك عادل، ومهمته الأساسية تنفيذ أحكام الشريعة، وحماية المقدسات، والانفتاح على الجديد، مما لايتعارض مع العقيدة، وهذه الفتوى رغم أنها:

١ - جاءت في مجملها على غير رغبته، مما يتضح معه أن العقول لم تكن في تلك الفترة قد استوعبت معنى الدولة، حتى من بين صفوف العلماء، فإنه لايستطيع مخالفة

الممكن، لأنه عارف سبيله، ومدرك كيفيات تحركه على ضوء ما يمليه عليه معتقده السلفي النقي، فمن غير المعقول أن يأخذ رجل في مثل تفكيره برأي بدو جهلة غلاة، عاشوا قرونا طويلة في ظل حياة لايعترفون فيها بشريعة أو ينصاعون لنظام أو يهابون حاكما، ما لم يظهر قوة خارقة، لايستطيعون حيالها سوى الطاعة، رهبة لا رغبة.

٢ - وبما أنه يعلم أن الإسلام دين ودنيا، فقد استلهم نهجه في الحكم من تعاليمه، واسترشد بالعلماء، وكان متسامحا بغير ضعف، وقويا رحيما، ومحافظا بلا تزمت، فتشدد في تطبيق الأحكام الشرعية، واتبع أوامرها، وامتنع عن النواهي، فالتزم حتى شهد له بالحرص على الدين، فامتاز بالورع، لأنه فطر على التقى، ونشأ في دوحة خيرة، وقد وعى أن الدين لايتعارض مع التطور، وأنه لايعني تحجرا، لأن التحجر تعطيل للعطاء، ولم يغب عنه في يوم من الأيام، فهم حقيقة الإسلام من أنه دين قناعة لاقسر فيه، وأنه يدعو لكسب الناس بالحسنى.

٣ - المكوس في ذلك الوقت، كانت ضرورة، لأنها مورد أساسي في الدخل الوطني، والحكم في تحريمها، سيسبب أزمة اقتصادية، رغم أن استمرارها لايوجب الخروج على ولي الأمر، الذي لم ينطلق من فراغ، ويتمتع ببعد تاريخي، وحق شرعي، ويتصف بصفات المسلم الحقيقي: عملا، وقولا، وجهادا، وإخلاصا، وإصلاحا.

٤ - لقدساير الملك، مستوعبا كل الأمور، وفاطنا لأصحاب الأغراض، فنفذ الممكن، مدركا أن خلوص النية - إن توفرت في عامة الاخوان الذين وضع تعصبهم سدا منيعا، حال بينهم وبين جني الثمار - فزعماؤهم تجاوزوا قدرهم وحدهم وطمعوا فيما لاحق لهم فيه.

هـ - مؤتمر خباري وضحا[1]:

عقب كسر شوكة الغلاة من الاخوان، وتحطيم معنوياتهم، وكان الملك بيده أن

---

(١) هي عبارة عن أرض خلاء، قرب الحدود العراقية، تتجمع فيها مياه السيول عقب هطول الأمطار، أقام فيها الملك عبدالعزيز مخيما.

يقضي على بعض رؤوس الفتنة حال انتصاره عليهم، ولكنه لم يفعل إنسانية ووفاء، غير أنهم لم يرعوا الجميل، فهذا كل من: الدويش وابن حثلين وابن لامي، يلجأون للإنجليز في العراق، متناسين ما قالوه عنهم، ومتجاهلين أن من أهم أسباب خروجهم على الملك، إنكارهم في مؤتمرهم في الارطاوية رحلة ابنه الأمير فيصل لعاصمتهم، وابن بجاد رغم ضيق أفقه، وإنغلاق تفكيره، وقطعه الطريق بين نجد والحجاز، فإنه ظل على موقفه، لم يشأ اللجوء إلى قوم اعتبرهم كفارا...

المهم، أن الملك عسكر في خبارى وضحا في ٢٠ شعبان ١٣٤٨هـ/ ٧يناير «كانون ثاني» ١٩٣٠م، بهدف مفاوضة الانجليز بشأن تسليم بعض قادة الاخوان اللاجئين للعراق[١]، بيد أنه يبدو أنه كان مصرا على عدم القبول بغير تسليمهم حلا، الأمر الذي بدأت فيه نبرة التهديد، وإلا لما سلمتهم الحكومة البريطانية رغم معارضة ملك العراق[٢].

بدأت المفاوضات بين الملك عبدالعزيز وبريطانيا بعد ظهر نفس اليوم الذي حل به الملك في المكان المشار إليه[٣]، حين هبطت طائرة تقل وفدا بريطانيا برئاسة الكولونيل «بسكو»، المقيم السياسي البريطاني في الخليج، وعضوية كل من: الكولونيل «دكسن»، المعتمد السياسي في الكويت، ومساعد قائد الطيران العراقي، الكابتن «برنت»[٤].

دامت مفاوضات الجانبين قرابة سبعة أيام، انتهت بتسليم المطلوبين في اليوم التالي

---

(١) أم القرى، العدد ٣٠٩، في ١٦ جمادى الأخره ١٣٤٩هـ.

(٢) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٣٠٥.

(٣) Cable form Colonel Biscoe,; 17 January, 1930, Public Record Office Mss., F.O. Vol. 14449, Doc. No. E 275.

(٤) عبدالله العلي الزامل، أصدق البنود، ص ٣٦٦.

من إنتهائها، الذين حملتهم طائرة بريطانية حطت في الموضع الذي عسكر فيه الملك، وقد رافقهم «دكسن»، وقائد الباخرة التي كانوا على ظهرها، وهم في ندم وخذلان(١).

لعل ما ذكرناه أهم المعاهدات والمؤتمرات التي تمت أثناء فترة دراستنا، لأننا نتبين منها التحرك السياسي، الذي أظهر قدرة مؤسس الدولة السعودية المعاصرة، وأكثرها بعدا في تعميق كيانها، وتوضيح صور تطوراتها السلمية، وملامح اتجاهاتها، ومقدار تحولاتها، وعلى الرغم من أنها قامت أساسا على السيف المجند لاسترداد ما ضاع، فإنها تأكدت بالحوار القائم على المنطق والممكن والعزيمة الجبارة، والثقة بالنفس، ونهضت بالعمل المصحوب بالشعور بالإصلاح، والتطلعات الطموحة لتحقيق الأفضل.

حتى . . . وإن فشلت بعض هذه المعاهدات والمؤتمرات، فنتائجها تبقى إيجابية لقراءة تأسيس دولة، وتتبع أحوالها في جميع المراحل التي مرت بها على شتى الصعد، منذ عهد طفولتها إلى مرحلة نضجها، حيث تجسدت فيها كل تجارب الانسان المعاصر، وخلاصة خبرات الجزيرة العربية، ونضالات العالم العربي، ضد التمزق، والفقر، والانحراف، فالدولة السعودية المعاصرة، تمثل القدوة، لأنها بدأت صغيرة فكبرت بالوحدة بعد الشتات، واغتنت، لأنها جدت في محاربة الفقر، واستقامت، لأنها تمثلت تعاليم الاسلام، واحتفظت بالقيم الأصيلة.

طبعا، هذه لم تكن جميع المعاهدات والمؤتمرات التي عقدت خلال الفترة التي نبحثها، فقد عقدت معاهدات أخرى، وشاركت الدولة في العديد من المؤتمرات ـ وإن لم تكن في مستوى ما أفردنا لها الحديث، فالملاحظ أنها أسهمت إلى حد كبير في شيوع اسم الدولة، وظهورها ككيان مستقل، وأعطت فكرة عن موقفها، وكيفية تحركها، وكمية نشاطها، وهي في جملتها تعد إشارة لأوضاعها المستقرة، وإيضاحا لعضويتها في

---

(١) Dickson, H.R.; Kuwait and Her Neighbous, P. 320.

الأسرة الدولية، ففي ١٩٢٦م، اشترك ممثلون عنها في مؤتمر عقد في حيفا في فلسطين، للبحث في مدى الاستفادة من استخدام السكة الحديد، وما بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٣٢م، وهو العام الذي سنتوقف عنده عقدت اتفاقية تجارية مع المملكة المتحدة[1].

عند هذا الحد شئنا أن ننتهي، مرجئين اعترافات الدول إلى فصل «السياسة الخارجية»، والاصلاحات إلى فصل «السياسة الداخلية»، ذلك لأن السياسة التي انتهجها مؤسس الدولة، أظهرت أهميته عربيا وإسلاميا ودوليا، وتطلعه للإصلاح جعله يبحث عن دخل يحقق من خلاله مطالب الحياة العصرية.

---

(١) طالع في هذا الموضوع «مجموعة المعاهدات»، وفؤاد حمزه - البلاد العربية السعودية، ص ١٢٩ وما بعدها.

الفصل الخامس

الفصل الخامس

السياسة الخارجيـة

أولا : العلاقات مع الجيران :

العلاقات بين الرياض وحائل

العلاقات النجدية الحجازية

العلاقات مع حكام عسير

مع الكويت

مع البحرين

مع قطـر

مع مشيخات الساحل العماني

مع عمان ومسقط

مع العراق

مع الأردن

مع اليمـن

ثانيا : المواقف العربية والإسلامية :

مع مصـر

ثالثا : عبدالعزيز والقضايا العربية :

١ ـ قضية فلسطين

٢ ـ المسألة السورية

رابعا : عبدالعزيز والصراع الدولي

خامسا : تنظيم الصلات الدولية

الفترة التي نبحثها تنقسم إلى قسمين: فترة ما قبل انضمام الحجاز، حيث كانت صلات نجد وتوابعها الخارجية، صلات حرب وسلام، حرب على الأتراك العثمانيين والضالعين معهم، وسلام مع الانجليز الذين هادنوا مؤسس الدولة السعودية المعاصرة، ساعين لكسبه - كما رأينا - أو لضمان حياده أثناء الحرب العالمية الأولى، حماية لمصالحهم، ولتطمين حكام محمياتهم في الخليج والجزيرة العربية، ولتوقعهم بعد معرفته بأنه سيكون رجل المستقبل العربي، لتمتعه بالقوة وبعد النظر، ولم يكن خافيا عليه ما كانوا يرمون إليه، ولكنه لم يملك ما يواجههم به، فرأى أن يتأنى فداورهم، وبالتدريج أدرك مراده، وحين واتته الظروف المناسبة تخلص من شروطهم.

كانت علاقاته الخارجية في النصف الأول من مرحلة التأسيس محصورة في: جيرانه، والدولتين المتصارعتين في المنطقة وهما: دولة الخلافة العثمانية، والمملكة المتحدة، وبعض أحرار العرب، الذي سمعوا عن بطولاته، فقصدوه مؤملين في مساعدته لتخليصهم من الاحتلال الأجنبي، فعمل على كل الجبهات محققا انتصارات حضارية وعسكرية وأمنية، فبرغم الصعوبات الاقتصادية القاسية المعترضة سبيله، والمفاهيم القبلية، والنزعات الاقليمية نتيجة انخفاض مستوى الوعي في بلاده، وكانت معظم سنوات هذا النصف منقسمة إلى قسمين، حيث ابن رشيد في الشمال، جعل من حائل ثكنة عسكرية، لاشغل لأهلها غير حمل السلاح، انتصارا لأمير جديد على أمير قديم، واستعدادا للدفاع عما زعموه حقا ينازعهم عليه ابن سعود، وهناك التكتل العدواني ضده في الحجاز والعراق والأردن، ومكائد بعض حكام الخليج، وتحريض العثمانيين عليه، وميوعة موقف الانجليز منه.

خلال سني هذا النصف، استطاع عبدالعزيز إقرار أحوال الأمن، وتأديب العصاة، وتوطين البدو، وتأسيس قوة مرهوبة الجانب، وتصدى للعديد من التحديات منتصرا عليها، فمضى نحو بغيته فأجهز على الانقسام الذي كانت تعاني منه نجد، ولم يعرض نفسه مرة للسقوط، مما جنبه الوقوع في براثن الوعود أو يستسلم لإغراءات تفقده استقلال كيانه، فظهر حاكما متميزا، لافتا لتحركاته الأنظار، ولكنه حتى الآن لم يكن

قد تخلص من المضايقات والتحديات، فلا زال أمامه الكثير جدا حتى ينتهي إلى وضع يطمئن فيه على كيانه، ويؤمن مكاسبه.

أما النصف الثاني من مرحلة بحثنا، فيبدأ عقب ضم الحجاز، ومبايعة مؤسس الدولة ملكا عليه، فتضاعفت الأعباء، وجسمت المسؤوليات، واكتسبت التحديات ضراوة وشراسة، وصاحبت ذلك مستجدات على المؤسس لم يألفها في حكمه لنجد، تعقدت معها العديد من القضايا، مما حتم عليه تغيير شكل الدولة، وجعلها ـ بقدر الإمكان ـ قريبة من الإطار العصري، وكان عليه والحالة هذه البحث عن أسلوب مغاير لأسلوبه السابق في الحكم، حيث بات المسؤول الأول عن المقدسات الإسلامية، وأحد أبرز قادة المسلمين، وحيث الممثليات، وممثلوا الدول والهيئات، والحجاج والزوار، وشيئا فشيئا بعد جمعه الشتات، والقضاء على المضايقات طور المتوارث، مخففا من الضغوط، ومنهيا لصالحه معارضة من أعمامهم التزمت، وهذا موضوع سوف لانتوسع فيه هنا.

كان عبدالعزيز في غضون النصف الأول من فترة دراستنا، يقوم إضافة إلى رئاسته الدولة بمهام وزير الخارجية، فمثله لايستنكف إلا مما يشين المرء، وعيا منه بما يجري، وتتبعا للتطورات، واهتماما في كيانه، في سنين عصبية، تخللتها حرب كبرى، امتد الصراع فيها إلى الجزيرة والخليج العربي، وخلفت في أعقابها آثارا سلبية، كان عليه أن يعالجها بنفسه لحساسيتها وخطورتها، وقد ساعده أثناء ذلك بعض المستشارين من العرب، الذين لهم بعض الاطلاع على الأوضاع الدولية، وبعضهم لجأ إليه فرارا من الاضطهاد الأجنبي في مواطنهم الأصلية، غير أن أول من قام بمهمة مستشاره للشؤون الخارجية، كان ابن عم بعيد له، هو أحمد بن ثنيان[1]، يساعده د. عبدالله

---

(١) نشأ في مدينة اسطنبول، وتعلم فيها، وكان يتحدث بالإضافة إلى العربية والتركية، اللغتين الانجليزية والفرنسية، تقاعد بعد مؤتمر المحمرة مباشرة عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

انظر: فيلبي، تاريخ نجد، ص ٣٤٤، وأمين الريحاني، نجد الحديث، ص ٢٧٧، ط١، وخير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ٣، هامش ص ١٠١٢.

الدملوجي[1]، تلاهما حمزة غوث[2]، ويوسف ياسين[3]، وفي عام ١٩٢٣م، التحق في خدمته حافظ وهبه[4].

فيما يتعلق بالنصف الثاني من سني البحث، فسنتحدث عنها عندما يحين أوانها، حيث نجد أنه بعد انضمام الحجاز، طرأت مستجدات، ترتب عليها اتخاذ خطوات تطويرية في الجهاز الخارجي لسياسة الدولة، والاستعانة بالخبرات العربية، والكفاءات الإسلامية، لأن الملك عبدالعزيز لم يفكر بعد إتمام تأسيس دولته المعاصرة، بالاستفادة من الخبرات غير المسلمة، فعزف عنها مكتفيا بالعرب والمسلمين، حرصا منه على عدم تعريض بلاده للامتيازات الأجنبية، التي قد تتحول إلى مجال مساومة، كما حصل مع

---

(١) عربي من مدينة الموصل في العراق، وفد على عبدالعزيز كطبيب، من الآستانة التي درس فيها، بعد أن جال في جميع بلدان أوروبا تقريبا، وقد مكنته معرفته باللغة الفرنسية من التقدم في المناصب، حتى صار أول وكيل للخارجية بعد إحداثها بعيد ضم الحجاز، وقد عاد لبلاده سنة ١٩٤٠م.

انظر: فيلبي، المرجع السابق، ص ٣٤٤، وأمين الريحاني، ملوك العرب، جـ٢، هامش ص ٣٨، والزركلي، كتابه السابق، جـ٣، هامش ص ١٠١٢.

(٢) حجازي من المدينة المنورة، انخرط في خدمة عبدالعزيز بعيد سقوط حائل، التي كان فيها يعمل مستشارا لأميرها للشؤون الخارجية، فأصبح من مستشاري عبدالعزيز، وكان رئيس وفده في مؤتمر الكويت، وصار وزيرا مفوضا في العراق، وسفيرا في إيران، وعند تقاعده أقام في المدينة إلى أن مات.

المعلومات الشخصية عنه رواها ابنه خالد حمزة غوث، المستشار الثقافي في ألمانيا، ومدير عام الإذاعة سابقا، وقد ورد ذكره في فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، وحافظ وهبه، خمسون عاما في جزيرةالعرب، الكتاب الأخضر النجدي، موضى بنت منصور آل سعود، الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت.

(٣) سوري الأصل، أسس في بلده صحيفة أغلقها المحتلون الفرنسيون، وكان أول رئيس لتحرير أم القرى، وقد أصبح وزير دولة، ونائبا لوزير الخارجية، ومات في مطلع الستينات «طالع: عبدالحميد الخطيب، الإمام العادل، عبدالعزيز آل سعود، ص ١٢١.

(٤) من أصل مصري، ولد عام ١٨٨٩م، في القاهرة، وتعلم في الأزهر، ومدرسة العلوم الشرعية، ولم يتم تعليمه، سافر لتركيا ليعمل في الصحافة، واشتغل بالتدريس في الكويت، وفيها تعرف على عبدالعزيز عام ١٩١٦م، والتحق في خدمته عام ١٩٢٣م، فصار أحد مستشاريه، فمديرا عاما للمعارف، فوزيرا مفوضا في لندن، وأخيرا سفيرا، وقد مات قبل بضع سنوات. انظر ترجمة حياته في كتابه «خمسون عاما في جزيرة العرب»، ص ١٢، وما بعدها.

الخديوي اسماعيل في مصر، في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، حين قضت «هيئة القضاء المختلطة» بحجز أمواله، وتعيين لجنة انجليزية ـ فرنسية، تسببت في **تنازله لابنه**[1]، **وحين أجبرت الدول النصرانية، السلطان العثماني عام ١٩٠٢م، على اخضاع موارده لمراقبتها**[2]، **لاسيما وأن عبدالعزيز لم يكد ينتهي من المواجهات، حتى قابلته أشكال أخرى من المؤتمرات**، لو لم ينتبه لها، ويأخذ حذره منها، لتبدد كل انجازه، في فترة لم تكن فيها الدولة التي يرأسها، قد تأهلت حضاريا، حتى تستطيع دفع شرور دول استعمارية قوية، فلم يتعامل معها إلا بالقدر الذي لم يورطه فحفظ نفسه منها، فلما اجتازت دولته مرحلة الطفولة، استعان بالخبرة الأجنبية، مراقبا تحركها، ومتابعا عملها، وغير سامح لها بغير الغرض الذي جيء بها له.

والآن، وقبل الوصول إلى علاقات الدولة السعودية المعاصرة الخارجية، نجد أن من المناسب الإشارة ـ باختصار شديد ـ إلى السياسة الأجنبية في الخليج والجزيرة العربية، خلال الفترة التي نحن بصددها، لنجد أن العالم الإسلامي، ومن ضمنه البلاد العربية، في حالة هياج وضيق وتخلف، وان يقظته التي انبعثت من نجد في قلب الجزيرة العربية، وتجسدت في مرحلة لاحقة بما عرف بـ «الجامعة الإسلامية»، تغذت بروح العصر، وما يحفل به من عوامل النهضة، قد أشعلت النار في وجه الغرباء الطامعين[3]، وأن العرب أثناء ذلك مركز الأهمية في العالم الإسلامي، لكونهم مادة الإسلام، وفي بلدانهم تقع أقدس أماكن الأديان السماوية الثلاثة، وتحتل الرقعة التي يجتمعون فيها واسطة العقد في العالم أجمع، بيد أن المشكلة مصدرها تمزق العالم الإسلامي وتوزعه بين مذاهب وملل، وحفوله بالأقليات الدينية والعرقية، وهذا ما كانت أوروبا تخشاه عند نهضتها، فأمعنت في اضطهاد العناصر غير الأوروبية، وقسرت

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، جـ٤ «الإسلام في القرن التاسع عشر»، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ص ٥٧ـ٥٨.

(٢) نفس المرجع، جـ٤، ص ٧٧. لوثرب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، ص ٢٢ـ٢٣.

(٣) لوثروب ستودارد، المرجع السابق، ص ٢٢ ـ ٢٣.

من كان على غير المسيحية على اعتناقها، ومما ضاعف من ضعف العالم الإسلامي، رغم إحساسه بضرورة التخلص من التبعية، وظهور حركات تحررية رائدة فيه، انه تساهل مع العناصر الغريبة عنه عقيدة وعرقا، إلى أن تمكنت فصارت عونا لأعدائه، وبمثابة طابور خامس يعمل من الداخل لصالح الأعداء، وكان نصيب الجزيرة العربية مما نال العالم الإسلامي وافرا، فهي مهد الإسلام والعرب، فكانت هدفا أساسيا ـ خاصة ـ بعدما تهالكت الدولة العثمانية، وعلت نغمة القومية الطورانية فيها، وصارت محل مساومات، وعملت غير محترمة الانتماء، أو مدارية مشاعر شعوب الدولة خارج تركيا على تتريكهم، وإرسال زهرة شباب هذه الشعوب إلى مناطق لاطائل لهم من وراء الذهاب إليها.

المهم، انعكست آثار الحرب العالمية الأولى على صراعات شعوب شبه الجزيرة العربية، فبريطانيا ممثلة للحلفاء «روسيا وفرنسا» والدولة العثمانية تمثل دول وسط أوروبا «ألمانيا والنمسا والمجر[1]»، ولعل من أهم أسباب انتقال آثار الحرب في أوروبا إلى الجزيرة العربية، موقعها الاستراتيجي الفريد، الذي ازدادت أهميته عند قيام الحرب، وكانت قبيل توحيد أغلب أجزائها، ممزقة، حس أبنائها الوطني ضعيف، فتشتتوا بين عدة زعامات إما جاهلة، وإما طامعة، فضلا على أمل المستعمرين في وجود ثروات طبيعية مجهولة في باطن أرضها لم تكتشف.

لقد تركزت اهتمامات الاستعمار على العالم العربي، لأنه مصدر الإشعاع الإسلامي، وبالتالي تصدير الوعي للشعوب الإسلامية، التي منه تستلهم أساليب عملها، وأنماط حياتها، وإليه تتجه أنظارها، وبه تقتدي، فلا بد من إطفاء النور، ودفن بقعة الوعي المنغصة على المستعمرين عيشهم، الذين أحسوا بأن مصدر بلائهم

(١) فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص ١١-١٢.

هذه البقعة، فأمعنوا في الاضطهاد والتآمر عليها، انقاذا لأنفسهم، وضمانا لمصالحهم، مما تسبب في هبوط الوعي، وتوزع اتجاهات شعوبها حتى الثلث الأول من القرن العشرين.

والغريب رغم الحرب القائمة بين الامبراطورية البريطانية، ودولة الخلافة العثمانية، اتفاقهما على جعل الجزيرة العربية مشتتة بتغذية العداوة بين حكامها، والأسر الكبيرة فيها، وعدم العمل على إدخال الوسائل الحديثة إليها، وإبعادها عن التأثر بالأفكار والمفاهيم المستنيرة، والحرص على إبقائها معزولة لكي لاتتغير أحوالها بالاحتكاك والاختلاط، فتظل على موروثاتها، مسلوبة القدرة على التطوير أو الاكتساب.

لم تختلف بريطانيا يوما مع العثمانيين في مسألة ضرب الأسر الحاكمة في الجزيرة ببعضها، وزرع بذور الخلاف بينها، بغية إضعافهم، وتأمين مصالحهما، فالعثمانيون رفعوا ابن رشيد، وشدوا من أزره فساد نجدا بعد اغتصابها من حكامها الشرعيين، غير مراع ما أسدوه له ولأسلافه من جميل، حاولوا حفظ خط رجعتهم، ليهددوه بالأسرة السعودية عند احساسهم بعدم امتثاله لأوامرهم، فأوعزوا لشيخ الكويت قبول لجوء الإمام عبدالرحمن، مقررين له راتبا لايكاد يفي سد عشر احتياجاته، علاوة على أنه لم يكن منتظما، وغالبا ما تمضي الشهور دون استلام مقابلها[1]، اعتقادا منهم بأنه سيكون طوع أمرهم عندما يعدونه بعودة حكمه لنجد.

وحال الإنجليز كالعثمانيين، كلاهما يسعى لتمكين سيادته، فقد كانوا يحرضون عبدالعزيز على ابن رشيد حينما كانت الحرب تدور، ونهايتها بحكم المجهول، فأخذوا

---

(١) Lewis, C.C. Ibine Saud and the Future of Arabia, Royal Institute of International Affairs, Vol. xii, 1933, pp. 418-534.

يلحون على ابن سعود، في أهمية سرعة سقوط حائل، فيحطم مراكزها الأمامية حتى يقف على أبوابها، ثم يعودون ليقولوا له: إن أمر ابن رشيد لم يعد يهمهم، لأن الدولة العثمانية قد خرجت من الحرب مهزومة[١]، ولكن عبدالعزيز لم تخف عليه اللعبة، فمضى مقررا ما يراه في صالح المنطقة، وما كانت لتسره أو تزعجه أخبار انهزام العثمانيين، لأنه تكشفت له أوراق بريطانيا، وضاق بوقاحتها، فأصبح حرا في أن يتبع أساليبه الخاصة، أثناء ما كان الحلفاء المنتصرون منهمكين في تخاطف الانتدابات والامتيازات، فتجاهلوا غير آبهين بالتوتر الذي يسود المنطقة العربية[٢].

الأمر الآخر الذي كان موضع استغراب، التناقض في السياسة البريطانية، حيال الخليج والجزيرة العربية، وكان مصدر هذا التناقض الاختلافات في وجهات النظر، بين حكومة الهند البريطانية، والمكتب العربي في القاهرة، فقد كانت مسؤولية حكومة الهند عن الخليج، ووسط الجزيرة العربية والعراق، ومسؤولية المكتب العربي عدن، والطريق البحري للهند، وسلاطين محميات الجنوب العربي، والملك حسين، الأمر الذي أوجد تنافسا بينهما لكسب أقوياء حكام الجزيرة العربية[٣]، حيث راهنت حكومة الهند على ابن سعود من خلال إشارة لوزير المستعمرات البريطاني، السير/ ونستون تشرتشل[٤]، بينما المكتب العربي، كان راغبا في أن يكون الملك حسين مرشح بريطانيا لقيادة الأمة العربية، لأنهم حملوه على التخلي عن العثمانيين[٥].

---

(١) Lew, C.C. |Op. Cit, pp. 418-534.

(٢) فيلبي، المرجع السابق، ص ٢٢-٣٢٣.

(٣) Winstone, H.V.F Gertrude Bell, p. 197.

(٤) Philby, John, Arabian Jubilee, P. 213.

(٥) بنواميشان، سيرة بطل ومولد مملكة، ص ١٤٤.

أولا: العلاقات مع الجيران:

هذا وسنبدأ الحديث عن علاقات الدولة السعودية المعاصرة مع جيرانها، هذا الجوار الذي كان ـ في الأغلب ـ ساخنا، كثيرا ما يشوبه سوء التفاهم والخوف والأطماع، لايكاد يفتر قليلا حتى يقفز لدرجة الغليان، لأن استرداد الرياض، والتوسع السريع الذي حققه مؤسس الدولة، كانا نقطة البداية، ففزع جيرانها، ونشط العثمانيون في محاربتها، وحبكت المؤامرات ضدها، والإنجليز أرادوا كسب تأييد عبدالعزيز، خشية منهم على محمياتهم في الخليج منه، والحقيقة أنه لم يكن طامعا بأكثر مما له، وقد اضطر أن يدافع عن نفسه، ويظهر قوته حتى لايطمع به فيستهان بأمره، ولما وجد أن السلام بظل المطامع والأحقاد مستحيلا انقض على الحجاز، ولكنه لم يكن في لحظة من لحظات حياته ينوي بقاء حائل خارج جسم نجد، لأنها امتداد طبيعي لها، وآل رشيد غدروا به وبأهله، وظلموا وشردوا، ولم يرعوا صلحا أو يلتزموا بإتفاق، وقبل ذلك كله هم أتباع خانوا فحالفوا أعداء.

العلاقات بين الرياض وحائل:

لم تنسلخ حائل عن نجد، منذ أن تم توحيد الجزيرة العربية في دور الدولة السعودية الأولى، وقد تأكد التصاقها، أثناء إمامة فيصل بن تركي، حينما ولى أحد أخلص أتباعه «عبدالله العلي الرشيد» إمارتها، لم تنسلخ إلا في أيام «محمد بن رشيد»، الذي استغل ضعف الدولة السعودية في دورها الثاني، الناجم عن تنازع أبناء فيصل على الحكم، مما مكنه من حكم نجد، وقد مرَّ معنا ما كان حققه عبدالعزيز، مصححا ما أخطأ فيه أعمامه، فاستمر في تقدمه إلى أن قضى على الانقسام بعدما وجد الرشيديون أنفسهم في مواقف جديدة عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، ولكنهم رغم سوء أحوالهم الداخلية، واضطراب سياستهم الخارجية، وجدوا البديل عن حليفتهم الدولة العثمانية، حين تحول عداء شريف مكة لصداقة، وتبدل موقف الانجليز منهم، فانتعشت آمالهم بعض الشيء، لاسيما عندما أخذت الدلائل تشير إلى تنصيب

فيصل بن الحسين ملكا على العراق[١] ، ولهذا البلد أهمية بالغة لنجد عموما، ولحائل بصفة خاصة: فالبادية متمازجة، والمراعي مشتركة، والمصالح متبادلة، وأغلب حجاج الشرق يمرون قاصدين الأراضي المقدسة عبر نجد.

لم يتح عبدالعزيز فرصة للأطراف المعنية بأمر حائل احكام تأمرها، رافضا جميع الشروط التي اشتم فيها رائحة المكر، حيث قد وصلته المعلومات المؤكدة باستلام أمير حائل معونات مادية، وذخائر وأسلحة، وأن الأمير نشطت مفاوضاته مع الإنجليز، وتفاهم وشيخ الكويت، فما كان منه إلا أن أصر على تنازل حاكم حائل، فقامت الحرب[٢]، وقد مرت معنا بعض أحداثها.

والحقيقة أن حائلا رغم مالها من مكانة في الأدب والتاريخ، كانت أكثر المناطق النجدية عامية، فانتشرت بين أهلها المفاهيم القبلية، فتقهقرت نجد في العهد الرشيدي ثقافيا، الأمر الذي انعكس على الأحوال الأخرى، لأن عدم الحرص على التعليم خلال هذا العهد، زاد من المعاناة، التي خلفت آثارا سلبية على الحياة الاجتماعية والاقتصادية[٣] - وإن لم يصل ذلك حد الإهمال - حيث ظلت تعاليم الدعوة السلفية سائدة[٤]، وحلقات التدريس، ووفرة الكتاتيب في الرياض وما حولها، حيث مهد الدعوة التي يؤمها النجديون للتحصيل، والقصيم الذي عرف أهله بكثرة الأسفار، والنشاط التجاري، وسرعة التقبل[٥]، ووجود كتابين في حائل نفسها، يتعلم

---

(١) فيلبي، كتابه السابق، ص ٣٢٨.

(٢) فؤاد حمزه، قلب جزيرة العرب، ص ٣٨٥.

(٣) انظر رسالتنا المقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان «التطور الثقافي للدولة السعودية المعاصرة، ١٩١٥-١٩٥٣م»، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ص ١٨ «لم تنشر».

(٤) آن بلنت، رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة: محمد أنعم غالب، ص ٧٢.

(٥) الرسالة السابقة، ص ١٩.

فيهما الطلاب المواد الدينية، ومبادىء القراءة والحساب[1].

كل المتقدم رغم أنه ليس كافيا، ومحدود الفعالية، ولم يترك أثرا، يساعد البلاد، على الأخذ بحسنات التطور، وإدخال بعض الوسائل الحضارية، وإشاعة شيء من المفاهيم الحديثة، عقب انحسار الحساسية من الجديد، حفظ بقية من حركة فكرية، شهدتها نجد غضون ازدهار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مما مهد سبيل الوعي، بأهمية، تحركات عبدالعزيز العسكرية، والسياسية والاصلاحية، فاستجاب النجديون لمبادئه الوحدوية[2].

العلاقات النجدية الحجازية:

لم تكن نجد عن الحجاز في معزل عبر التاريخ قديمه وحديثه، رغم منازعات القبائل، وخصومات الحكام، فما بينهما من الروابط أقوى من أن تفصمه خلافات فردية، وأطماع شخصية، بل إن هناك من لم يفرق بين نجد والحجاز، فجعل جزءا من نجد «اليمامة»، تابعا للحجاز[3]، وفيهم من جعل الطائف والمدينة المنورة من نجد[4]، ويظهر أن سبب ذلك التقسيمات الادارية، حيث نجد اليمامة تضم أحيانا لوالي المدينة، تبعا لما يتولاه عاملها، أو وفق قوته[5]، وهذا دليل على أنهما لايشكلان بلدين مختلفين، ولكن شاءت الأقدار أن تشتد الخصومة بينهما، في فترة من فترات التاريخ العصبية،

---

(١) حمد الجاسر، نقلا عن «موزيل» في كتابه «شمالي نجد»، مجلة العرب، العدد السابع، صفر/ ١٣٩٦هـ/ يناير ١٩٧٦م، ص ٥٨.

(٢) رسالتنا السابقة، ص ١٩.

(٣) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٧.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٨٢.

(٥) عبدالله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص ٣٥.

حين عاش المسلمـون غربة في أوطانهم، مرتكسين بالمستحدثات التي ينكرها جوهر الدين[1]، ومختلفين في أمور جانبية، وجد فيها أعداؤهم فرصا استغلوها، ممعنين في إضعـافهم إلى أن بلغ الخـلاف أوجه، حينما بدأت خطوات الدولة السعودية الأولى الوحدوية، شبيهة بخطوات الفتوحات الإسلامية الكبرى، فتحركت لمحاربتها القوى المعـادية، وكان حكام الحجاز من الأشراف يظنون أن رفعة نسبهم، وولايتهم على الحرمين الشريفين، تخولانهما القيام بما يرغبون دونما مراعاة لعدل أو مشاعر، فغلا مرجل الحقد في صدورهم على آل سعود حين بدأت الدعوة التي تعهدوها، تنتشر بين بوادي الحجاز، وقد زرعت الانتصارات التي حققوها الخوف في نفوس أشراف مكة، انتهى بحكم السعـوديين للحجـاز، الـذين تعاظم شأنهم، فاصطدموا بالخلافة العثمانية، بوساطة والي مصر، الذي لم يمنع نصره العسكري على السعوديين، بفضل المعدات الحـديثـة، والخيانـات الكثـيرة، مد الدعوة التي تبنوها، مخلفة آثارا روحية وسياسية وثقافية[2]، فكان لقصة إحياء حفيدهم، ووريثهم الشرعي لدولتهم، حيث بدأ دورها الثالث، أصداء بعثت أمجادهم، الأمر الذي بعث غيرة الشريف حسين، وخشيته أيضا من تفاقم خطر عبدالعزيز، فحاول دون أن يصيبه أذى، القضاء عليه، منتهزا مرحلة انشغـاله في أكثر من جبهة، قبل أن يتفرغ له، واجدا من موقف العثمانيين المعادي لحاكم نجد دعما فركب الشريف رأسه، وغالى في تصلبه وتشدده، لعله يرهبه، ولكنه وجده قويا لايفزعه تهديد.

ومـع كل ذلـك حاول عبدالعزيز تحسين علاقاته بالحسين، فلم يستجب لكل نداءات الود، والإخاء، والسلام، بل إن عبدالعزيز كلما اقترب ازداد حسين صدودا وتكـبرا، سيما عقب إعـلان نفسـه ملكا على العرب، ولم يعزف عنه، مشبعا غروره بالتضخيم والتعـظيم، ولم يجد كل ذلك مع الملك حسين، الذي كان في ردوده على

---

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، بتحقيق: ناصر الدين الأسد، ص١٠.

(٢) Winder, R., Saudi Arabiain. In 19th. Century, p. 6.

خطابات عبدالعزيز التعالي والتأنيب، ولم يكتف بذلك، فأخذ يستفز ويتحرش، وقد زادت بريطانيا غلوه وغـروره، حين أدركت غرضهـا بخروجه على طاعة العثمانيين، الذين رعوه ودربوه، وعلى بني عمه أعانوه، وعلى غير رغبة على الحجاز نصبوه، ولكنه لم يرع ما قدموه، فحالف الانجليز، ظانا بأنهم سيفون بما وعدوه، لتتحقق طموحاته من خلال دولة عظمى، لم تفده بعد أن حققت مرادها فيه، سوى أنها نفخته، وقد سحبت البساط من تحت قدميه، فعاش بقية شيخوخته متحسرا في قبرص، بعدما فاتته مراميهـا المتضحة بعدم اندفاعها من خلال الرسائل المتبادلة بينه وبين «مكماهون»، المعتمد البريطاني في مصر، ومن المعاهدتين المعقودتين مع أمير نجد، وإمام عسير عام ١٩١٥م، ولكنها اتجهت إليه، مستغلة مكانته الدينية والعرقية، وحبه للظهور، لعلها تحقق من خلاله أهدافها، التي لم تخف على عبدالعزيز، بدليل رفضه عرضها عليه قيادة الحركة العربية ضد العثمانيين(١).

عقدت بريطانيا مع الحسين اتفاقية من خمسة بنود، خلاصتها اعترافها به ملكا على دولة عربية مستقلة(٢)، تمتد بعد أن استثنيت المواقع الاستراتيجية الحساسة، من الخليج شرقـا، حتى البحـر الأحمـر غربا، ومن الحدود المصرية، والمتوسط إلى ولاية حلب والموصل، تتعهد الحكومة البريطانية في تنظيماتها وحمايتها، ومدها بالأسلحة والذخائر، ومساعدتها ماديا ومعنويا(٣)، حتى تتأهل لادارة شؤونها.

عجيب هذا التنـاقض في السياسة الانجليزية، تعترف باستقلال نجد وعسير، وتضمنه من الاعتداء الخارجي، فتعود لتتعهد للملك حسين بقيام دولة عربية كبرى، وهل تظن عبدالعزيز، سيتخلى عن ملك ضحى في سبيله، وبذل وأثبت قدرة، وفي حكمته رفع شأنه؟

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، جـ٥، ص ٧٢.
(٢) الريحاني، ملوك العرب، جـ١، ص ٦٤.
(٣) نفس المصدر، جـ٢، ص ٦٥.

ربما لو أنه كان في زمانه، من يستحق أن يعول عليه من حكام العرب، لاعتبر نفسه زميلا له، لأنه يعرف معنى الجهاد والعرق، وكان أيضا من الممكن أن يحقق الملك حسين ما تهفو إليه أفئدة العرب، فيحصل على مزيد من المعونات، والامدادات العسكرية، في وقت لم يكن فيه خيار لبريطانيا، فيستثمر كل ذلك للإصلاح الداخلي، واستنفار الهمم العربية لمواجهة المخططات الاستعمارية، ولم يذهب به الغرور، مذهبًا ما عاد يطاق معه، ويبقى في الحجاز مرموقا، وهذا فيما يبدو القصد الأساسي للبريطانيين الذي لم يدركه حسين، ولم يفصحوا عنه إلا عندما أصر عبدالعزيز، بعد صعود نجمه، فقبلوا اشتراطه، بألا يتكلم الملك حسين نيابة عن العرب، ويدعى أنه ملكهم، فعدل البريطانيون موقفهم، أو بالأحرى أعلنوه معترفين به على الحجاز فقط.

معنى ذلك، أن حسينا لم يجهل الدور الفعال الذي يلعبه عبدالعزيز في الساحة العربية، فوافق حلفاءه، خشية عدوهم، واختيار نده، بيد أن عبدالعزيز، يعلم جيدا أن معالجة الأدواء في العالم العربي، لاتتم بالانخداع بالوعود الأجنبية، فأبى الدخول في لعبة الغش، محافظا على تأثيره إلى آخر يوم من حياته، دون أن يفقده العناد مكسبا، أو تخيب فيه آمال الكثيرين.

إن حذق عبدالعزيز وتحرزه من الوقوع في خطأ قد يسلبه ما جاهد من أجله، جنباه من السقوط، بعدما حسب حساب الأرباح والخسائر، فظل على الرغم من عدم قناعته بما قام به الملك حسين يجامله إلى أن تكشفت نواياه، وحبا في اكتشاف المزيد، سعى إلى أن تعرَّف على خفايا ما تضمره بريطانيا، فما عاد أمامه بعد اتساع شقة الخلاف مع الملك حسين سوى الصدام، وكانت موقعة[1] تربة مقدمة لما هو أكبر، وهي احدى واحتين، تعتبران في العرف، والانتماء القبلي، والتكوين الطبيعي من نجد، وتربة تبعد

(١) انظر: تفاصيل المعركة، ص ٥٥ ـ ٥٦.

عن جبل «حضن»، المعتبر وفق الحديث الشريف القائل: «من رأى حضنا فقد أنجد»، خمسة وسبعين كيلا.

أما الواحة الأخرى فهي «الخرمة»، أغلب سكانها من القبيلة النجدية المعروفة «سبيع» ـ وإن كانت الرئاسة فيها للأشراف ـ فهؤلاء كانت قد تغلغلت في نفوسهم دعوة الإصلاح النجدية، فتأقلموا متكيفين مع جو هذه البيئة، والمسافة بينها وبين حضن حوالي مائة وخمسين كيلا.

ومما زاد في بعد أشراف هذه الواحة عن بني عمومتهم في مكة، أن أميرها، الشريف خالد بن لؤي، لم يكن مرتاحا لتصرفات الشريف عبدالله بن الحسين، وكان دائم الانزعاج من الأسلوب القائم على التمييز المتبع في مكة، حيث غاظه أن يتقدم أناس لايستحقون، وتمارس شعوذات لاصلة لها بالدين، فكثرت معارضاته، التي ضاق بها عبدالله، معتبرا جرأته في إبداء الرأي وقاحة، فلطمه لطمة كانت في مثابة عود الثقاب، حين ذهب للرياض، محذرا سلطان نجد من حسين وأبنائه[1]، فتقدمت قوات عبدالعزيز عن قناعة منه وليس فقط بسبب تحذير ابن لؤي، الذي رغم أهمية معلوماته، فعبدالعزيز قد سئم تصرفات حكام الحجاز، فأراد تأديبهم، ففعل ضاما الواحتين غير مكترث لتهديد بريطانيا بحرمانه ثقتها وإعانتها ـ إن هو واجه قوات الملك حسين الزاحفة ـ فتصرف حسب ما أملاه الموقف[2].

وبينما كانت لجنة بريطانية مجتمعة، للنظر في التطورات الجديدة بين نجد والحجاز، وتقرير العقوبة التي يجب أن تطبق على ابن سعود، كان قد عزز مركزه،

---

(١) الريحاني، نجد الحديث، ص ٢٢٤.

(٢) فيلبي، كتابه السابق، ص ٢٢٧.

فاحتل مرتفعات عسير، والواحات التي تحدها من جهة الصحراء، فأصبح خط دفاعه من جهـة الغرب يمتد من خميس مشيط، مارا ببلدة (بيشة)، فاستطاع بذلك، أن يفرض سيطرته على كثير من قبائل مدينة الطائف[1].

حركت معركة تربة مشاعر الفزع في مدن الحجاز الرئيسة، سواء أقنعت بريطانيا ابن سعود بالحسنى ـ حسب رأي فيلبي[2] ـ بالعدول عن دخول هذه المدن، أو أنذرته ـ كما يقـول ميشان[3] ـ فإن عبدالعزيز ما كان لينتظر تلقي التعليمات، ولكنه شديد الحرص على كيانه، الذي لايمكن أن يعرضه لمغامرة غير مضمونة النتائج.

لقد أفقدت معركة تربة الملك حسين معظم معداته، وسببت اهتزاز مركزه، وصار بعدها في حالة عصبية شبه دائمة، فقلت الثقة في قدرته، وكان ما كان من سقوطه بعد خمسـة أعوام من حدوثها، وسيان أكان هدف عبدالعزيز، كما يقول حافظ وهبه[4]: «... الهجوم على الطائف والاستيلاء عليه فقط ليساوم حسينا عليه، فلعل الرجل يعـدل عن غطرستـه»، أو أنه أراد استرداد ما اعتبره حقا تاريخيا، أو أنه أراد ضمان مكاسبه، بالاستيلاء على الطائف، أو استجابة لمطالب بعض قبائله، أو أرادها وحدة للجـزيرة العـربية، تأكـد له أن وجـود الحسين، سيكون عقبة يحول دون تحقيقها، فعبدالعزيز لايخطو خطوة من غير معاينة ما تقع عليه قدماه، فحفظ نفسه، وضمن بالتالي ديمومة كيانه.

---

(١) فيلبي، كتابه السابق، ص ٢٢٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٢٦.

(٣) سيرة بطل، ص ١٥٣.

(٤) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٤٧.

العلاقات مع حكام عسير:

عسير قسمان: جبلي وساحلي[1]، والجبلي كان قد تحول إلى متصرفية عثمانية منذ عام ١٢٨٨هـ، وجرت العادة أن يكون نائب المتصرف من أسرة آل عائض[2] التي آلت إليها الرئاسة في هذا القسم منذ عام ١٢٤٩هـ[3]، ولم تكن العلاقات أثناء الحكم العثماني له قائمة معه، نظرا لموقف العثمانيين غير الودي تجاه حاكم نجد، رغم ما بينهما من روابط تاريخية متينة، واجتماعهما على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، ولكن إخلاء العثمانيين لعسير، إثر هزيمتهم في الحرب الأولى، ترك فراغا فيها، فحامت حولها الأطماع من كل الجهات، وكان لسياسة حسن بن علي بن عائض الرعناء، الانعكاسات السلبية على أوضاع المنطقة، مما عرضها للقلائل والاضطرابات، فجأر الأهالي من ظلمه، ولم يشأ إنقاذ نفسه وتجنيب قومه شرور الحروب والمنازعات فما كان منهم إلا أن طلبوا نجدة عبدالعزيز الذي لبَّى النداء، فخلص عسيرًا من معاناتها.

أما القسم الساحلي، فقد خضع لحكم الأدارسة منذ عام ١٩٠٩م، على يدي محمد بن علي الادريسي، الذي عادى العثمانيين، واستطاع أن ينتصر عليهم، ويوسع سلطانه حتى الحديده جنوبا، وصمد لخصمين قويين: في الجنوب الإمام يحيى، وفي الشمال الملك حسين، وأثناء الحرب العالمية الأولى حالف البريطانيين[4]، وعقد معهم

---

(١) لمزيد من التعريف بها انظر، ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، جـ١، ص ١٢٠.

(٣) نفس المرجع، جـ١، ص ١١٨.

(٤) الموسوعة العربية الميسرة، ص ٩٩.

اتفـاقا سنة ١٩١٥م، وكانت علاقاته بعبدالعزيز ودية، قائمة على التفاهم، وتأمين المصالح، وحسن الجوار، وبعد وفاته عام ١٩٢٣م، بدأ نفوذ خلفائه ينكمش إلى أن كاد يتــلاشى، فلم يكن أمـام آخـرهم، وهـو الحسن إلا أن يطلب حماية[١] الملك عبدالعزيز، فتأمن وضعه الداخلي المهدد[٢]، ولكن الحنين عاوده للسطان، بتحريض من أعدائه الذين كادوا يلتهمونه قبل طلبة حماية ملك الحجاز ونجد، فأضاع فرصة ذهبية، حين لم يقبل الاستقلال في شؤونه الداخلية[٣].

مـع الكويـت:

آل سعـود وآل صبـاح أقرباء نسب، فربطت الأسرتين علاقات وثيقة، حرص أفرادهما على تنميتها ورعايتها، وفي الكويت توجد أسر نجدية كبيرة، هاجرت إليه، واستقرت فيه، وبقي بعض أفرادها في موطنهم الأصلي، فنشأت روابط المصاهرة، مما ترتب عليه الامتزاج، إضافة إلى الجوار، والمصالح المشتركة[٤]، وكانت العشائر النجدية دائمـة التردد عليه لبيع منتجاتها من الألبان ومشتقاتها، والجلود والإبل والأغنام به، وشراء احتياجـاتهـا من البضـائـع منـه، وكثير من أفرادها اتخذوه مقرا، حيث نجد العلاقات عموما حسنة، لم تتوتر إلا في مدد قصيرة[٥].

هذا وقد وطد هذه العلاقات، إقامة الإمام عبدالرحمن به بعد نفيه، وأثناء ذلك

(١) انظر مواد معاهدة مكة في فصل «المعاهدات والاتفاقيات والمؤتمرات».

(٢) عبدالوهاب الواسعي، فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، ص ٢٣٨.

(٣) انظر في فصل «تثبيت الكيان»، ص ٩٤ ـ ١٠١، تطور الأحداث، وسير العمليات العسكرية للقضاء على الفتنة التي قام بها الإدريسي.

(٤) Dickson, H. R. P., Kuwait and Her Neighbours, pp. 255-259.

(٥) حسن سليمان محمود، الكويت: ماضيها وحاضرها، ص ٢٢٦.

كان يتردد على مجلسه الشيخ مبارك قبل استيلائه على الحكم، حيث نشأت بينه وبين الفتى عبدالعزيز صداقة، استفاد منها عبدالعزيز من مبارك، الذي تميز بالذكاء والدهاء، وأكسبته رحلاته خارج الكويت خبرة في بعض الشؤون الدولية، وعلمه النفي حقيقة الأطماع، الأمر الذي جعله يتفهم كثيرا من الخفايا، فلفت نظره حسن استماع عبدالعزيز، ولما تحدث إليه بهره ذكاؤه، وأعجبته شخصيته، وتعجب من دقة ملاحظاته، وسرعة استيعابه برغم صغر سنه، فكشف له ما هي عليه أحوال الدنيا، وألاعيب الساسة، وأسرار السياسة، فصار عبدالعزيز يدعو مباركا بـ «الوالد»، امتنانا لما قدمه له، واعترافا بالجميل، ومحافظة على حقوقه كمعلم[1]، وبعد ما كبر التلميذ، وفاق الأستاذ نفوذا، وبعد نظر، تحركت عوامل الغيرة في الاستاذ، فأخذ يكيد له، وكثيرا ما تغاضى التلميذ عن هفوات أستاذه، وتجاوز أخطاءه[2]، إلى أن بلغ السيل الزبى إثر فتنة العجمان المار ذكرها، والتي عندها لم يعد أمام التلميذ خيار، لو لم تأته وفاة أستاذه ثقيلة على نفسه، فنسي في لحظة كل الإساءات، وابتدأت صفحة جديدة، وكانت دولة الانتداب على الكويت، بحثت من خلال مندوبها في الخليج مسألة العجمان، أثناء محادثات معاهدة القطيف، فقبل خليفة مبارك، ابنه الشيخ جابر التسوية، فخرج العجمان من بلاده، وأوقف عبدالعزيز بالمقابل حملاته على الكويت[3]، ولكن شهر العسل سرعان ما انقضى، لأن جابرا لم تطل مدة حكمه[4]، وخليفته الشيخ سالم، اتجه في سياسته اتجاها معاديا لنجد وحاكمها، وكان شديد الكره لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولم يكن محنكا كأبيه يحسن المراوغة، فأظهر

---

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(٣) أمين الريحاني، نجد الحديث، ص ٢٠٩، ط١.

(٤) فيلبي، كتابه السابق، ص ٣١٩.

صدوده، وجهر بعداوته لعبدالعزيز الذي تزايدت قوته[١]، فحالف عدوه الأول ابن رشيد، فرتب معـه هجـوما على ماء «قرية»، قرب الحدود الكويتية، بيد أن الحملة أفشلها اختلاف القائدين الكويتي والشمري[٢].

لقد استمر التوتر طوال فترة ولاية الشيخ سالم، فتقدم الأخوان خلال ذلك نحو الكـويت حتى وقفـوا على أبـوابـه، وكـادوا يدخلونه فحوصر سالم فيه إلى أن أنقذه البريطانيون، وفي غضون ذلك جرت محاولة للصلح، غير أن عبدالعزيز أخبر الوفد الذي قدم للرياض، برئاسة ابن أخي سالم، الشيخ أحمد الجابر، والذي تقرر أن يخلف عمه بأنه ليس هناك ما يدعو للمباحثات، عقب تأكيده على النوايا الحسنة، ناسيا ما بينه وبين سالم[٣].

كانت من نتـائج سياسة الشيخ سالم العدائية لأهل نجد، مقاطعة اقتصادية، حيث عمد إلى منع النجديين من استيراد البضائع والسلع من ميناء الكويت، الذي كان منفذهم الوحيد على العالم الخارجي، الأمر الذي أدى إلى إحياء موانىء نجدية منـافسة[٤]، على الخليج العربي، في المنطقة الشرقية، في نواحي الاحساء والقطيف مثل: العقير ورأس تنورة والقطيف.

إلا أن ذلك لم يؤثر في نمو العلاقات، التي أخذت تتقوى يوما بعد يوم، وازدادت نموا بعدما صفيت جميع المشكلات المعلقة، فحددت الحدود، وتم توقيع عدة اتفاقيات

---

(١) حسن سليمان محمود، كتابه السابق، ص ٢٢٦.

(٢) Dickson, H.R.P., Op. Cit., pp. 255-256.

(٣) IBid, , p. 256.

(٤) حسن سليمان محمود، كتابه السابق، ص ٢٢٨.

تنظم بين البلدين شؤون التجارة[1]، وطبيعة أوجه التعاون في المجالات الأخرى.

مـع البحريـن:

الأسرة الحاكمة في جزيرة البحرين، تجتمع مع آل سعود في قبيلة «عنزة»، المعتبرة من أكبر قبائل العرب الحديثة، وأكثرها نفوذا وانتشارا، وإن كان موطنها نجد، فمنازلها لظروف سياسية ومعيشية، توزعت بين شمال الحجاز، وجبل شمر، ووادي السرحان[2] في أقصى الشمال الغربي من جهة شرقي الأردن، حتى السماوة[3] جنوبي العراق، والشام[4] في نواحي حمص وتدمر، وفي الجزيرة بين العراق وسورية، وتتفرع منها أفخاذ كثيرة ولرؤسائها شأن واعتبار وشهرة.

هذا وفي البحرين توجد جالية نجدية كبيرة، وكانت ـ غالبا ـ صلة حكامه تتسم بالود تجاه آل سعود منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وطوال تاريخه الحديث كان معرضا لمطامع الدول المجاورة[5]، نظرا لكونه مركزا تجاريا هاما، وموقعا استراتيجيا[6]، ويعتبر ـ فيما مضى ـ أكثر بلدان الخليج العربي تقدما، فقد سبق غيره في تأسيس المدارس، وانتشر فيه ـ نسبيا ـ التعليم، فنشطت حركة أهله الثقافية، وقد ساعدتهم احتكاكهم بالأجانب على الانفتاح، والوعي بالأحوال العامة.

---

(١) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص ٧٦ ـ ٧٧.
(٢) حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، جـ٢، ص ٥٦٩ـ٥٧٠.
(٣) نفس المرجع، جـ٢، ص ٥٧٠.
(٤) نفسه، جـ٢، ص ٥٧٠.
(٥) صلاح العقاد، التيارات السياسية، ص ١٥٥ـ١٥٦.
(٦) مصطفى مراد الدباغ، الجزيرة العربية، جـ٢، ص ٢١٥.

إلا أن هذه الجـزيرة أنت تحت وطأة الاستعمار البريطاني، وظلت في خوف من الأطماع الايرانية، وعانت كثيرا من ضغوط الجاليات غير العربية فيها، وكان المحتلون يحاولـون باذلـين قصارى جهدهم عزلها عن شقيقاتها ـ بالأخص ـ نجد خشية تأثر حكامها وسكانها بأفكار عبدالعزيز التحررية، وقد حاولت السلطات البريطانية قطع صلاتـه بالبحرين، رغم النسب والجوار القائم على المودة والاحترام المتبادلين، ومن ذلك: أن عبدالعزيز عند عودته بعد اجتماعه بالملك فيصل، رغب مرور البحرين، بيد أن المنـدوب الـبريطاني في الخليج «بيسكو»، لم يوافق متذرعا بحجة واهية هي: أن استقبـاله يحتاج لترتيب لايسمح به الوقت، بيد أن الملك لم يبال، فنزل البحرين، فاستقبله شيوخها، وأعيانها، وحشد كبير من أهلها[1]، ويروي حافظ وهبه على لسان عيسى بن علي آل خليفة قوله[2]: «يا عبدالعزيز: لقد أخبروني في الليل أنك لن تنزل بلدك البحرين، فلم أصدق. . . ولكني كنت ممتلئا يقينا بأني سأراك اليوم، وستقر عيني بك. لقد كان هذا جل أمنيتي من زمان طويل، وإني لاآسف على موتي بعد الآن».

مـع قطـر:

نشأت قطر متأخرة عن بقية مشيخات الخليج العربي، وكانت قبل أن تتحول إلى وحـدة سياسية على أيدي آل ثاني مركـز تجمـع قبـلي مشتت الـولاء، تتوزع قبائلها النعرات، وتتحكم بها العصبية، ومما جعل من غير السهل السيطرة عليها، غير أن ذلك لم يمنع تبعيتها لفترة من الزمن للبحرين، حتى بعد إحكام سيطرة آل ثاني عليها[3]، وقـد ظلت معظم القبائل فيها موالية للسعوديين، لأن معظمها من أصول نجدية،

---

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٩٣ـ٩٤.

(٢) نفس المرجع، ص ٩٤.

(٣) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، ص ٢٨٠ وما بعدها.

والأسرة القطرية الحاكمة، أصلا من أكبر القبائل في نجد، حيث يرجع نسبهم إلى «تميم»، التي تتكون منها غالبية الأسر النجدية المتحضرة، وأول من سكن الدوحة من آل ثاني محمد، الذي خلفه ابنه الشيخ قاسم، وتولى بعده الشيخ عبدالله بن قاسم[1].
وتولى بعده الشيخ عبدالله بن قاسم (١٢٧٦هـ)[1].

أضف إلى ما تقدم أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تأثر بها القطريون، فتغلغلت فيهم[2]، فقويت صلتهم بالرياض، وظلوا محافظين على صلات الود، بدليل اختلاف سياسة حكام قطر عن سياسة حكام مشيخات ساحل عمان، الذين تجنبوا دعوة شيخها لاجتماع عقدوه لبحث مسألة الدفاع ضد ما توهموه الخطر الناشىء على إثر تأسيس عبدالعزيز الدولة السعودية الثالثة، ولكن مع ذلك، فمن الملاحظ خوف خفي شعر به شيخ قطر[3]، بيد أن ذلك زال بالثقة والتفاهم، واحترام الجوار، وضرورة التعاون، وتوحيد الجهود.

مع مشيخات الساحل العماني:

هي قسم من ثلاثة أقسام: عمان، مسقط، ساحل عمان، امتاز سكانها بالنشاط البحري، والمهارة في المسالك البحرية، والشجاعة في الحروب[4]، وكان «راشد القاسمي» عقب خروج البرتغاليين من الخليج، قد بدأ الاعداد لإقامة دولة عربية مستقلة في ساحل عمان، بيد أن المطامع الخارجية اعترضت طريقة، متكتلة ضده،

(١) حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، جـ٢، ص ٨٨-٨٩.
(٢) صلاح العقاد، كتابه السابق، ص ١٥٦.
(٣) نفس المرجع، ص ١٥٦.
(٤) سيد نوفل، الأوضاع السياسية في الخليج العربي وجنوب الجزيرة، جـ٢، ص ٤٥.

فقامت حروب محلية بين القبائل، وأصحاب النزعات الانفصالية، غذاها الاستعمار، الـذي قوى عملاءه، وحرضهم وأغراهم، وسير الحملات البحرية للقضاء على قوة القواسم، الذين لم يجدوا ما يمنعون به انقسام الساحل إلى وحدات سياسية صغيرة هزيلة، أمام القوات البريطانية، والهجمات الايرانية، وتكالب الزعامات الصغيرة على السلطة، وعمالة بعضهم، سوى القبول بالتجمعات القبلية[1]، التي تكونت منها اليوم دولة الامارات العربية المتحدة، دعاها البريطانيون منذ قيامها عام ١٧٦١م بـ «إمارات أو مشيخات الساحل المتصالحة»[2]، وكانوا من قبل يدعون هذا الساحل بـ «ساحل القراصنة أو القرصنة»، وعددها سبع هي: أبو ظبي، دبي، الشارقة، رأس الخيمة، أم القوين، عجمان، الفجيرة.

هذا وكان القواسم أهم أعوان آل سعود في ساحل عمان، والذين رغم أنهم شكلوا قوة مهـابـة، وأبدوا بسالة أرقت المستعمرين، وصمدوا طويلا، قد استسلموا للقوة الخارقة، التي اشتدت ضراوتها، والمجهزة بأحدث المعدات، والمزودة بأفتك الأسلحة، ولم يستـطيعوا المقاومة عقب سقوط الدرعية، وعند ظهور عبدالعزيز كان عليه حفظ نفسـه، لأنـه لم يكن قادرا على فتـح جبهـة مع بريطانيا، وهو في وضع لايسمح له بالتحرك، ما دام في حالة حرب مع العثمانيين، وحليفهم ابن رشيد، ونزاع مع شريف مكة، ومن ثم كان عليه أخذ حذره من الدولتين المعاديتين في الأردن والعراق، ومواجهة المتمردين في الوسط والشمال والجنوب، فلم يتورط حفظا على كيانه الكبير، وإظهارا لحسن نواياه تجاه أشقـائه في الخليج العربي، فوافق بريطانيا على ما سمته «ضمانات محمياتها»، وتطمينا لمشائخ الساحل المتهادن[3].

---

(١) عبـدالله أحمد شباط، ميلاد دولة، الجزيرة العدد ٤١٣٠، في ١٦ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ ١٩ كانون ثاني «يناير ١٩٨٤م، ص ١٢.

(٢) نفس المرجع، ص ١٢.

(٣) جان جاك بيربي، الخليج العربي، ترجمة: نجدة هاجر، وسعيد الغز، ص ٤٢-٤٣.

مع عمـان ومسقـط:

تحتلان رقعة واسعة من جزيرة العرب تمتد من ساحل عمان شمالا حتى بحر العرب إلى الجنوب الشرقي، والربع الخالي في الشمال الغربي والغرب، وهما بهذا الموقع لهما أهمية كبرى، حيث مدخل الخليج العربي، والاطلالة على البحر العربي، والاتصال بالهند، وسواحل أفريقيا الشرقية[1]، فشاءت السياسة البريطانية المعتمدة الأساليب الميكافيلية تفـريق الأشقـاء، ومن المؤسف أن تجد أعوانا يساعدونها على إخوانهم، فظلت زمنا مسقط تتنازع مع عمان بتحريض من الانجليز، المستفيدين الوحيدين من هذا النزاع، وقد كان للسعوديين صلات قوية مع معظم قبائل عمان وأئمتها منذ إمامة سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ودان هؤلاء بالولاء لدولة سعود في الدرعية، الذي لزم الحذر في عملياته العسكرية في مطلع القرن الماضي في الخليج، خشية إنشغاله عما أعده له محمد علي[2]، ولكنه خلال صراعه معه لم ينس عمان، حتى أثناء إمامة ابنه عبدالله رغم تغلغل قوات والي مصر في نجد، رابطت قوة سعودية في عمان، فتوطد نفوذه فيه، ولم يخله إلا بعدما اشتدت ضربات جيوش ابراهيم باشا[3].

وفي عهد الامام فيصل بن تركي، أحست بريطانيا بأهمية «البريمي»، فأعلنت حمايتها عليه، في محاولة منها للحد من النفوذ السعودي المتغلغل فيه، ولكن فيصلا لم يعترف لها، والقبائل بقيت على ولائها، تدفع الزكاة، بينما رأته بريطانيا عدم التدخل في شؤون عرب الجزيرة الداخلية، ما دام ذلك لايعني تدخل دولة منافسة، قد تغير

---

(١) فيليب رفله وأحمد سامي مصطفى، جغرافية الوطن العربي، ص ٣٦٥.

(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ١١٤-١١٥.

(٣) محمد سعيد الشعفي، العلاقات السعودية العمانية (١٨٠٠ - ١٨١٨)، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود في الرياض، العدد الأول من المجلد الأول، السنة الأولى، ص ٢٤٣.

وضعا لاترغب تغييره أو تخل بأمن سفنها[1].

ويظهر أن الإمام فيصل بدأ يشعر بالمخطط البريطاني، وكان في موقف صعب، فلا بد له من مسعى يؤمن به ممتلكاته في الخليج، فرأى أن مخاصمة الانجليز والمصريين والعثمانيين في آن واحد ليست من الحكمة، فهادن محمد علي، والسلطان العثماني لفترة، وأبدى استعداده لمفاوضة البريطانيين، فزار الرياض مندوب بريطاني، لم تثمر مباحثاته فيه عن نتيجة، فعاد من حيث أتى دون أن يظفر بأي اعتراف لحكومته بوضع خاص[2].

إن الخلاف حول البريمي، الذي افتعلته بريطانيا، مصدره مطامعها بعدما أشارت الحفريات بوجود بترول فيه[3]، متجاهلة بذلك حقا تاريخيا، ورغبات الأهالي في الحكم السعودي، فانتزعته بغير وجه حق، فشجعت الحركات الانفصالية، وغذت النعرات القبلية[4]، ولما لم تجد حجة أمام محكمة العدل الدولية، انسحب ممثلوها، فظلت قضية البريمي معلقة إلى أن أخلى البريطانيون الخليج، فتصافى الأشقاء.

مع العراق:

في ربيع عام ١٩١٦م عقدت اتفاقية سرية بين كل من: انجلترا، وفرنسا وروسيا، دعيت «اتفاقية سايكس ـ بيكو»، الهدف منها تقاسم تركة الامبراطورية العثمانية، وفيها

---

(١) عبدالفتاح أبو عليه، الدولة السعودية الثانية، ص ١٣١ وما بعدها.

(٢) Pelly's Report, pp. 7-8.

(٣) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ترجمة: عفيفه بستاني، ص ٤٤٨.

(٤) عرض الحكومة السعودية أمام محكمة العدل الدولية، المجلد الثاني.

تقـرر أن منـاطق النفوذ البريطانية الملونة بـ «الأحمر»، تشتمل جنوب سورية ومعظم العراق، وعكا وحيفا، بينما بقية فلسطين أشير إليها بـ «اللون البني»، تكون تحت إدارة دولية، وكان نصيب فرنسا المشار إليه باللون الأزرق»، فيشمل: معظم سورية، وجزءا من الأناضول، والموصل في العراق، وحصة القيصرية الروسية تضمنت «اسطنبول»، وأميالا على جانبي «البسفور»، وأربع ولايات تجاور حدودها في شرق الأناضول[١].

مضت ستة أشهر دون أن يسمع أحد بهذه الاتفاقية، حين أعلن البلاشفة الذين أستولوا على السلطة في روسيا نصها في كانون أول «ديسمبر» عام ١٩١٧م، وذلك فقط بعد شهر من توليهم السلطة، الأمر الذي دعا العثمانيين إلى التقدم بعرض استهدفوا منـه عقـد صلح عربي ـ تركي منفـرد[٢]، ولكن الملك حسين رفض العرض، قابلا التفسيرات المضللة، التي قدمتها له الحكومة البريطانية حول بنودها[٣].

لم يكد حسين يطمئن للوعود البريطانية، حتى فوجىء بهذه الاتفاقية، فتكشفت له الحقيقة المرة[٤]، بيد أن آماله ـ وإن تبددت في إقامة دولة عربية ـ فإنها لم تقض على رغبتـه في تنصيب أنجـالـه، الذين سعوا فرادى ومجتمعين لاقتطاع أجزاء من العالم العربي، في رعاية الاحتلال الأجنبي، فحرص الشريف فيصل على حضور المؤتمرات، ونشط في مفاوضاته مع كل الأطراف المعنية، وبعدما كان يؤمل في كل سورية[٥]، قنع بما تم الاتفاق عليه مع الفرنسيين، وكان الشريف عبدالله قرر أن يكون العراق من نصيبه، غير أن اصطدام أخيه بالفرنسيين، الذي أدى إلى خروجه من سورية، فوت

---

(١) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ص ٣٤٧ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٥٨.

(٣) نفسه، ص ٣٦٢.

(٤) محمد علي علوبه، فلسطين والضمير الانساني، ص ١٠٦.

(٥) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، جـ٥ «الدول الاسلامية بعد الحرب العالمية الأولى»، ص ٩٣ وما بعدها.

عليه فرصة تنصيبه على العراق، حينها أقر ما دعى بـ «مؤتمر الشرق الأدنى»، عام ١٩٢١م، برئاسة وزير المستعمرات البريطاني «وسنتون تشرتشل»، أقر تنصيب فيصل ملكا على العراق[١]، وفي أثناء ذلك قدم الشريف عبدالله على رأس جيش قاصدا الثأر لأخيه، ولكنه عند وصوله عمان، أرضاه المؤتمرون بإمارة الأردن[٢]، فهدأ غضبه، وفتر حماسه.

وهكذا نجد الانجليز أحاطوا عبدالعزيز بدول تناصبه العداء، فبات السكوت على حائل يهدد كيانه، فعزم على احتلالها، غير ملتفت للأصوات المغرضة، وقد مرَّ معنا ـ فيما سلف ـ ما كان بين نجد والعراق، ومن ثم ما كان بين العراق ونجد والحجاز، وبينا أهمية العراق بالنسبة لنجد، وبقي أن نضيف أن في العراق جاليات نجدية كبيرة، منتشرة في جميع أنحائه تقريبا، بل فيه مدينة قرب البصرة، اسمها «الزبير» كان جميع سكانها من النجديين، وفدوا إليها لأسباب عديدة، واستقروا حاملين معهم عاداتهم، وأساليب حياتهم النجدية، بعد أن أعانتهم وشجعتهم الدولة العثمانية على الإقامة، لأنه كان قرية دورها لاتتجاوز عدد أصابع اليد، معرضة على الدوام لغارات البادية[٣]، مما يبدو معه أن العثمانيين استهدفوا من تشجيع إقامة النجديين فيه، وضع حاجز بينهم وبين البادية، لما عرف به أهل نجد من شدة البأس، والشجاعة، فشيدوا الدور، والحوانيت، والمدارس، والمساجد.

أضف إلى ذلك، أن كثيرا من العشائر النجدية نزحت للعراق، فأقامت به، سيما، بعد سقوط حائل، ولم تكن الحدود قد حددت، والحكم كان موقفه عدائيا، فتوترت

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٨٥.

(٢) فيلبي، كتابه السابق، ص ٣٢٨.

(٣) يوسف حمد البسام، الزبير قبل خمسين عاما، مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، ص ١٠٢-١٠٣.

العلاقات بين نجد والعراق، ولكن المعاهدات التي عقدت، ولقاءات المسؤولين بين البلدين الشقيقين، والاجتماع الذي تم بين عاهليهما، أنهت حالة التوتر، ولم يحدث بعد ذلك سوى خلافات عابرة، سرعان ما تنتهي بالتفاهم، وبموجب ما اتفق على اتباعه.

مع الأردن:

كانت شرقي الأردن جزءًا من جنوب سوريا، ولم يصبح له كيان إلا عام ١٩٢٠م، حينما حل به الشريف عبدالله بن الحسين، فاعترفت بريطانيا به أميرا عليه[1]، والمشكلات معه شبيهة بالتي مع العراق، سويت جميعها، غير أن عبدالله ظل مدة طويلة، يحمل لعبدالعزيز حقدا، ويعرض به دائما، ويحاول النيل منه كلما سنحت فرصة، وعبدالعزيز صامت لم يقابل الإساءة بمثلها، رغم ما لديه من وثائق تدين عبدالله، الذي أيضا لم يقتصر تعريضه بالملك عبدالعزيز في مجالسه الخاصة، بل كثيرا ما نال منه في مذكراته[2]، ولكنهما أخيرا تصافيا، فزال ما في النفوس.

مع اليمن:

بعد أن أتم عبدالعزيز توحيد مملكته، ونال مرامه، ثارت عوامل الحسد، ونشطت تحركات الحاقدين، الذين لم يطب لهم ما وصل إليه، وغاظهم ما يتمتع به من احترام، ويحظى به من حب، بعد توطيده الأمن، وقضائه على سلبيات الماضي، وانتصاره على أعدائه، ويبدو أن إمام اليمن شعر أن امتداد نفوذ عبدالعزيز إلى عسير، واتصاله

---

(١) وهبه، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ١٢٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

بنجـران، سيحول بينه وبين مطامعه، فحدثت أزمة بين تضاعيفها بوادر حرب بين القطرين الجارين[1].

هذا وأسباب الخلاف التي أدت لقيام حرب بينهما يمكن حصرها في:

١ ـ الضعف الـذي أصيبت به الامارة الادريسية، مما أتاح فرصة لاكتساح جيوش المملكة المتوكلية وقتئذ، لبعض مدن ومناطق تابعة للإدريسي[2].

٢ ـ عدم احـترام الإمام يحيى حميد الدين حماية الملك عبدالعزيز للإدريسي، حتى كادت تنشب حرب بينهما، أوقفتها مفاوضات بعض الوقت.

٣ ـ مسـألة نجران كانت الموقد الذي تطايـر منه الشرار، فكل من العاهلين يدعي أحقيته بها، فالملك اعتبرها تحت حمايته، استجابة لرغبة أهلها، والإمام يعتبرها يمنية، فدارت حولها مفاوضات لم تثمر عن نتيجة[3].

٤ ـ كان الإدريسي قد بدأ يتطلع للاستقلال في شؤونه الخارجية، والتخلص من حماية عبدالعزيز، بتحريض من حزب الأحرار الحجازي الذي قام بتشجيع من الأمير عبـدالله، حيث استقبـل الإمام أعضاء منه، فأنكر الملك عليه ذلك، ولكنهم استطاعوا الخروج من اليمن، فاتصلوا بالإدريسي[4].

٥ ـ بعد إخماد فتنة الأدارسة، لجأوا لليمن، فاتخذهم الإمام ضد الملك.[5]

هذه الأسباب، وما تخللها من مؤامرات ودسائس وفتن واعتداءات، لم يجد الملك

---

(١) فؤاد حمزه، في بلاد عسير، ص ١٠.

(٢) أحمد محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ٢، ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) فؤاد حمزه، في بلاد عسير، ص ١١.

(٤) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، جـ١، ص ١٨٠.

(٥) نفس المرجع، جـ١، ص ١٨٠.

عبدالعزيز ما يقضي به عليها غير الحرب فقامت بين البلدين الشقيقين[1]، وكان مسارها دائما في صالح ابن سعود، الذي أخذت جيوشه تتقدم حتى دخلت الحديدة، ووقفت على أبـواب صنعـاء، غير أن عبـدالعـزيز، أدرك أن احتلال اليمن، سيجعله أمام مسؤوليات أكـبر، وقـد يعرضه للتدخل الأجنبي، فاستعمل الحكمة، وترك السيف جانبـا، بعـدمـا لقن الإمام درسا في الحرب والسياسة، فعقد العاهلان صلحا، تم بموجبه تحديد الحدود، وجلاء القوات السعودية من اليمن[2].

ثانيا: المواقف العربية والإسلامية:

الـدولة السعودية المعاصرة، قدرها حتم عليها أن تكون درع العروبة، وعرين الإسلام، فمنها شعت أنوار النبوة، وفي وسطها نشأت حركة إصلاحية رائدة، وهي جزء من الأمة العربية، وفيها توجد أقدس الأماكن الإسلامية، تقع في القلب منها، وتحتل أكبر مساحة في مهد العرب، فلا بد وهذه حالها أن تتفاعل مع القضايا العربية، وتأخذ حيزا كبيرا من إهتمامها، وأن يتجه إليها الأحرار، وطلاب التضامن والوفاق، وأن تساعد المسلمين، وتدافع عن قضاياهم، وتقف في وجه أعدائهم.

إلا أن العرب خلال الفترة التي نبحثها، كانوا موزعين بين عدة اتجاهات، ولم يكن الوعي قد وصل مستوى التمييز، وفي المنطقة العربية بلدان كانت معزولة، وبعيدة عن مظاهر الحياة الحديثة، وبعضها كان محكوما من غير أهلها، ومعظمها خضعت للنفوذ الأجنبي، وقـد حكـم العـرب حكـام ضعفـاء، ومنهم العملاء الذين لاتهمهم غير مصـالحهم الذاتية، فباعوا شعوبهم، وعرضوا أنفسهم للعنة التاريخ. بالنسبة للعالم الإسـلامي، لم تكن أوضـاعه أحسن حالا من أوضاع العرب، بل قد مزق وحدته

(١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ١١.
(٢) أحمد محمد العقيلي، المخلاف السليماني، جـ١، ص ٣٤٩.

اختلاف مذاهبه، وتعدد أجناسه[1]، وتباين لغاته، التي وجد فيها الاستعمار، مجالا رحبا فشق صفوفه، فدخلت في الدين البدع، وظهرت النعرات القومية، والتعصب للغات المحلية، التي رأى فيها أعداؤه تكريسا لنفوذهم، وتبديدا لأهداف المسلمين، وتغذية لتخلفهم من خلال خلافاتهم.

ورغم كل ذلك كانت سياسة الملك عبدالعزيز الاسلامية مبعثها اهتمامه بقضايا المسلمين، التي لايمكن حلها ما لم يجتمعوا على صعيد الايمان، ففيه تسمو نفوسهم، وتترسخ مبادىء العقيدة في أذهانهم، فالإيمان مثل أعلى، لأنه يجعل الإنسان في ذروة القـوة، ومنتهى المنعة، فتزول الأدران، وتعمل العقول، وتطمئن الخواطر، وتصلح الأعماق، حيث تتطور كل الأشياء محفوظة من الشوائب.

وهكـذا نجـد أن دعـوة عبدالعزيز إلى أهمية اجتماع المسلمين، وضرورة توحيد كلمتهم، وبحث شؤونهم، بعيدا عن التأثير غير الإسلامي، أدت برغم أوضاعهم إلى بعض الايجابيات، التي أسهمت في نهضتهم، وقد قوبل دخوله الحجاز بالاستحسان من غالبيتهم، وفاز برضاهم حين أمن طرق الحج، وضرب على أيدي العابثين، وكفل جميع الحقوق، وساوى ولم يفرق[2]، ودافع عن القضـايا الإسلامية، مدفوعا بحماسه الـديني، ومهمته كخادم للحرمين الشريفين، ومسلم مؤمن، وحاكم حر حصيف، ومجاهد شجاع، وزعيم أجهز على الشتات، وقضى في جزيرة العرب على الاختلاف.

مـع مصـر:

منذ حملة إبراهيم باشا، التي وجهت للقضاء على عاصمة السعوديين الأولى، بأمر

---

(١) طلال بن عبدالعزيز «راوي»، صور من حياة عبدالعزيز، إعداد: كمال الكيلاني، ص ٦٤.
(٢) نفس المرجع، ص ٦٤.

من السلطان العثماني، واستجابة من واليه على مصر، محمد علي باشا، الذي تظاهر بطاعـة الخليفـة، والحقيقـة أنه وجد الدولة السعودية الأولى، عقبة في سبيل تحقيق طموحاته العربية، لم يرتح النجديون لحكام مصر من سلالة محمد علي، وبعد خضوع مصر للاحتـلال الانجليزي، وسقوط الدولة العثمانية، ودخول عبدالعزيز الحجاز، بدأت العلاقات مع مصر عقب فترة انقطاع طويلة، وكان لمصر في الحجاز دور فعال من خلال أوقـافهـا، ومحملهـا المحـاط بالحـراسـة المشـددة والأبهـة، والمقـامة حوله الاحتفالات، فحاول عبدالعزيز تحسين علاقته بها، وتوثيق التعاون معها، مؤكدا على أهميتها، ومؤمنا بدورها الحضاري، ومستعدا لمناصرة مطالب أحرارها، والتفاهم مع رجالها الدينيين والدنيويين.

أثنـاء ذلك كان فؤاد يحكم مصر، وكانت له مطامع في الخلافة على المسلمين، حيث توهم أنه لايصلح لها سواه، فشاه إيران شيعي، وإمام اليمن زيدي، وابن سعود وهـابي[1]، ومصر مركـز الثقـل، ومقر الأزهر، فاختلق ما يعكر صفو العلاقات بين القـطرين العـربيين الشقيقـين، مستغلا أزمة المحمل، والعوائد حول الأوقاف، ولم يستجب لنـداءات الملك عبـدالعـزيز لإزالـة سوء التفـاهم، وتجاهل نصائح عقلاء حكومته، وكبار أعيان مصر في أهمية قيام علاقات ودية مع الملك ابن سعود، إلى أن رحل، فقامت العلاقات[2]، بل نمت في شتى المجالات.

إن الملك فؤاد يغمز ملوك المسلمين، حتى يحقق لنفسه ما ينقصه، فهو يحكم بلادا ليست بلده، فلم تستجب له قلوب أهلها، وليته عدل، وضرب في سيرته المثل، بل نكل واحتقر، وتعالى وتجاهل وجهل، وصار عميلا للمحتلين، وأداة من أدواتهم في

(١) حافظ وهبه، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ١٣١.

(٢) نفس المصدر، ص ١٤٦.

تنفيذ سياستهم الاستعمارية، تعاون معهم ضد شعب مصر وزعمائه، ورغم ذلك يطمح للخلافة، خشية أن يفوز بها ابن سعود، ولم يجد مطعنا فيه سوى عقيدته السفلية، وكأنه صدى يردد أبواق الضلال، التي أغضبها الوصول إلى لب الدين، ووجد نافخوها استجابة ذوي المصالح الخاصة، فانطلت الخدعة على البسطاء من عامة المسلمين، تماما كما حاول المستشرقون التضليل بأن المسلمين «محمديون» إشارة إلى أنهم ليسوا أصحاب دين سماوي.

إضافة إلى أن الملك عبدالعزيز، رغم تحقيقه ما يشبه المعجزات في مسيرته الوحدوية لمعظم أجزاء شبه الجزيرة العربية، فإنه رجل واقعي، لايفكر في المشروعات الخيالية، وثقته بنفسه، وحسن تدبيره، وثقابة تفكيره، وحب شعبه له، واحترام الأصدقاء والأعداء له، وأرومته العربية الأصيلة، وإسلامه الحقيقي، تجعله لايشعر بالنقص، ولايطمع بلقب لأنه لايهتم بالألقاب، ولايغريه التطبيل والتزمير، فهو رجل عملي، هدفه الإصلاح، وتحقيق الأمان والأمن والاستقرار، وإشعار المسلمين بأهمية التضامن، وقيمة تكتلهم ضد خصومهم.

ثالثا: عبدالعزيز والقضايا العربية:

قال «لورانس» في كتابه «أعمدة الحكمة السبعة»[1]: «. . . وكانت شكوكي تتجمع في قناعتي بأن ما ينقص الثورة هو الزعامة لا المواهب العقلية أو الحكمة السياسية، وبكلمة أخرى كان ينقصها شعلة الحماسة التي تلهب الصحراء وتحيلها نارا متقدة»، وبغض النظر عن سلوك لورانس، وإيحائه بشكل أو آخر بأنه صانع المجد العربي، فما هذا إلا إدعاء وغرور، وهو صاحب غرض، واتجاهه استعماري، ودوره

---

(١) ص ٣١.

محدود، ولكنه مفكر، ويملك أسلوبا رفيعا، وبراعة أدبية، أحس بأن العرب بحاجة للزعامة، وفي داخله عنده كامل القناعة، بأن عبدالعزيز هو الذي ألهب الصحراء، وجعلها تشب نارا في وجه الطامعين وعملائهم، غير أن لورانس رغبها على هواه، ووفق مزاجه، حيث نراه لايخفي إعجابه بفيصل بن الحسين في عدة مواضع من كتابه المشار إليه، إلا أن آماله خابت، وتلاشت مطامحه، بعدما ضيعه تيهه، مغالطا الحقائق، ومنساقا خلف شذوذه، فوقع في مغبة شطحاته، مبتعدا عن الواقع، ومتلذذا بخيالاته التي حقق من خلالها مجدا أدبيا، جاعلا من سيرته أسطورة، وفي معظم حديثه عن فيصل يظهر نفسه بمظهر المعلم، الذي يلقي الدروس في السياسة والحرب، فكأنه يهجو بأثواب المديح، ويضعف الآراء بكثرة تصنيحاته للمعلومات.

قد علم أن زعامة عبدالعزيز، صاحبتها موهبته الفكرية، وحكمته السياسية، وشجاعته، ومعنويته العالية، وتواضعه المتسامي، وأهدافه النبيلة، وجلده وقوته، وقبل كل شيء إيمانه العميق، «. . . الذي يسيطر على أخلاقه وأفكاره»[1]، فأدرك جيدا أن المؤمن لايقنط، ورحمة الله أمله الوحيد، فيعمل وعليه يتوكل، وبه يستعين، وعن الحق لايتراجع، ولايهاب بشرا أو يراوغ للوصول إلى غرض، لأنه صاحب مبادىء، وملتزم لايتلون، ومواقفه ثابتة.

كانت أمنية عبدالعزيز أن يتحد العرب، ويتضامن المسلمون، وعن الوحدة العربية عندما كتب أمين الريحاني عام ١٣٤١هـ يقول عنه[2]: «هو يبغي الوحدة العربية ويساعد من سعى بإخلاص في تحقيقها. فيحضر اجتماعا يعقد لهذه الغاية، ويقبل الزعامة والبيعة ملكا على البلاد العربية كلها لاعتقاده أنه أهل لها ويستطيع

(١) عبدالعزيز شرف ومحمد إبراهيم شعبان، عبدالعزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الاسلامية، ص ١٥٦.

(٢) ملوك العرب، جـ٢، ص ١٠٢.

تعزيزها . . . وإذا بايع العرب غيره فهو يقبل ذلك ولايتحول عن فكرته، بل سيستمر في خدمة القضية العربية بما يستطيع، وإذا لم تتحقق الوحدة وكان إئتلاف أو حلف عربي بين أمراء العرب لتعزيز شؤونهم معنويا وسياسيا، ولضمان مصالحهم الاقتصادية المشتركة فهو ينضم إليه».

قال الريحاني[1]: «كتبت خلاصة الحديث تلك الليلة كما هي أعلاه وأطلعت السلطان عليها لأتحقق صحة الرواية. فقرأ ما كتبت فقرة فقرة ثم أخذ القلم وضرب على الفقرة الثانية قائلا: أسأت فهمنا فيها. نحن لانقول كلمة ينقلها عنا الأستاذ الريحاني ولانثبت عليها. ولكن هذا لايكون، أشار وهو يتكلم إلى الفقرة الثانية ثم قال: نحن نعرف أنفسنا ولا نقبل الرئاسة في غيرنا».

عبدالعزيز رجل يعرف نفسه، ويعرف طبيعة عصره، ويعرف مسالك النهوض، فالوحدة في نظره هي أساسا تنبعث من العقيدة، وتتأكد بالتكامل الحضاري والفكري، قبل انبعاثها من الموقع أو الجانب العرقي، ففيها «. . . سر البقاء والاستمرار»[2].

هذه طبعا القاعدة غير المتعارضة مع التقارب، المشكل من الموقع الجغرافي، فالجوار له حق، وصلة الرحم مطلوبة، وهذان مبدآن إسلاميان، ولابد أيضا من مراعاة التجانس اللغوي، وهذا ما يفهمه الملك عبدالعزيز فهما عميقا، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه قوله[3]: «لست ملكا بمشيئةٍ أجنبية، بل أنا ملك بمشيئة الله، ثم بمشيئة العرب الذين اختاروني وبايعوني، على أنها ألقاب وأسماء! فما أنا إلا عبدالعزيز، قال العرب إنني

---

(١) ملوك العرب، جـ ٢، ص ١٠٢.

(٢) عبدالله بن عبدالمحسن التركي، المملكة العربية السعودية والعالم، الشرق الأوسط، العدد ١٨٤٨، في ٢٠/١٢/١٩٨٣م، ص٨.

(٣) عبدالعزيز شرف ومحمد إبراهيم شعبان، كتابها السابق، ص ٢١٢.

ملك، فرضيت قولهم وشكرت ثقتهم. وفي اليوم الذي يريدونني زعيما لهم أعود إلى الصف، وأحارب معهم بسيفي، كأصغر واحد فيهم دون أن ينال نفسي شيء من الغضاضة».

إن منطلقات عبدالعزيز إسلامية عربية: فالمصلحة واحدة، والمصير والعدو واحد، فليس بين العرب والمسلمين أي تناقض، ففي وحدتهم قوة، وفي وحدة العرب قوة المسلمين، والعرب لولا الاسلام ما علا شأنهم، وسمت مكانتهم، وازدهرت حضارتهم، فلا فرق بين مسلم عربي أو مسلم هندي إلا بالتقوى، ومشكلات المسلمين هي مشكلات العرب، وكبقية بلاد المسلمين شهدت الديار العربية نهضة، ولكنها نهضة لم تنبعث من الأصل، حتى تتسق المعطيات وتتوافق الاتجاهات، فتتكون عوامل النهضة تكوينا يساعدها على الارتفاع بالأفكار والمفاهيم، وكانت زعامة عبدالعزيز في فترة بحثنا تصطدم إما بنزعة الانفصال، وإما بحب الاستئثار، وإما بمكر الاستعمار، وإما بالوعي الهابط والتأثر الحديث المسلوب من فهم الجذور، ومكامن العطاء في الأحياء، وبعث المنسي.

إن خوف الصليبية من عودة المجد الإسلامي، وشعورها بالتضاؤل حياله، وحرصها على التفوق، جعلها تحارب المسلمين بشتى الطرق الظاهرة والخفية، فلما أحست بيقظتهم، استماتت حتى وأدتها، حين خلقت قضايا ومشكلات، سخنت فانشغل بها المسلمون عن تنمية النهضة، وهي كثيرة، ولكننا سوف لانذهب بعيدا، فانحصر أبرزها في المتعلق منها بالوطن العربي، ودور الملك عبدالعزيز في القضايا العربية، وكانت أهمها قضيتين هما:

١ ـ قضية فلسطين:

كانت من أولى القضايا التي شغلت عبدالعزيز منذ عام ١٩١٥م، حين حاولت بريطانيا أثناء محادثات القطيف إقناعه بسيادتها على فلسطين، ولم تكن بعد قد ظهرت

النـوايا الـبريطانية تجاهها، حيث أن احتلالها حدث بعد مضي عامين من عقد هذه المعـاهـدة، فبدأ إحساس عبدالعزيز بخطورة ما هي مقبلة عليه فلسطين، فانطلق مدافعا عن عروبتها، وأهميتها بالنسبة للمسلمين، وكثف جهوده لمنع الهجرة اليهودية إليها، ومتابعته ومشاركته في معظم المؤتمرات، والمباحثات التي دارت حولها.

قضية فلسطين كبرت، والأحداث فيها تطورت، وكان عبدالعزيز الرجل الذي أعطى قضيتها أكبر قدر من اهتمامه وعنايته، وقد عمل على حفظها من الضياع، وقدم المقترحات المجدية لمنع ضياعها[1]، واستقبل زعماءها، ومد لهم يد العون، وأنذر القوى الكـبرى من مغبـة ما يخططون له، وشـارك مع بعض الشقيقات في حرب فلسطين الأولى، وقد جند طاقاته في سبيلها، ولكننا لانستطيع ولوج ذلك، لأن بحثنا يقف عند السنـة **١٩٣٢**م، حيث تكشفت خبـائث الصهـاينة، وأهداف المستعمرين، فقاوم عبدالعزيز بالقول والعمل، الأمر الذي بعث الرعب في البريطانيين، حين عمد إلى فرض سيطرته على مساحة كبيرة من بلاد العرب، فخشوا على انكماش نفوذهم، عاملين على مواجهته بتشجيع مشروعات وحدوية عربية، تأتمر بأمرهم، بغية تحجيم دور الملك عبـدالعـزيز العـربي والإسلامي[2]، ولكنها لم تنجح؛ لأنها لم تقم بناء على المطالب الشعبية، واستخلاص الحقوق العربية من مغتصبيها.

٢ ـ المسألـة السوريـة:

سورية صلاتها مع نجد قوية متينة لعدة اعتبارات منها: أن كلا منهما على الإسلام والعـروبـة، وبعض أفخـاذ القبـائـل النجدية مقيمة فيها، لاينقطع اتصالهم بأبناء

---

(١) طلال بن عبدالعزيز، المرجع السابق، ص ٦٤ـ٦٥.

(٢) محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب، جـ٢، «المملكة العربية السعودية»، ص ٥٢٦.

عمومتهم، وأن أسواقها مفتوحة للتجار النجديين، وفيها جاليات منهم كبيرة، اختلطوا وتزاوجوا، فحصل الارتباط والتقارب، وخلال فترة بحثنا كانت سورية ترزح تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، فوفد كثير من أحرارها طالبين مساعدة عبدالعزيز على تحريرهم من الظلم، وإعانتهم على تخليص أنفسهم من الجور، فكان لهم خير معين، فمدهم بالمال والسلاح، وواساهم[1]، وفتح أبوابه لهم، وقد انخرط في خدمته بعض أحرار سورية البارزين نضاليا وثقافيا، أمثال: فؤاد حمزة، والزركلي، ويوسف ياسين.

وهكذا نجد أن عبدالعزيز حين حفظ نفسه، ولم يحالف بريطانيا رغم مجاملته لها، فإنه رغم مواقف العثمانيين العدائية، حاربهم من خلال مطامعهم في أرضه، ومناصرتهم لخصمه ابن رشيد، ولم يقف ضدهم إكراما للبريطانيين، وليت العرب أدركوا ما أدركه من المخطط البريطاني، المستهدف إثارتهم ضد العثمانيين من خلال الملك حسين، ففطنوا للعبة، وفهموا قبل فوات الأوان النوايا، لما قامت أنظمة هزيلة مهلهلة في البلاد التي رحل عنها الاستعمار الأوروبي، ولما تمكن الإنجليز من غرس جسم غريب في قلب الأمة العربية.

رابعا: عبدالعزيز والصراع الدولي:

كان الصراع الدولي في سنوات بحثنا الأولى، يدور في جزيرة العرب، متمثلاً في دولة الخلافة العثمانية، والإمبراطورية البريطانية، وكلتاهما بالنسبة لمؤسس الدولة السعودية المعاصرة شر لابد من إبعاده ـ إن لم يكن في الإمكان القضاء عليه ـ ولكن بعض المسلمين الذين لم يكتشفوا ما آلت إليه الدولة العثمانية، بعدما إختل توازن الإنكشارية، وفسد نظام الإدارة، حيث صارت الولايات من نصيب الدافع أكبر

(١) حافظ وهبه، خمسون عاما في جزيرة العرب، ص ١٧١.

حصة، والجباية تعهدها أشخاص عقب المزايدة عليها، استعصى الداء، فاشتدت خطورة نزعة القومية الطورانية، التي شايعها الحكام من جمعية الإتحاد والترقي[1].

على الرغم من كل ذلك، بقي البعض مواليا للعثمانيين إما عن جهل وضيق أفق، وإما عن تصور لصورتهم الأولى، حين دافعوا عن الإسلام، ورفعوا راياته، حتى وقفوا على أبواب فينا، وأدخلوا الرعب في قلوب أعداء المسلمين، وفي الحالين، ظلت جماعات في جميع البلدان الإسلامية، لاتعتبر الدولة العثمانية، دولة استعمارية، وعبدالعزيز لم يخف عليه هذا الجانب، ولم يغب عنه اختلاف الآراء في الأقطار العربية حول الدولة العثمانية، فمنها من يرى: ضرورة اتباع القوة معها، وهناك من يرى: الإبقاء على السيادة العثمانية، عندما يقبل العثمانيون فكرة الإصلاح، وإعطاء الولايات قدرا كافيا من الحرية، والصلاحيات، بيد أن الذي ظهر واضحا أن العثمانيين عند قيام الحرب العالمية الأولى، ظلموا العرب، وطغوا ونكلوا، فتوترت العلاقات[2].

ومع أن عبدالعزيز لم يكن يهمه من أمر الدولة العثمانية، إلا سياستها في البلاد العربية عامة، والجزيرة العربية خاصة، فإن عوامل ضعفها لاتخفى عليه، غير أن وجودها لازال مشاهدا بكثافة في الحجاز ونجد واليمن وعسير ـ وإن حاربها في القصيم ومنطقة الإحساء ـ فقد عقد معها إتفاقا[3]، وهذا يؤكد إحساسه القوي بالرأي العام الإسلامي، ويظهر حنكته السياسية، والتزامه تجاه وطنه، وحرصه الشديد على السلام، ومحاولة وقوفه على الحياد في صراع بين دول كبرى، لاناقة له فيه أو جمل، فكان حذرا ومتيقظا، فلم يقع في المصيدة المنصوبة كغيره.

---

(١) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ٤٧.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٨.
(٣) نفسه، ص ١٣٨.

هذا ويظهر أنه لم يكن واثقا في إمكانات العثمانيين، حين أرادوا استمالته بعد اشتداد حركة الوطنيين في سورية، فلم يرضه فعلهم، فأنحى باللوم الشديد عليهم، وقدم اقتراحا للوفاق مع الدولة العثمانية - إن هي التزمت بالتعاون مع العرب على أساس حماية المصالح الإسلامية[1] - ولكن الفكرة لم ترقها، وقد فوت عليها اصطياده، فلم يقع في شباكها برغم نفوذها في العديد من أنحاء الجزيرة العربية، فلم يرض أن يكون سلما، فتورطت معه في قتال مباشر في الصحراء على عكس الإنجليز، وهذا على ما يبدو ما جعل ابن رشيد يميل لها، لأنه لايملك قدرات عبدالعزيز الفكرية، وبلاده داخلية لاتصلها بوارج الإنجليز، وطلعات طائراتهم عسيرة لبعد قواعدها.

وهكذا نرى أن السياسة العثمانية فاشلة لعدة عوامل منها: أن حملاتهم العسكرية لم تحقق الأهداف، وأسلوبهم في الحكم تدخل كامل، وفي الجوانب المالية، كانوا يعتمدون القوة ويمايزون، ويهتمون بالمصلحة الشخصية، فانتشرت الرشوة، وغابت الذمة.

وهذه أمور لاتتفق مع اتجاه عبدالعزيز، فضلا على أن العثمانيين عادوه صراحة، فهو طموح، ولكن طموحه يقيده فكره، ولم ينسق يوما خلف الأهواء، بالإضافة إلى أنه لايريد أن يكون استقلاله مشابا، وهذا لم يمنعه من مجاراة الأوضاع التي فرضها في المنطقة الصراع الدولي، المتمثل في جزيرة العرب بين بريطانيا والدولة العثمانية، وحلفائهما من الأمراء والسلاطين المحليين، والأخيرة وضح ضعفها، ولم يعد يهم عبدالعزيز شأنها، سوى ما تقدمه لعدوه في شمال بلاده، ولم يشأ خوض صراع مع بريطانيا، لأنه بعد استرداده منطقة الإحساء من العثمانيين، كانت لها قوات محتشدة قربه في البحرين، فأبدى استعداده للتفاهم، فقام بزيارته مندوبها في البحرين، ولم

---

(١) فيلبي، تاريخ نجد، ص ٣٠٢.

يكن هذا الاتصال الأول بها، ولكنه صار بعد مجاورته محمياتها، في وضع يسمح له بالتحرك ضدها، وكانت قد أحست بقيمته ومقدار تأثيره، منذ أخذ منطق الأحداث يهدد سلطانها عند قيام الدولة السعودية المعاصرة[1].

إن شعور بريطانيا بتعاظم قوة ابن سعود، جعلها تبحث معه «مسألة الخلافة»، وكيفية عودتها للعرب، فكان كبش الفداء حسين[2]، وقد أدرك عبدالعزيز الغرض الحقيقي لها عندما أخذ المقيم في الخليج في مطلع عام ١٩١٧م، يحاول صرف انتباهه عما يجري في الحجاز، وأن همه الأول حصار المراكز العثمانية، لذلك حرضه على مهاجمة ابن رشيد، وكانت المؤن في سورية قد شحت، فراجت سوق التهريب، عبر الموانىء الخليجية الخاضعة للبريطانيين نحو دمشق، وكانت ثورة الملك حسين، قد بدأت تفقد بريقها[3]، ولكن عبدالعزيز، إيمانا منه بأهمية توحيد نجد، وتأمين نفسه، ومن منطلق مسؤوليته عن استقلالها، شدد ضغطه العسكري على حائل وحلفائها العثمانيين، وفي نفس الوقت كسب التأييد البريطاني، فنشطت اتصالات البريطانيين به، فجاملهم وحاولوا التقرب إليه، ولكنه لم يقع في الفخ، ولما وجد أن مطالبهم تتعارض مع مصلحته، مضى دون اهتمام لتهديدهم، فقضى على ابن رشيد غير مبال في رغبتهم، المستهدفة حفظ توازن القوى في الجزيرة العربية، ضمانا لمصالحهم من خلال تشتيتها إلى دويلات صغيرة، فالتزم ولم يفرط، واستغل الفرص بيد أنه لم ينتهز، وتحمس وغضب، إلا أنه لم يتهور قط.

إن تأسيس دولة عربية شاسعة الأرجاء، تامة السيادة، مهابة الجانب، دستورها

---

(١) أبو العلا، كتابه السابق، جـ٢، ص ٥٢٦.
(٢) فيلبي، كتابه السابق، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢.
(٣) فيلبي، كتابه السابق، ص ٣٢١.

الإسلام، وأهدافها توحيد الشتات العربي، والقضاء على الاحتلال الأجنبي في الأقطار العربية، وجمع كلمة المسلمين، وتآلف القلوب، والعمل على تحريرهم من ربقة الدخلاء، لم يطب للإمبراطورية البريطانية العظمى، الطامعة في تأمين مصالحها، وإحكام سيطرتها على السواحل الشرقية والغربية، فقامت من أجل تحقيق هذه الغاية بعقد معاهدات مع مشائخ وسلاطين خشوا على نفوذهم من شعوبهم.

لقد أثار اهتمامها ظهور عبدالعزيز، وتعاظم قوته، حتى قبل أن تمتد أطراف مملكته نحو الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وتتكون منها رقعة تعتبر شبه قارة، تجاور شمالا العراق والأردن، وجنوبا اليمنين، وشرقا الخليج العربي، وغربا خليج العقبة، وشواطىء البحر الأحمر، ومنها ما هو معين بعلامات كالحدود بين العراق والأردن، وما يعتبر فاصلا طبيعيا كصحراء الربع الخالي، وجميع الدول والكيانات التي تشترك معها في الحدود السياسية عربية، وكل ذلك في مساحة تقدر بثمانمائة وخمسة وتسعين ألف ميل مربع[1].

إن هذا القدر من المساحة، وبسط النفوذ على ما تحفل به من السكان، والامتداد كانت تخشاه بريطانيا، لذلك دعمت ابن رشيد إثر هزيمة العثمانيين في الحرب العظمى الأولى، وأقامت بعدما تم توحيد ما تتكون منه الدولة السعودية المعاصرة دولا معادية في الشمال، وكيانات ممزقة تحميها في الشرق والجنوب، تعهدت بحمايتها، وشجعت مشروع الهلال الخصيب، لتقوم دولة عربية كبرى مضاهية[2]، تأتمر بأمرها، وتستعملها لأغراضها الاستعمارية.

---

(١) عبدالمعين بشناق، الدليل العام للمملكة العربية السعودية، ص ١٦ - ١٧.

(٢) أبو العلا، كتابه السابق، جـ٢، ص ٥٢٦.

إن السياسة التي اتبعها الملك عبدالعزيز، سياسة واقعية، ولم يكن طوال حياته خياليا، إلا فيما يتصل في قضية تمسه مباشرة، أو يحس أن المعالجة السلمية لاتؤدي إلى نتيجة حاسمة، فإنه يغامر استخلاصا لحق أو دفاعا عن وجود، وهذا ما حدث عند فتحه الرياض، وضمه الحجاز، وهو يعرف متى يقدم أو يتوقف، وكان بارعا لايتورط في أمر قبل دراسته.

ولم تكن الـوعود تستميله، وكان شديد الحذر من الأجانب، لأنه يدرك حقيقة مراميهم، وإن جاملهم فلسببين: ما تفرضه عليه أخلاقه الإسلامية، وكرمه العربي، وما يمكن بواسطته أن يحفظ الود، فلا يتبدد جهده في لم الشمل في لحظة غضب أو تشدد تكون نتائجه سلبية، ولكنه لايتساهل في الأساسيات، ولايصمت عندما يحاول أحـد إهـانتـه، أو يجبن عن المـواجهة، وقد أكدت الأحداث أنه القادر على تذليل الصعاب في المعارك التي خاضها، والمملكة التي أقامها، والنتائج الإيجابية التي توصل إليهـا في مفـاهمـاتـه ومفـاوضاته، فهو فارس في ساحات القتال، داهية حول موائد المحادثات، قاد شعبه بحكمة، وبرُوح الإصلاح.

خامسا: تنظيم الصلات الدولية:

لم تعرف جميع المناطق التي تتألف منها الدولة السعودية المعاصرة، التمثيل السياسي في مفهومه الحديث، قبل توحيدها على يدي الملك عبدالعزيز، ولم تكن القلة القليلة جدا من الأجـانب المتفـرقـين في بعض مناطقها، ويحملون ألقابا[1]، غير أصحاب مصالح خاصة، أو من ذوي المهمات المحددة في فترة زمنية معينة، وغالبيتهم من غير المسؤولين، ولاتنطبق عليهم الصفة الرسمية كممثلي دول.

---

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ١، ص ٣٨١.

سوى الحجاز، الذي كانت فيه القنصليات المستهدف من تأسيسها، رعاية شؤون حجـاج الدول التي أقامتها، والتعامل التجاري المحدود، وكان أعضاء كل قنصلية لايتعدى أربعة أشخاص كحد أقصى[1]، وهي قليلة، وأغلبها تابعة لدول أوروبية استعـمارية، لأن العـالم الإسـلامي، كان معظمه رازحا لهذه الدول مثل: انجلترا، وفرنسا، وهولندا، وروسيا.

ولكن يبدو أن هذه القنصليات بعدما أعلن حسين ثورته على العثمانيين، بدأت تنشط سياسيا، بغية التنسيق على الإطـاحـة بالحكم العثـماني، فحـظيت بشيء من الإهتمام، غير أن الملاحظ أنها في بعض الأحيان كانت عرضة للإعتداءات من قبل العامة أو قطاع الطرق عند نشوب خلاف أو خروج أحد القناصل خارج جدة، وكان الشريف المسؤول الأول عن ذلك، لأن العثمانيين لايملكون الوسائل الرادعة عنها[2].

بعد دخول الحجاز في حكم عبدالعزيز، نظم صلاته بالدول على أساس المعاملة بالمثل، طبقا لما هو معمول به بين الأمم، ولم يعد يتدخل غير المسؤولين عند حدوث أي خلاف[3]، وأمن أعضاء البعثات الدبلوماسية في بلاده من الإعتداءات، وقد أقام في أول الأمر إدارة خاصة، مهمتها تنظيم العلاقات الخارجية، نظرا لما تطلبه، التوسع في الإتفـاقيات والمعـاهـدات والعلاقات، والمشاركة في المؤتمرات، وقد سميت «مديرية الشؤون الخـارجية»، التي تحولت في العـام ١٩٣٠م لوزارة تولاهـا الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وكانت أول وزارة يتم إحداثها[4].

---

(١) الزركلي، كتابه السابق، جـ١، ص ٣٨٢.

(٢) Philby, Saudi Arabia, p. 214.

(٣) الزركلي، كتابه السابق، جـ١، ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٤) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ١٥٩.

أما تبادل التمثيل السياسي، فأول من سارع بالإعتراف بالدولة السعودية المعاصرة روسيا عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، تلتها المملكة المتحدة بعدما يقرب من نصف شهر، ومن ثم فرنسا، فهولندا وتركيا[١] في نفس العام، إذ أن المدة بين إعتراف هذه الدول لاتتجاوز الثلاثة أو الأربعة أشهر على الأكثر، وفي العام التالي سويسرا وألمانيا، والذي يليه إيران وبولندا، وكان إعتراف الولايات المتحدة في ١٣٤٩هـ/ ٤ مايو ١٩٣١م، وبعد بضعة أشهر من نفس السنة اعترف العراق، وتبعه الأردن، والمملكة اليمنية المتوكلية في عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، وإيطاليا وأفغانستان عام ١٩٣٢م[٢]، فبلغ مجموع الدول المعترفة بالدولة السعودية المعاصرة حتى هذا العام الذي سنضطر للتوقف عنده خمس عشرة دولة[٣].

هذا وأنواع هذا التمثيل، لايبدو أنه قد وصل حتى هذا العام أكثر من «مفوضية»، تضم مجموعة من الموظفين السياسيين والإداريين، على رأسهم وزير مفوض، ودرجته أدنى من السفير، وأعلى من القنصل، ولكن هذا لم يستمر بحكم ازدياد أهمية المملكة، وبالتالي كثرة ارتباطاتها، وأهمية دورها في المجالات: العربية والإسلامية والدولية، حيث أننا نجد في العام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، معظم التمثيل السياسي، قد ارتفع إلى مستوى السفارات، على رأس أغلبها سفراء مشهود لهم بالجدارة، لما تحظى به البلاد من احترام.

---

(١) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ١٢٩.

(٢) الزركلي، شبه الجزيرة، جـ١، ص ٣٨٣.

(٣) الزركلي، شبه الجزيرة، جـ١، ص ٣٨٤.

الفصل السادس

الفصل السادس
السياسة الداخلية

تنظيم شؤون الدولة/ الهيئة التأسيسية/ التعليمات الأساسية

أولا: السلطة العليا:

(أ): جلالة الملك، (ب): الديوان الملكي، (ج): القضاء.

ثانيا: السلطة التنفيذية:

(١) ديوان النائب العام ورئاسة مجلس الوكلاء:

(١) ديوان النائب العام

أ ـ الشؤون الداخلية:

(١): الصحة، (٢): المحاجر الصحية، (٣): الشرطة، (٤): المحاكم،
(٥): البلديات، (٦): البرق والبريد.

ب ـ مجلس الوكلاء:

١ ـ الشؤون المالية:

أ ـ التشكيلات

١ ـ الادارة العامة

٢ ـ إدارة المحاسبة العمومية

٣ ـ شعبة العاصمة

ب ـ الادارات المرتبطة بها:

١ ـ إدارة الجمارك

٢ ـ الحج والدعاية

٣ ـ إدارة السيارات

٤ ـ إدارة الكنداسات

٢ ـ الشؤون العسكرية:

(أ): الهجانة، (ب): الخويا، (ج): القوات النظامية، (د): الشرطة والعسس، (هـ): خفر السواحل، (و): سلاح الحدود.

ثالثًا: السلطة التشريعية:

(أ): شروط العضوية، وطريقة الاختيار، (ب): أهم ما ينظر فيه المجلس التشريعي.

رابعًا: تكوين الشخصية:

١ ـ العلم، ٢ ـ العملة، ٣ ـ الجوازات والجنسية، ٤ ـ المواصلات.

الفصل السادس

السياسة الداخليـة

بعد أن انتهت رحلة الجهاد الطويلة ، وما تخللها من عناء وشجاعة ، وقوة إحتمال ، وحسن تدبير، وقدرة قيادة، ونبل أهداف، تحققت الآمال في الوحدة، وتجميع الجهود المشتتة ، واستعادة الحقوق المسلوبة ، ببعد النظر، ونفاذ البصيرة ، وصلابة الإرادة التي لم يقنطها التشريد ، أو يخيفها التهديد ، وفي حنكة ، ومن خلال حكمة سياسية ، اندحر الطامعون ، وتأدب المتمردون ، ورد كيد الأعداء إلى نحورهم .

ليس هذا فقط ، فقـد كان الإصـلاح مصـاحبـا لرحلة الجهاد، رغم الظروف العصيبة، والبيئة القاسية ، والموارد الشحيحة ، وكانت مستوطنات البدو الزراعية من أولى الإصلاحات ، وكان توطيد الأمن ، وإقرار سيادة القانون ، وتسوية الخلافات ،

وعند إتمام الوحدة، استبدلت الفوضى بالنظام، والطمأنينة حلت محل الخوف، فتأمنت السبل، وسلكت كل الطرق، بعد أن ضرب على أيدي قاطعي الطرق، وفارضي الأتاوات، فأمن الأهالي على أنفسهم وأولادهم وأعراضهم، وانبعثت الثقة في نفوس الحجاج بقدرة السلطة على حمايتهم، وضمان أداء فريضتهم في أمن وسلام.

والحقيقة أن الأمن، والهيبة من سطوة الحكم، سمتان ملازمتان لكل حكم سعودي، ومرد ذلك تطبيق أحكام الشريعة تطبيقا لاتهاون فيه، فلا فرق أمام أحكامها بين عظيم ووضيع، فيبقى القوي ضعيفا حتى يؤخذ منه حق الضعيف، وتأخذ العدالة مجراها، فضلا على تأمين المسالك، وعدم الرأفة بالخارجين على القانون، وهي مهمة صعبة في الجزيرة العربية، لأن غالبية سكانها في الفترة المنصرمة، تحكمت فيهم العصبية القبلية، والروح الجاهلية، حيث كانوا يفاخرون بالثارات، ويتباهون بالغزوات، ويمتهنون السلب، فحين لايكون الحكم قويا، فإنهم لايرضخون.

ومقارنة لما كانت عليه الأحوال الأمنية في العهد الهاشمي، وما آلت إليه في العهد السعودي، تقول مجلة الكويت العراقي[1]: «نهض الشريف وزالت دولة الترك في الحجاز، وقلنا عسى أن يكون زمنه زمن خير وأمن في ربوع الحجاز، فجاء الموسم، وأتى المحمل المصري إلى مكة عن طريق البحر حسب عادته، ولم يأت المحمل الشامي طبعا، وانتهى الحج، وعاد المحمل المصري إلى مصر ولم يذهب إلى المدينة، فاستغربنا وقلنا هذه أول سنة والأمور لم تستقر، فجاءت السنة الثانية والثالثة والرابعة فإذا الحالة كما هي والمحمل لم يذهب للمدينة... وإذا بحالة الحجاج في طريق المدينة كما كان عليه الحال في زمن الترك، بل أفظع، وفي آخر سني الشريف حسين عاد الحجاج من منتصف الطريق إلى مكة في أسوأ حال بدون زيارة بعد أن تشتت شملهم، وتفرق

(١) مجلة تاريخية، كانت تصدر في أندونيسيا في اللغة العربية، العدد العاشر، في ١ صفر ١٣٥١هـ/ يونيه ١٩٣٢م.

جمعهم، ونهب مالهم. خرج الشريف حسين من الحجاز، وسلم ابنه الملك على زمام الأمر جلالة الملك عبدالعزيز، وجاء موسم الحج، وأتى الحاج، وحج وزار وعاد إلى أهله سالما. فقلنا هذه أول سنة، وسنرى ما بعدها، وإذا بالسنة الثانية أتت، وإذا البحر قذف بحجاج بيت الله من عموم أقطار العالم. وإذا بالأمم تتكدس في مكة حتى ضاقت بهم البلاد بما رحبت حتى بلغ حج ذلك العام ما يربو على ثلاثمائة ألف من عرب وعجم، وإذا بوارد البحر وحده بلغ مائة وأربعين ألفا.

جاء موعد الزيارة الأولى، وهي قافلة الرجبية، وإذا بعشرات الألوف من الحجاج تجهزت ورحلت إلى المدينة، فانتظرنا حسب قافلة الفطرية، وهي التي ترحل في شهر شوال فما نشعر بعد أسبوع من توجه قافلة الرجبية، إلا وأخذت قافلة أخرى ترحل بما ورد من الحجاج ثم أخذت القوافل تتابع بعضها بعضا حتى فقد الجمل... وإذا بالسيارة فسحت لهم لهف الحاج الذي يقصد الزيارة وأخذت تحمل الزوار مع الجمل بلا انقطاع حتى ينتهي الموسم الثاني، ولم نسمع بأن إحدى القوافل المتتابعة وقع عليها نهب وتعد أو أخذ منها شيء ودفعت ضريبته لأحد شيوخ عربان المحطات أثناء الطريق».

إن لضم الحجاز أهمية خاصة، مبعثها مكانته الروحية الفريدة، وهو قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وبالتالي نظرة العالم له فيها خصوصية، ترضية للمسلمين الذين لايستهان بعددهم، ولايمكن تجاهل قيمتهم، وكانت معظم البلاد الإسلامية خاضعة لدول أوروبية استعمارية، تسعى لكسب ود شعوب مستعمراتها، والتظاهر بالإهتمام بمقدساتهم، رياء، وهي في الحقيقة تعمل على تخلف المسلمين، وإبعادهم عن عوامل النهضة، خشية صحوتهم، وعودة سلطانهم، وكان موضوع الخلافة سببا في تجسيم مسؤولية حاكمه، فالحجاز تحوم حوله المشاعر والمطامع، وعبدالعزيز سيد جزيرة العرب من غير منازع، مما رتب عليه تحمل مسؤوليات جسام، وقد أثار حكمه له حسد كثير من ساسة وملوك وأمراء المسلمين الذين لايهتمون إلا بأنفسهم، وانزعاج البريطانيين، وهو في أوجه، وقمة نشاطه، وقد استقر وضعه، ولم يعد في حاجة لتعريض

نفسه للإنتقاد، لأن وضعه المتميز حتم عليه التصرف المرضي للجميع، لإحساسه بأنه بات مقصد الجميع، غير أن رضى الناس غاية لايمكن أن تدرك، وامتنع عن مقابلة الإساءة بمثلها، وعمل صامتا، مجندا كل طاقاته، وإمكاناته من أجل الوصول ببلاده إلى المستوى الذي يساعده على التخلص من تخلفها.

قال بروكلمان عن سياسة الملك عبدالعزيز الداخلية(١): «والحق أن ملك نجد والحجاز كان... معنيا بالعمل على تدعيم سلطانه أكثر من عنايته بالعمل على توسيعه... كان يعنى دائما... وفي نجاح بتعريف بلاده إلى ثمرات الحضارة الحديثة... وجه اهتماما خاصا نحو المواصلات، وكانت ذات شأن كبير بسبب طول المسافات وتباعدها. عمل... على إحلال السيارات في صورة متزايدة محل قوافل الجمال... حتى لقد انتهت مواصلات الحج إلى أن تكون اليوم آلية بالكلية. ليس هذا فحسب، بل لقد اصطنع ابن سعود منذ زمن طويل، كلا من التليفون والراديو في دوائره الحكومية، وطفق يسعى مؤخرا ـ وخاصة بعد أن لمس شخصيا حسنات الطب ـ إلى أن يجعل منافع علمي الصحة والطب الحديثين في متناول رعاياه. كذلك لقي التعليم ـ الذي كان مهملا حتى ذلك الحين في شبه الجزيرة، باستثناء مكة والمدينة، اهمالا تاما ـ اهتماما وعناية من جانب العاهل السعودي».

لاريب أن السياسة الداخلية تحتاج لقدرات غير عادية، حتى مع توفر الإمكانات والخبرات، لأنها عمود الدول الفقري، والقاعدة لكل تحرك في شتى المجالات، فما بالك بأوضاع الدولة السعودية المعاصرة ـ فيما مضى ـ فقد كانت في بداية اكتمال التوحيد في حاجة للإصلاح في كل مرفق من مرافقها، ولم تكن الناحية الاقتصادية مشجعة، والتعليم لم يكن قد أثمر، نتيجة الظروف السياسية القلقة، فلا بد في ظل هذه الأوضاع

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، جـ٥، ص ٨٦-٨٧.

الصعبة لمؤسس الدولة، الذي صار خادما للحرمين الشريفين، وأمينا على مقدسات المسلمين، وملكا لواحدة من أكبر دول العرب، لابد له أن يكون في مستوى المسؤولية، وعند حسن الظن، ويقرن القول بالعمل، وهو من الذين لاينتظرون، لأنه اعتاد الحيوية، وألف الحركة، واختط لنفسه خطة في حياته العامة والخاصة، واتخذ مبدأ ثبت عليه، ومنهجا لم يحد عنه، أعطاهما بعدا مرنا، وانفتاحا لم يفصله عن جذوره، فاستجاب للمطالب، واستمع لمختلف وجهات النظر، ولم يهدأ لحظة أو يستسلم لكسل، فعمل اليوم لايؤجله للغد، فتحول شعلة نشاط، يعمل بلا ملل، ويعطي ولايأخذ، وهو في قمة حبوره، ومنتهى سعادته، وقد أيقن أن من يعمل حتما سينجح، والأخطاء لايعصم عنها إنسان مهما بلغ مقدار عبقريته، فالمهم الاخلاص، والاستفادة من الدروس والتجارب.

لقد حقق الاستقرار، ووطد أركان الدولة، وخلق الأسس التي يعتمدها للنهوض بها، وأمن الشعب، وطيب الخواطر، ولكن لازال رغم ذلك أمامه الكثير الذي يجب أن يقوم به، وأبناء شعبه لم يكونوا قد تأهلوا لمعاونته، فأهل نجد لم تمكنهم ظروفهم الصحراوية من معرفة أدنى حد من الأحوال العصرية، وفي الحجاز اعتاد أهله مع مر السنين الأساليب العثمانية في التعامل والادارة، وفي المناطق الأخرى، كان أهلها على مفاهيم القبلية، والأقطار الإسلامية كانت جميعها تقريبا تئن تحت وطأة الاستعمار الصليبي، وهؤلاء الصليبيون كانت قد تكشفت نواياهم، فلم يشأ الملك الوقوع في فخ ألاعيبهم، ولكنه مادام قد أمن الناس، فقد علم أن الباقي بالهمة وصفاء النية سيتحقق رغم المعيقات، وهذا ما جعل الجميع يفرحون في حكمه، ومع الأيام تعلقوا به أكثر، وأكد للكل بغضه للملق، وزهده بالألقاب، وهذه ميزة ابن الصحراء: بساطة لاتكلف فيها، وعفوية فطنة، وذكاء مفطور، وثقة بالنفس لاحد لها.

وعن مهمة البناء عقب رحلة التوحيد، يقول د. عبدالعزيز الخويطر[1]: «كانت

---

(١) محاضرات العام الدراسي ١٣٨٥-١٣٨٦هـ، جامعة الملك سعود «الرياض سابقا»، كلية الآداب، قسم التاريخ، الفرقة الرابعة.

البلاد في حاجة في كل مرفق من مرافقها إلى الإصلاح، كانت تحتاج إلى ذهن صاف، ويد قوية مطمئنة لايعوقها اضطراب ولايشغلها ما كان يشغلها في الماضي من الحروب، وتأديب العصاة، وكان الحقل واسعا، يحتاج إلى جهود ضخمة وكفاءات كبيرة متعددة، ولعل أقسى ما يشعر به الملك ما يلمسه من عوز في المال والرجال. هذا العوز كان يعوق ما في ذهنه من خطوات إصلاحية يفكر فيها من الناحية الاقتصادية: فهناك الواردات الضعيفة في المملكة العي لاتكفي لمتطلبات الحياة، ولكن الذي يهون الأمر التقشف في نجد، وقد تعودت عليه، هي وما فيها من صحراء وبادية، ومن ثم انضم الحجاز وفيه من فيه من موظفين منتظمين ذوي المرتبات الشهرية المنتظمة، والحجاز لم يكن له مورد إلا الجمارك ا لتي تستحصل من موانئه، وما كان يؤخذ من الحجاج في مواسم الحج.

أما التعليم، ففي الحجاز كان محدودا، ولايصل أبدا إلى المستوى المرضي - خصوصا - أيام حكم الشريف الذي لم يضف مدارس تذكر إلى المدارس التي وجدت في أيام الأتراك، والمدارس الأهلية كانت تقوم بالحمل في حدود إمكاناتها، والكفاءات التي تستطيع توفيرها، وكان للأفراد أثر كبير في انتظام سيرها.

أما في نجد فكانت الثقافة محصورة في الكتاتيب، وهذه تغطي المراحل الأولى من الدراسة، وكان التلاميذ الذين يدخلون فيها محدودي العدد، ويكاد يقتصر على الذين يستطيع آباؤهم أن يستغنوا عنهم معيشيا، وهؤلاء الذين يدخلونها لايكملون دراساتهم لعدم مقدرة أولياء أمورهم على متابعة النفقة عليهم أو أن الطالب لايجد التشجيع الكافي لإكمالها أو لعقم الطريقة التدريسية التي نتج عنها هجران وعزوف الطلاب عنها».

إن عبدالعزيز يدرك جيدا من أين يبدأ، ولكن هناك موضوعات دائما هي هاجسه، وعلى رأسها الاسترشاد في حكمه بكتاب الله، والعمل على التمسك بسنة رسوله، والسياسة بيقظة الضمير، والإخلاص في العمل، وعدم إتاحة الفرص ليعبث

بالأمن العصاة، وهو لايقبل الفوضى، ويرفض التطاول، ويضيق بالفرقة فحقق وحدة، ودعا لجمع الكلمة، وآمن أن التباعد بين الراعي والرعية يفسح مجالا للنفعيين.

إنه لاينفك طوال عمره يقول ويفعل، ولايتلمس الأعذار، فحال ما يعد يسارع دونما تردد فينفذ، ولايحب الإبطاء في الأمور الهامة، ويكره أن تحوم حوله الشكوك، حرصا على إشاعة الثقة في مواطنيه، وإيمانا بواجبات الحاكم العادل المصلح، ولايكتفي بالتعميم والتطوير والتحسين، بل أنه يتابع التأثيرات، ويراقب التطورات، ويحث على التنمية، ويسعى للرخاء.

نعم يدرك من أين يبدأ، ويعرف كيف يبدأ، فيجعل الأولويات في مقدمة اهتماماته، وفق الممكنات، لأنه حكيم يهتدي بعد خالقه بعقله الواعي، وضميره الحي، فتأصلت فيه روح الإصلاح، حتى أنه لم يمر يوم في حياته دون أن يفكر في مشروعات تطويرية، ووسائل تساعد شعبه على الإرتقاء ماديا وأدبيا، لأن النهضة الحقة مصدرها التوافق والإتساق.

لقد رأى الملك ضرورة تنظيم دولته، ووضع تشريع تهتدي به عقب أن تمت الوحدة، واطمأن الناس، لأن وضع قواعد تقوم عليها إدارة البلاد يكفل انضباطها، ويحدد المسؤوليات، وتتعين الحقوق والواجبات، طلبا للأفضل، وتلبية للإحتياجات، الأمر الذي فرض تشكيلا حكوميا متناسبا مع الأوضاع التي جدت، فالمساحة اتسعت، والسكان كثر عددهم، والأهمية ازدادات، والمسؤولية تضاعفت، وبالتالي ظهرت مستجدات تطلبت أنماطا بالممكن من الإطار العصري في الحكم، بحيث لم تعد تجد الأساليب المتوارثة بحكم التطور الذي طرأ، شريطة أن يكون التنظيم الجديد منطبقا مع أحكام الشرع، ومستمدا من جوهر العقيدة، ومنبعثا من الأصالة العربية، ومراعيا الأعراف والتقاليد بالقدر الذي يتمشى مع المعطيات الجديدة، وبالصورة غير المتعارضة مع الصالح العام، والرابط الوحدوي، والشعور الوطني.

وعلى هذه الأسس، قام التنظيم الإداري والدستوري، وتحدد شكل الحكومة، وتعينت مسؤوليات الأجهزة المحدثة لهذا الغرض، ومقدار صلاحيات كل منها، وقد رؤي أن تكون خطوة البدء، النظر في شأن الحجاز، نظرا لمكانته الروحية، وخصوصيته المتفردة، ولما كانت عليه أوضاعه السابقة، تدرجا للوصول إلى تعميم كل ذلك في خطوة لاحقة، مع الأخذ بعين الاعتبار نتائج ما تسفر عنه التجربة من الإيجابيات أو السلبيات، تجنبا للإختلال، وسعيا للإتقان، فتتم على ضوء ذلك المعالجة الناجعة بالتعديلات، لتتغير بما من شأنه ضمان الفعالية والصلاحية، المتناسبة مع ما يتطلبه التوسع، وتوجده الاحتياجات، لأن إعادة النظر في الأنظمة بين فترة وأخرى، يجعلها على الدوام متماشية ومتطلبات المجتمع.

تنظيم شؤون الدولة:

إحساسا بضرورة التطور، وتأكيدا على القيمة الحضارية، وحبا في إظهار الفعاليات المؤثرة إيجابا على بنية الدولة، تكونت في ذهن الملك عبدالعزيز عقب تسليم جدة مباشرة[1]، فكرة تنظيم دولته، تنظيما تنفيذيا وتشريعيا، استجابة للرغبة العامة، واندفاعا نحو الإصلاح، وتمشيا مع طبيعة العصر، وحرصا على تأصيل الذات، وتمتين أركان الكيان.

هذه الفكرة، طرحها في اجتماع عام حول باب الصفاء، في مكة المكرمة، وذلك في يوم الجمعة ٢٣ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/ ٨ يناير «كانون الثاني» ١٩٢٦م، وهو الاجتماع الذي تم، بعد أن اختار الأهالي نخبة من أعيانهم، لمبايعته بالملك[2]، حيث خطبهم، مؤكدا على أهمية الشورى، ومشيرا إلى حقيقتها، وطلب منهم أن يشكلوا هيئة

---

(١) الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ١، ص ٣٥٣.
(٢) عبدالله العلي الزامل، أصدق البنود، ص ٢٠٥.

تُمثل فيها كل الطبقات، لتسمي رئيس الدولة، وتحدد العلاقات بين نجد والحجاز، والشكل الأمثل للحكومة، ووضع تشكيلاتها، وبحث وضع الحجاز من الوجهة الدولية، ونوعية العلم، وأنواع النقود[١].

بعد أن طرح الملك عبدالعزيز فكرته، وتصوره العام لشكل الدولة، وتوضيح الخطوط العريضة التي يجب أن تقوم عليها، محددا أن تتكون الهيئة من: العلماء والأعيان والتجار، ترك للمجتمعين مهمة اختيار مجموعة منهم، وقبل أن ينفض المجتمعون أجمعوا على تسمية رئيس الدولة بـ «ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها»[٢].

الهيئة التأسيسية:

اختار المجتمعون بعيد الاجتماع المشار إليه بفترة وجيزة ستة وخمسين من ذوي الدراية والخبرة والوجاهة والفضل، من النوعيات التي أشار إليها الملك، وهؤلاء اختاروا من بينهم أربعة عشر، لوضع الأسس التي تسير عليها الدولة، ودراسة موضوع تنظيماتها الداخلية والخارجية، وهؤلاء هم : عبدالقادر الشيبي، محمد نصيف، حسين باسلامة، علي كتبي، محمد ماجد كردي، صالح شطا، محمود شلهوب، محمد المرزوقي أبو حسين، محمد سعيد أبو الخير، شرف عدنان، عبدالله زينل، عبدالله دهلوي، سليمان قابل، حسين عدنان.

عرضت هذه الأسماء على جلالة الملك فوافق عليها، فتشكلت منها لجنة دعيت

---

(١) عبدالله العلي الزامل، كتابه السابق، ص ٢٠٧.
(٢) نفس المرجع، ص ٢٠٩.

«الهيئة التأسيسية»، أختير لرئاستها الشيبي، بعدما اقترح الملك على أعضائها أن ينضم إليها ثلاثة من كبار مستشاريه، ليساعدوهم في عملهم المهم، الذي يحتاج لدقة وخبرة واختصاص وإخلاص، وهم: الشيخ عبدالعزيز بن عتيق، د. عبدالله الدملوجي، يوسف ياسين.

قامت هذه الهيئة بصياغة المواد التي تضمنتها «التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية»، والتي بعد الإشارة فيها إلى أهمية تقرير المصير، وحرية إبداء الرأي، اللذين أكد عليهما الملك في بلاغ عام أصدره موجه للمواطنين، مبينا فيه أهمية تحسين حال البلاد(1)، انتهى أعضاء الهيئة بعد الفروغ من اجتماعاتهم الى اتخاذ قرارات، تحدد على ضوئها شكل الدولة، وتشكيلات الحكومة.

التعليمات الأساسية:

نشرت هذه التعليمات في الجريدة الرسمية «أم القرى»، في ٢١ صفر ١٣٤٥هـ/ ٣١ آب ١٩٢٦م، التي تعينت بموجبها المسؤوليات التنظيمية الداخلية والخارجية، طبقا لما يلي:

١ - جميع مناطق الدولة وحدة متكاملة، غير قابلة للتجزئة.
٢ - عاصمتها مكة المكرمة، ولغتها الرسمية اللغة العربية، وهي ملكية شورية إسلامية، مستقلة في سياستها الداخلية والخارجية.
٣ - يرأس الدولة جلالة الملك عبدالعزيز الأول بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، وهو مرجع كل السلطات، ومقيد بأحكام الشرع الشريف.

---

(١) الزامل، كتابه السابق، ص ٢٠٧.

٤ ـ الأحكام فيها مستمدة من الشريعة الإسلامية، وتسير قوانينها وفق كتاب الله، وسنة رسوله، وما كان عليه الصحابة، والسلف الصالح.

٥ ـ للملك نائب في المملكة العربية الحجازية، يدير شؤونها نيابة عنه، وباسمه، وحسب الحاجة يعين مديرون ورؤساء للمساعدة في إدارة شؤونها.

٦ ـ شؤون البلاد تنقسم إلى ستة أقسام رئيسة هي:

الأمور الشرعية/ الشؤون الداخلية/ الشؤون الخارجية/ الشؤون المالية/ مديرية المعارف العمومية/ الشؤون العسكرية.

إضافة لذلك، فقد نصت التعليمات على إيجاد ديوان للمحاسبة، لمراقبة أوجه الصرف والدخل، والتدقيق في الأنظمة المالية، وتأسيس مفتشية عامة، لمتابعة الأعمال الإدارية، وقياس فعاليات كل جهاز في الحكومة.

هذا وسلف الحديث عن الشؤون الخارجية في الفصل السابق، والشؤون الداخلية أدمجت في النيابة العامة، يتولى مباشرة مسؤوليتها نائب الملك في المملكة الحجازية، والذي هو فيها مرجع كل الإدارات في غياب الملك.

بالنسبة للسلطة التشريعية، تمثلت في مجالس الشورى في كل من مكة، والمدينة، وجدة، وينبع، والطائف، والنواحي، والقرى، والقبائل، وهناك مجلس عام، وهذا يعني تشربا للروح العصرية، وإعطاء الحريات من خلال التمثيل الشعبي، ممثلا في أشخاص تبنوا التوجيهات السامية، وأحسوا بها في نفس الملك المتطلع لتخليص البلاد من تخلفها.

هذه التعليمات طرأ عليها كثير من التحوير والتعديل، والتطوير والإلغاء بموجب

أوامر ملكية[1]، وفقا لما تتطلبه الحاجة، وتمليه المتغيرات، برغم أنها ظلت منهاجا للحكم إلى أن تم الإندماج الكامل، عندما أعلن اسم المملكة العربية السعودية.

لقد بدت هذه التعليمات على هذه الصورة، دالة على نضج مبكر، واستيعابا لروح العصر، ورغبة قوية لتحقيق الإصلاح، وسعيا وراء التحسين، وتطويع موادها للقابلية والمرونة، تلبية لاحتياجات المجتمع الفعلية، وقد صارت قاعدة، اندرجت في إطارها تفصيلات، ساعدت على التطور السليم للأنظمة، تبعا لمتطلبات الحياة بالحذف أو الإضافة أو التغيير.

ولكون هذه التعليمات - إن لم ينظر في نصوصها بين حين وآخر - سيتوقف مفعولها، وتصاب بالجمود، ولاتستطيع مماشاة المستجدات، فقد كان يعاد النظر في كثير مما زالت فعاليته إن بالتعديل أو الزيادة أو الحذف، ولعل أبرز التغييرات الملاحظة حتى نهاية بحثنا هي:

١ - تغيير لقب الملك من ملك الحجاز وسلطان نجد إلى ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، وذلك في ٢٥ رجب ١٣٤٥هـ[2].

٢ - إبطال عمل المفتشية العامة[3]، نظرا للرغبة في التحرك، وزرع الثقة في المسؤولين، وتحديد مهمات ديوان المحاسبات[4].

٣ - وفي ١٩ شعبان عام ١٣٥٠هـ، صدر أمر بتأسيس مجلس للوكلاء، وقد اعتبر بمثابة مجلس للوزراء مصغر، علما بأن التغيير الأهم، والذي سنتوسع فيه بعض الشيء، هو إعلان اسم المملكة، وذلك في الخاتمة.

---

(١) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٩١.

(٢) نفس المصدر، ص ٩١.

(٣) نفسه، ص ٩١.

(٤) أم القرى، العدد ٢٢١، في ٦ شوال ١٣٤٥هـ.

أولا : السلطة العليا :

المصلحة العامة تحفظها عند الاختلاف حول بعض القضايا، من خلال تعدد وجهات النظر، التي لايمكن أخذ صحتها أو خطأها على الإطلاق، لأنها نسبية، تتعرض للخطأ والصواب، ووتترجح منها المنبعثة من الخبرة، والنظرة البعيدة، فلا بد منعا للإختلاف، من البت بعد الإطلاع على مختلف الآراء، في شأن من الشؤون، وهذا أمر يقرره الشرع أو ولي الأمر، فبالشرع تصدر الأحكام الصائبة، وولي الأمر يملك القدرة على الحسم، والأخذ بالأصلح.

أ ـ جلالة الملك:

هو رجل الدولة الأول، ومرجع جميع السلطات الأعلى، وعمليا تعود إليه كل الأجهزة في أعمالها في الداخل والخارج، وشتى سياساتها في مختلف القطاعات، وترتبط في شخصه كل المناطق، المتألفة منها الدولة، والتي شغلتها ـ في الماضي ـ الحروب والخلافات، قد عادت جميعها في عهده إلى وضعها الطبيعي، لأنها من الناحية الواقعية لاانفصام بينها طوال العصور، وما كان في بعض الفترات سوى افتعال، وما اختلاف التنظيمات في هذه المناطق، في هذه المرحلة إلا وقتيا، في خطوة تمهيدية، روعي فيها أن تكون متفقة مع أوضاع كل منطقة، في قالب وحدوي متكامل، أملته الحاجة إلى التآلف، وتكاتف المجهودات، وتجانس الناس، وطبيعة الحياة، والمناخات والأجواء، والرغبة في إنجاز مكونات صلبة.

هذا، وجاءت هذه الأنظمة، مستمدة مصادرها من التشريع الإسلامي، وقائمة على المعطيات الإنسانية، إثر جهاد منع التمزيق، وأسس كيانا كبيرا، يتمتع ببعد سياسي خلاق، ووضع إجتماعي مختل، نتيجة الماضي المأساوي، فباتت الحاجة للتنظيم والتطوير ملحة في، شتى مناحي الحياة، واستثمار كل ما يمكن من أجل تحقيق الرخاء.

لهذا رأى الملك أن من أهم بواعث النهوض، وعوامل ديمومة العطاء، تنظيم شؤون دولته، مسايرة للعصر، وبناء قواعد ثابتة لها، مدعومة بالإخلاص، والثقة بالعاملين معه، فوجد بث الحماس بتحميلهم المسؤوليات، ومنحهم الصلاحيات يتحركون من خلالها، ويجدون فيها أنفسهم، وإن وضعه الجديد، فرض عليه التوسع في مجالات العمل، مما يحتم وجود أجهزة حديثة تساعده على الإرتقاء ببلاده.

ب ـ الديوان الملكي:

من خلاله يتم رصد كل الإنجازات، وتحركات كل أجهزة الدولة في جميع مناطق البلاد، وحصر ما يجري على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتسجيل ما يجد، والتوجيه بما يراه الملك مناسبا، بعد الدراسة، ويتكون من عدة إدارات وشعب، ويضم المستشارين، والعديد من الموظفين المتمرسين، ولايقتصر دوره على الجانب المتعلق بالحكومة، بل يتعداه إلى النظر في حاجات وقضايا المواطنين، من البدو والحضر، على مختلف طبقاتهم.

جـ ـ القضاء:

طبعا، القرآن هو دستور الدولة، والنهج مصدره التشريع الإسلامي، والسنة النبوية المطهرة، في مهبط الوحي، ومن أم القرى، ومهد الإصلاح الديني، فأحكام الشريعة هي المطبقة، حتى بعدما أدخلت الدولة العثمانية «نظام المحاكم الوضعية»، في جميع مناطق نفوذها، استثنت الأراضي المقدسة[1]، واهمة أن هذا من الإصلاح، بينما الواقع أن الغشاوة سلبتها ميزة «التمييز»، فكان الخسران من نصيبها، عندما تخلت عن الإسلام، وغلبت الجانب القومي، ونزعت للتغريب، فذابت مقومات بقائها، ولم

---

(١) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ٢٢٣.

تعد قادرة على السيطرة، فضاعت هيبتها، وحامت الأطماع حولها، وفسدت داخليتها، فكانت نهايتها المؤلمة والتي تعتبر درسا للأمم والشعوب.

لقد كان المتبع في الحجاز، بعد أن استثنى مما زعم أنه إصلاح للقضاء في العهد العثماني، نظرا لمكانته الروحية، أن يصدر القضاة أحكامهم طبقا لأحد المذاهب الفقهية الأربعة، وكثيرا ما كان يتسبب هذا الأسلوب في تضارب الأحكام، فتتعلق في كثير من الأحيان العديد من القضايا الشرعية[1].

ظلت هذه الطريقة سارية المفعول حتى عام ١٣٤٥هـ، حين أصدر الملك عبدالعزيز أمره بتوحيد النظام القضائي، حسب المذهب الحنبلي، تجنبا لتعطيل مصالح الناس، وإنفاذ ما يتقرر شرعا من غير إبطاء، وفق المعتمد من المصادر الفقهية في المحاكم الشرعية، حتى يقف القضاة والمتقاضون على الحدود الفقهية[2]، وتتضح الصورة للأحكام بجلاء، كما ألغيت في نفس العام، المحاكمات العشائرية، القائمة على الأعراف والتقاليد القبلية، والتي كانت منتشرة بين أغلب أبناء البادية في الحجاز، فحل محلها شرع الله[3].

ثانيًا: السلطة التنفيذية:

وتتمثل هذه السلطة في ديوان النائب العام، ورئاسة مجلس الوكلاء، وما يتبعهما من الوزارت والوكالات، والإدارات والأقسام وفروعها، على الصعيدين الداخلي

(١) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ١٩٦ - ١٩٧.
(٢) نفس المصدر، ص ١٩٨.
(٣) نفسه، ص ١٩٨.

والخارجي، في شتى السياسات الأمنية والتنظيمية، والمالية والتعليمية، والعسكرية.

أ ـ ديوان النائب العام، ورئاسة مجلس الوكلاء:

كانت اختصاصات الشؤون الداخلية، يباشرها النائب العام، المتولي في غياب جلالة الملك جميع شؤون المملكة الحجازية، قبل أن تتحول النيابة العامة إلى ديوان لسموه، ولكن بعد خمس سنوات من صدور التعليمات الأساسية، صدر الأمر بإنشاء مجلس للوكلاء، وبموجبه صار لنائب الملك في الحجاز صفتان هما: صفته كنائب للملك، وصفته كرئيس لمجلس الوكلاء، وعلى هذه الصورة، حصل تعديل في بعض الوظائف، والإدارات المختلفة، ففصلت بعضها بعد تطور أجهزتها، ودعما لها ثم تغيير مسميات بعضها، بعد تزويدها بالوسائل الفاعلة للقيام في مسئولياتها على الوجه المرضى، وطبقا لهذا التنظيم توزعت الجهات الحكومية التنفيذية بين ديوان النائب العام، ورئاسة مجلس الوكلاء.

١ ـ ديوان النائب العام:

تساوى مجلس الوكلاء في مسؤولياته، بعد تحويل النيابة العامة إلى ديوان لنائب جلالة الملك في الحجاز، مع مسؤوليات هذا الديوان، الذي انحصرت في الجوانب الداخلية من: صحية وأمنية وتعليمية، وبعض الخدمات، بل يبدو أن مجلس الوكلاء بات أكثر أهمية من حيث تشكيله، والمسؤوليات الموكلة إليه، والصلاحيات الممنوحة له، وذلك، أتى انسجاما مع الأوضاع العامة، دليلا على ارتفاع مكانة الدولة، وتأكيدا على أهمية دورها عربيا وإسلاميا وعالميا، ومدى ما تحقق من الكم والكيف على الصعيد الداخلي، الأمر الذي دعا إلى التخصيص، بغية التحديد، المستهدف التركيز أكثر من ذي قبل، تمشيا مع التطورات.

أ ـ الشؤون الداخلية:

اعتبر ديوان النائب العام للملك في الحجاز على الصورة السالفة، المرجع الثاني بعد جلالة الملك بالنسبة للشؤون الداخلية، بعدما فصلت عنه الأجهزة التي ألحقت

بمجلس الوكلاء، والجهات التابعة للداخلية في ذلك الوقت التالية:

الصحة/ المحاجر الصحية/ الشرطة/ المحاكم/ البلديات/ البرق والبريد.
والآن سنأتي على ذكر كل من الأجهزة السابقة على حدة، موضحين ـ بقدر الاستطاعة ـ الأعمال المناطة بكل منها ـ وإن أمكن ـ ذكر شيء عن تطورها.

أ ـ الصحة:

لم ينل الجانب الصحي في العهدين السابقين عناية يمكن أن تذكر، رغم ضرورة ذلك ـ خاصة ـ في بلد كالحجاز، الذي تعرض لأوبئة كادت تستوطن، وفدت مع الحجاج والزوار، نتيجة الإهمال، حيث كانت «البيمارستانات» والمستشفيات والمستوصفات، التي أقامها العثمانيون غير كافية، ولم يكن الجهاز المخصص لها فعالا، فاعترى الضعف جميع المرافق الصحية، حتى باتت عاجزة عن تلبية أدنى حد من حاجة المواطنين الصحية.

وأثناء العهد الهاشمي، لم تعر الصحة اهتماما، فازداد الضعف إلى أن بات وجودها عبئا، وعند دخول عبدالعزيز، رأى أن من أهم واجباته حماية مواطنيه، والحجاج من الأوبئة والأمراض، وعدم تعريض حياتهم لمخاطرها، فبادر إلى تكليف نخبة من الأطباء بتنظيم هذا الجانب الحيوي، بما يكفل سلامة الأهالي والوافدين، وقد استعين في ذلك بالخبرة الدولية، فقامت إدارة صحية[1]، تولت تحسين، وتنظيم الموجود من المستشفيات والمستوصفات، وتأسيس مستشفيات جديدة، وإدخال جميع الوسائل الكفيلة بتعميم منافعها، وقد ألحقت بأغلبها صيدليات، توفرت فيها الأدوية المجانية، وجيء ببعض الأطباء المختصين والعامين.

---

(١) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ٢٠٧-٢٠٨.

ولم تقتصر العناية بالناحية الطبية على تحسين القديم، وإنشاء الجديد، وإحضار الأدوية والأطباء، بل أقيمت تطلعا للأحسن، مستشفيات متخصصة في أمراض معينة، وكانت الإدارة الصحية، تصدر نشرة أسبوعية للتوعية الصحية، وحركة سيرها[1]، كما عقدت الدولة حرصا على نمو هذا الجانب، معاهدات للتعاون الصحي، وابتعثت بعض الأطباء للتخصص العالي، في أرقى المعاهد الصحية في العالم، وفي مواسم الحج والزيارات، تتخذ ترتيبات خاصة، فيزداد حجم الجهاز الصحي، وكميات الأدوية والإسعافات، وأعداد العاملين.

هذا ويبدو أن عناية الملك عبدالعزيز بالناحية الصحية، ليس فقط لحبه الكبير للإصلاح، بل قد يرد ذلك أيضا لعامل نفسي، حين فجع بأكبر أنجاله وبإحدى زوجاته، كما أن له ميلا غريزيا للحقل الطبي، يظهر أنه ورثه عن والده، الإمام عبدالرحمن، الذي يعتبر في الطب العربي، صاحب قدرة عجيبة، ويقال انه ورثه عن جده الإمام تركي بن عبدالله، إلا أن الملك عبدالعزيز، المتطلع دائما للأفضل، والساعي إلى تحسين أحوال بلاده، لم يكتف بالنظام الطبي العقيم الذي خلفه العثمانيون في الحجاز، فعمل على تطوير ما يمكن تطويره، واستبدال ما لاجدوى من بقائه.

٢ ـ المحاجر الصحية:

تعتبر إدارة المحاجر الصحية أو الكرنتينات إدارة هامة؛ لأنها فعالة في محاصرة الأمراض والأوبئة، حيث تقع على المنافذ البرية والبحرية، وهي مزودة بجميع الممكن توفيره من الوسائل الفنية من: آلات للتقطير، والإنارة، والمباخر والقاعات والحمامات،

---

(١) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ٢١١ ـ ٢١٢.

وفيها غرف للمنامة، وفي كل محجر من هذه المحاجر، يوجد مستشفى وصيدلية، وأمكنة للفحص والمعاينة، واستراحة للأطباء، وهناك أقسام للتلقيح، وتنظيف وتطهير البواخر[١].

٣ ـ الشرطة:

وهذه، سنرجىء الحديث عن تشكيلاتها، والأقسام والفروع التابعة لها، عند الحديث عن الشؤون العسكرية، ويهمنا أن نشير هنا إلى أن جهازها تأسس في منتصف عام ١٣٤٤هـ[٢].

٤ ـ المحاكم:

لقد سلف الحديث عن النظام القضائي، ذلك لأنه قائم على الشريعة الإسلامية، الضامن تطبيقها حقوق الجميع، حيث أنها الحاسمة في معالجة كل قضية، والأنجع في حل جميع المشكلات، التي تعترض حياة الفرد والجماعة، والصالحة لكل مكان وزمان.

أما التشكيلات القضائية، فنجدها تختلف تنظيميا، اختلافا طفيفا من منطقة إلى أخرى، فمثلا في نجد، نرى أنه إلى جانب كل أمير كبير أو صغير، قاض شرعي، من القضاة المشهود لهم بالورع والعلم يساعده ـ غالبا ـ كاتب لتسجيل ما يصدر من الأحكام[٣]، ولم تكن ضمائر الناس في تلك الأيام قد فسدت، فاستحكمت فيهم

---

(١) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ٢١٠-٢١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) نفسه، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

مصالحهم الذاتية، أو انعدمت الذمم، وكانوا ـ في الأغلب ـ لايجادلون في الأحكام، قناعة بأن المخطىء، صوب خطأه الحكم الشرعي.

بالنسبة للحجاز، فنظرا لخصوصيته، وتقدمه النسبي، الأمر الذي أوجد مجتمعا مركبا بعض الشيء، إذا ما قورن ببقية المناطق، حيث نجد أن المحاكم فيه على ثلاث درجات: المحاكم المستعجلة، المحاكم الكبرى، هيئة المراقبة القضائية، والمحاكم من النوع الأول، تنظر في القضايا المستعجلة والبسيطة، والجنح والجنايات التي لاتصل إلى حد القطع والقتل، وهذه المحاكم، مؤلفة من قاض واحد، يصدر أحكامه دون إبطاء في القضايا المعروضة عليه، حسب الأولوية في تقديم الدعاوى، والمحاكم الكبرى تنظر في القضايا الكبيرة، وفي حالتي القطع والقتل، يستوجب ذلك إتفاق جميع أعضائها، وتتكون كل محكمة من هذا النوع من قاض ونائب أو نائبين، والنوع الأخير من المحاكم، فمقامها مقام ما يسمى اليوم «محاكم التمييز»، حيث تمايز بين القضايا، فإما أن تصدق على الحكم، وإما تعيده للمحكمة التي صدر عنها، عند ملاحظة ما يجب إعادة النظر فيه، وهي مؤلفة من خمسة قضاة، وجميع هذه الأنواع من المحاكم، تقدم إليها الدعاوى مكتوبة، فتقيد حسب تاريخ ورودها، ويبلغ المدعون بمواعيد النظر في دعاواهم، وعند عدم حضور المدعي الجلسة المقرر فيها النظر في دعواه دون عذر شرعي تلغى، وفي حالة غيابه أو مرضه أو أن الدعوى، مقدمة من أنثى، فيجوز التوكيل رسميا، ويعتبر رئيس الهيئة القضائية بمثابة قاضي القضاة، وفي أحكام القطع والقتل لابد من تصديق ولي الأمر[1].

هذا، وللمحاكم مفتش على سير أعمالها، ومراقبة تنظيماتها، وإلى جانبها وجدت

---

(١) أم القرى، ٢١ صفر ١٣٤٥هـ/ ٣١ آب ١٩٢٦م.

بيوت المال، الموكل إليها حجز تركات من لا وارث لهم، والقصر الذين لاوكيل يتولى شؤونهم، إلى أن يبلغوا سن الرشد، وحماية أملاك الغائبين حتى يحضروا، وحصر وتصفية التركات، وبيع البقايا وتوزيعها وحماية أملاك الغائبين على الوجه الشرعي، والدفاع عن الورثة غير الراشدين، وإعطاء الرخص لدفن الموتى، بعد أخذ التصريح بذلك من إدارة الصحة[1].

وهناك كتاب العدل المتممون للقضاة، حيث نجدهم يقومون بتسجيل التوكيلات، والإقرارات، والهبات، والوصايا، والعقود، وإجراء معاملات البيع والشراء والرهونات[2].

٥ ـ البلديات:

نصت التعليمات المشار إليها، إلى قيام بلديات، تخصص لها ميزانية، وتعنى بنظافة البيئة، وسلامة المأكولات، ومكافحة الأوبئة، وتجفيف المستنقعات، وتنقية المجاري والدبول، وتولي الحراسة الليلية، ومراقبة الجزارين والمنازل، ومستودعات الكاز، ورصف وإصلاح وإنارة الشوارع والأزقة، وخدمة كبار ضيوف الدولة[3].

هذا وإلى جانب البلديات، توجد مجالس بلدية، تكونت من أعيان كل مدينة فيها بلدية، ومن المعروفين بالهمة والإخلاص، وحب الخدمة العامة، إضافة إلى إدارة للعيون والمياه، ولم تكن البلديات خلال مدة بحثنا قد تجاوزت المدن الحجازية.

---

(١) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ٢٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

(٣) أم القرى، العدد السابق.

أما الإدارة العامة للمعارف، المعتبرة في زمن بحثنا تابعة للداخلية، فقد رأينا تأجيل الحديث عنها إلى الفصل السابع والأخير، المخصص للحركة الثقافية والعلمية والفنية، نظرا لأن التعليم يعتبر قطب الرحى في كل نمو ثقافي أو علمي أو نهضة حضارية.

٦ ـ البرق والبريد:

قامت إدارة عامة للبرق والبريد منذ عام **١٣٤٥هـ**، مهمتها توزيع الرسائل العادية والمسجلة والطرود، والحوالات المالية في الداخل، وإرسالها إلى الخارج، وكانت وسائط ا لنقل برية وبحرية، وقد وجدت الهواتف في المدن الرئيسية، وكان الاهتمام بالبرق كبيرا جدا، نظرا لرغبة الملك في الإطلاع على الدقيق والجليل في مملكة مترامية الأطراف، وحرصه الشديد على ضبط أحوالها، وتأمين أبناء شعبه، وكانت المديرية تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: مديرية الأعمال البريدية/ مديرية الأعمال اللاسلكية/ مديرية أعمال البرق والبريد.

ب ـ مجلس الوكلاء:

تم تشكيل هذا المجلس في **١٩** شعبان **١٣٥٠هـ**، برئاسة نائب جلالة الملك في الحجاز، سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وعضوية كل من: وكيل الخارجية، ووكيل المالية، ووكيل **مجلس** الشورى، وجميعهم مسؤولون أمام الملك عن سياسة الدولة العامة، وكل منهم مسؤول عن جهته، وبهذا التعديل أصبحت السلطة التنفيذية تنقسم إلى قسمين: الشؤون الداخلية التي سلف الحديث عنها، ومجلس الوكلاء المهتم في كل ماله علاقة مع جلالة الملك، وارتبطت به الشؤون القضائية، التي بيَّنا سبب تقديمنا لها، بحيث جعلناها ضمن السلطة العليا، والشؤون الخارجية والمالية والعسكرية.

وفيما يلي سنذكر الجهات التابعة لهذا المجلس، كل على حدة، حسب تنظيم كل

قطاع، ووفقا للأهمية والأسبقية، مغفلين ما تطرقنا إليه في الفصول السابقة، كالشؤون الخارجية، والجهات المتبقية هي:

١ ـ الشؤون المالية:

إحساسا من الملك بأهمية الجانب الاقتصادي، وقيمته كشريان للحياة ـ بالأخص ـ في فترة غاية في الصعوبة، والمال من أساسيات النهضة، الأمر الذي دعاه أن يولي هذه الناحية اهتماما خاصا، لأنه عقب اكتمال الوحدة، وتحقيق الاستقرار، وتوفير الطمأنينة، شاء توفير الحياة الكريمة، من خلال الاكتفاء، وقد علم أن إيجاد تنظيم مالي سيضبط أوجه الإنفاق، ويحدد مصادر الدخل بالصورة التي تضمن تطوير وإعمار بلاده.

قبل الوحدة، كانت مصادر الدخل شحيحة، بالكاد تكفي الضروريات، ونجدها تقوم على ثلاثة عناصر: الزراعة، الرعي، التجارة، وقد احتلت المنتجات الزراعية المكان الأول، ففي الواحات المتناثرة هنا وهناك، على مسافات متباعدة أو متقاربة، تكثر التمور، وبعض الخضروات، وقليل من الفواكه، فضلا على الأعلاف، والحبوب في بعضها تبذر على مختلف أنواعها.

يلي المنتجات الزراعية، المنتجات الحيوانية، المستعملة ألبانها كغذاء، ومشتقاتها المستخلص منها السمن والأقط، وصوفها الذي تنسج منه بعض الأزياء والمفارش والأغطية، ويصنع منه بعض ما يستعمل لحفظ الحاجيات، وجلودها المستفاد منها في حفظ المياه والألبان والسمن.

على هاتين الناحيتين تعتمد التجارة، وتروج السلع المستوردة، وهذه المنتجات فضلا على تسويقها في الداخل، تمثل الصادرات الوحيدة للخارج[1]، وسنوات ازدهار

---

(١) عبدالرحمن بن زيد السويداء، نجد في الأمس القريب، ص ٢٣.

هذه المنتجات، التي ينعم فيها المجتمع بفئاته الثلاث، هي سنوات تكاثر تساقط الأمطار، فتخضر الأرض، وتنمو الأعشاب، وتبسم الرياض، وتعتدل الأجواء، وتنتشر الغدران وينبت الكمأ، وتعبل وتتوالد الحيوانات، فتنشط الحركة التجارية، ويتضاعف الاستيراد والتصدير، وتزول الخلافات حول المراعي، وآبار المياه.

ولكن المشكلة في نجد، أن السيول الغزيرة، كثيرا ما تحدث أضرارا في دورها الطينية، وتسد المسالك والمنافذ، وإفساد بعض المزروعات، غير أن هذه السلبية سرعان ما تنسى، حيال الايجابيات التي يفيدون منها في مواسم الحياء، أثناء فصول الربيع، والمتعة التي يعيشونها، والحاصلات التي يختزنونها.

هذا وكان الصيد، يشكل عاملا مساعدا للحياة الاقتصادية، بحيث يجوز اعتباره حرفة وهواية، وأنه لكذلك في البر والبحر، وفي نجد لم يكن للقنص موعد محدد، ففي كل الفصول، عدا الصيد بـ «الصقور»، التي يصطاد بواسطتها من بداية «الوسمي»، حتى نهاية «السماك»، أي من بداية دخول الشتاء حتى نهاية الربيع، ومن المعلوم أن جميع أنواع الظباء والحباري، والقطا والأرانب، والكدري وغيرها، كانت فقط قبل ثلاثة عقود كثيرة في جميع أنحاء المملكة، وهناك من يتخذ الصيد مصدر رزقه، وتوجد قبيلة في الشمال الشرقي «الصلبة»، لاأدري، فقد يوجد غيرهم، كان معظم أفراد هذه القبيلة من أمهر الصيادين سيرا على الأقدام، وكان يتعاقد معهم القادرون أثناء فصول الصيف، ليصطادوا لهم كميات من الظباء، تجفف تجفيفا جيدا، بعدما يؤخذ منها ما يتسبب في فسادها، فتبقى مؤونة لوقت طويل، ولحومها لذيذة، طيبة المذاق، وهم مشهورون بذكائهم، وحدة بصرهم، ودقة تصويبهم، ومعرفتهم الأماكن والأساليب، وسرعة الجري[1].

---

(١) طالع بحثنا «القنص بين الماضي والحاضر»، المنشور في مجلة اليمامة، العدد ٣٩٢، في ١٢ ربيع الأول ١٣٩٦هـ/١٢ مارس ١٩٧٦م، ص ٤٠-٤١.

وبالنسبة لدخل الدولة، فنجده في الزكاة، وفي الغنائم التي تكسب من الخصوم، ولكن عبدالعزيز لم يعتمد هذا الجانب دخلا، بل اعتمده عقابا، وطبقا لمفهوم الدولة، عزم أن تكون خطته في الحكم غير قبلية، فانتهج نهجا أهله لجمع شتى الاتجاهات، فتوحدت الأهداف، وتكاتفت الجهود، بعدما تآلفت القلوب في ظل دولة راشدة.

بعد استعادة الاحساء، وجدت الموارد التي تدرها موانئه غير أن الأعباء ازدادت، والمسؤوليات جسمت، والاحساس بأهمية التطوير تضاعفت بعيد انضمام الحجاز، الذي لم تكن موارد جماركه، والرسوم من الحجاج، لتكفي حتى لتغطية نفقات ما يقدم من خدمات في مواسم الحج، ولكن الملك لم يقف مكتوف اليدين، أو يعدم الحيلة، فراح يبحث عن وسائل تحسن دخله، وتعين مصادره، وتعينه على تنفيذ خطواته الاصلاحية، وقد رأى أن التنظيم أساس النجاح، فشرع في تأسيس جهاز للشؤون المالية، ومن خلاله تحددت ميزانية للدولة لأول مرة عام ١٣٤٨هـ فذكرت فيها أبواب الواردات.

بدأ هذا الجهاز إدارة عامة، سارت لفترة لم تطل على الأنظمة المالية الموجودة في العهد السابق، لبينما يسمح الوقت لإيجاد تشريع مالي ناجع، بعد الاستفادة من كل التجارب، وإخضاعها لدراسة دقيقة، تستهدف وضع أنظمة يجري التمشي بموجبها، وبالفعل اتضح أن الأنظمة السابقة لم تعد صالحة للتطور الذي طرأ على الحياة العامة، فاستبدلت بأخرى دائمة، وقد تحولت الادارة عام ١٩٢٩م، إلى وكالة عامة، أنيطت مسؤوليتها بوكيل عام، هو عبدالله السليمان الحمدان، الذي يعتبر من أمهر رجال الملك عبدالعزيز المتمرسين في المحاسبة.

أ ـ التشكيلات:

أصبح للوكالة تشكيلات عصرية لحد ما، كانت بداية لتطوير وتحسين النظام المالي، وهي على الوجه التالي:

١ ـ الادارة العامة :

وتختص بإصدار الأوامر إلى إدارة الملحقات .

٢ ـ إدارة المحاسبة العمومية :

وتختص بضبط الداخل والخارج ، وتدقيق الحسابات وملاحظة أوجه الصرف .

٣ ـ شعبة العاصمة :

وبما أن منطقة مكة المكرمة ، كانت أهم المناطق ، فقد خصصت لها إدارة منفصلة عن الملحقات .

ب ـ الادارات المرتبطة بها :

هذا ويتبع الوكالة العامة للمالية في ذلك الوقت الادارات التالية :

١ ـ إدارة الجمارك :

وهي أهمها وأكبرها ، نظرا لكون الإيرادات الجمركية كانت تمثل العائدات الأساسية .

٢ ـ الحج والدعاية :

وهو مكتب مختص بتوفير المعلومات المتعلقة بالحج ، وتوعية الحجاج ، والعمل على تسهيل إجراءاتهم ، وتحقيق راحتهم .

٣ ـ إدارة السيـارات :

وكانت تحظى باهتمام ، لأنها قد أصبحت من وسائط النقل المهمة ، والسيارات على درجات ، والحقيقة أنه كان يتبع المالية إدارات كثيرة ، خارج اختصاصاتها ، غير أنه لما لم تكن الظروف مهيئة لاستقلالها ، ولأن طبيعة أعمالها أقرب ما تكون مالية ، ارتبطت بها ،

علما بأن جميع الإدارات والأجهزة الحكومية، تستمد معظم تعليماتها من إرادة الملك، وتسير أعمالها تبعا لتوجيهاته إن منه مباشرة أو بواسطة نائبه.

٤ ـ إدارة الكنداسات:

وهي المستعملة، لتقطير وتحلية مياه البحر، فقد أوليت عناية خاصة، نظرا لأن المياه في كل من جدة وينبع، كانت شحيحة جدا، ولما كانت الكنداستان السابقتان قد تآكلتا، فقد أبدلتهما الحكومة السعودية بأفضل منهما، وكان يوزع الماء المستخرج بواسطتهما على السقاة بسعر التكلفة تقريبا، وهؤلاء يدورون بالمياه على المساكن والمحلات.

إن الوكالة العامة للمالية، تعتبر ثاني وزارة بعد الخارجية، وكان ذلك في عام ١٩٣٢م، وقد تطورت تطورا كبيرا، وفصلت عنها بعض الإدارات، التي تزايدت مسؤولياتها، وتنوعت اختصاصاتها، والحق أن المالية، تعتبر مدرسة لكثيرين من أكفأ الموظفين والمسؤولين، الذي اكتسبوا من العمل فيها خبرات، ومهارات في الإدارة والحسابات، والأنظمة.

٢ ـ الشؤون العسكرية:

مر معنا ما كان عليه التنظيم العسكري في نجد، من خلال حركة الاخوان، ونود أن نشير هنا، أن ظروف نجد فرضت على جميع أهلها حمل السلاح في الماضى، وهو تقليد عربي أصيل، ذلك لأن نجدا مرت عليها فترات عصيبة، كانت خلالها الحياة غير آمنة، فتعود أهلها حمل السلاح، حماية لأنفسهم، وبعد أن أقر عبدالعزيز الأمن، وجدوا ذلك رمزا للرجولة، وإستعدادا لاستخلاص الحق، والدفاع عن النفس، ولكن هذا لايعني عدم وجود عناصر مهمتها حمل السلاح للدفاع، وتأديب العصاة، والضرب

على أيدي العـابثين، ومعاونة عبدالعزيز في توحيد الأجزاء، التي تتألف منها الدولة السعودية المعاصرة.

إننا لانستطيع حتى نهاية فترة بحثنا، أن نقول، بأن القوات النظامية، كانت قد أخذت الصورة المتكاملة لجيش حديث، ولكنها رغم أن دورها بدا محدودا في السنوات الأولى، فإنها كانت نواة طيبة لولادة جيش عربي سعودي حديث، ومجهز وقوي[1]، غير أن ذلـك لم يبلغ فعـاليات الجيش السـابق القتالية، الذي كان مختلفا عن سواه من الجيوش، من حيث تحقيقه الأهداف التي جعلها قائده الأعلى نصب عينيه، والذي لاشـك أنـه محارب من الـطراز الأول، فأسس ملكا أيضا بحد السيف، من أجل المبادىء، إلى جانب الحكمة، فتحققت معطيات وحدوية، ظهرت فيها صورة دولته مضيئة، تحظى بالاحترام، وتتمتع بالهيبة.

إنه يعرف قيمة الدفاع عن الأوطان، فاهتم بتنظيم قواته، ولم ينس رفاق السلاح، ولم تمنعه أوضاعه المختلفة بعد الوحدة من العناية بجنده البواسل، وقد أدرك جيدا أن حماية المكتسبات، عنصرها الأساسي جيش قوي حديث، دون التخلص من الأسلوب الحـربي القـديم، وحرص على إبقاء عناصر هذا الأسلوب، الذين ذاقوا معه الحلوة والمرة، فالمحافظة عليهم من أولى واجباته، وهم ذكرى جميلة، ومظهر متميز، فضلا على أن فعالياتهم قائمة في العديد من المهمات الصعبة، مع العمل على إيجاد جيش حديث، وفق الإمكانيات المتوفرة، وبلاده في مسيس الحاجة لتنويع العناصر المقاتلة، فهي مترامية الأطراف، تشترك حدودها مع دول بعضها تبطن له العداوة، وتتحين عند ظهور أدنى بادرة للضعف فرص الانقضاض، وعند التراخي قد تخرج العشائر عن

---

(١) HOWARTH, DAVED, KING OF THE DESERT: IBin Saud and His Arabia, P. 219.

الطاعة، وهناك من لايروقه سوى العبث، بالإضافة إلى أن طبيعة المملكة، ووعورة المسالك، تطلبت تشكيلات متنوعة، فتضاريسها متباينة.

هذا ويمكن تقسيم القوات المعتمدة في فترة بحثنا إلى ما يلي:

أ ـ الهجانـة:

هؤلاء أكثر القوات المسلحة عددا، وأغلبهم من المحاربين القدامى، الذين أبلوا بلاء حسنا مع عبدالعزيز في حروبه الماضية. والتسمية الشائعة عنهم في نجد «المجاهدون»، وهذه القوة تنقسم إلى أربع فرق هي:

أهل العارض/ أهل الحواضر/ أهل الهجر/ البدو، وجميع جنود هذه الفرق نجديون، ولهم أعطيات، تختلف باختلاف مراتبهم ومكاناتهم[1]، ومقدار خدماتهم، وأيضا لكبار رجال الحواضر والبوادي أعطيات، كل بحسب مكانته الاجتماعية وجهاده، بل إن الأعطيات لاتقتصر عليهم، حيث نجد أن لكل ضيف من ضيوف عبدالعزيز أعطية تسمى «الشرهه»، وتصرف من ماله الخاص، وغالبا ما تتحول إلى سنوية منتظمة، فتسمى «القاعدة»، وهناك ما يسمى بـ«البروة»، وتصرف أرزاقا من بيوت المال أو عمال الزكاة، علاوة على المعونات التي تصرف للمحتاجين، علما بأن أعطيات أهل الحواضر تختلف عن أهل الجهاد، وأهل الهجر عن البدو[2].

ب ـ الخـويـا:

وهؤلاء أعـدادهم هائلة، فكل أمير وكبير، لديه منهم، وكان لهم دور فعال في

---

(١) عبدالله العلي الزامل، أصدق البنود، ص ٤٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧٠ وما بعدها.

توطيد الأمن، وثبات الأوضـاع، والخويا جمع خوي، وهو الذي يؤاخيك على الخير والشر، وفي السراء والضراء، فيأكل معك، وينام عندك، ويدافع عنك، ويحارب في صفك، وهم على درجات، وحسب الأقدمية والأفعال، يكون تقدم أحدهم، ولازال الخويا حتى عهدنا، ليس فقط تقليدا جميلا، ومظهرا مميزا، بل لكونهم أصحاب همة ونجدة، في حفظ الأمن في الامارات الكبيرة والصغيرة.

جـ ـ القوات النظامية:

من أجـل تطوير القـوات، أسست مديرية للشؤون العسكـرية، تبعتها شعب تختص في المعـامـلات، والاعاشات، والتحرير، والجانب الصحي، إضافة إلى قوة جوية، حيث أن الحكم السعودي، ورث في الحجاز بعض الطائرات التي كانت نواة لقوات جوية عسكرية، بدأت فعالياتها تظهر بعد إنشاء مدرسة لتدريب السعوديين عام ١٩٤٨م، وشراء مجموعة من الطائرات[١].

د ـ الشرطـة والعسس:

أطلق على الشرطة في البداية «مديرية الأمن العام» ومن ثم إدارة الشرطة، ومهمة الشرطـة حفظ الأمن في المـدن، ومـلاحقة الخارجين على القانون، وتأديب المخلين بالأمن، وكانت إدارة الشرطة تنقسم إلى عدة مناطق في العاصمة والملحقات، وينقسم الجنود إلى خمسة أقسام: المشاة/ حركة المرور/ الخيالة/ راكبو الدراجات البخارية/ راكبو السيارات، ولإدارة الشرطة وجدت ـ في البداية ـ فروع في المدن الملحقة بالمملكة الحجازية، وقد اتسع نطاقها، وجسمت مسؤولياتها، فشملت جميع مناطق الدولة، ويتبعهـا حتى الفـترة التي تعنينـا إدارة لإصدار جوازات السفر، ومراقبة المسافرين، مركـزهـا مكة، ولها فروع في الموانىء الرئيسية، وهناك مصلحة للسجون، ومكتب

---

(١) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

للتابعية، وآخر لعمد المحلات، ومهمته الإشراف على ما يقوم به العمد، وتولي الحراسة الليلية التي يكلف بها في المدن العسس.

هـ - خفر السواحل:

وهي القوة المكلفة بمراقبة السواحل، وتقوم بالدوريات على الزوارق، وأيضا الدوريات البرية على الإبل في محاذاة الشواطىء.

و - سلاح الحدود:

أفراد هذا السلاح، يراقبون معظم المناطق الحدودية، للمساعدة في حفظ الأمن، ومنع التهريب.

ثالثا: السلطة التشريعية:

أشرنا إلى المجالس الاستشارية، على مختلف أنواعها، ويبقى أن نشير إلى أن هذه المجالس، تمثل فيها كل الفئات، في جميع أنحاء الحجاز، من حاضرة وبادية، تأكيدا من جلالة الملك على الشورى، ورغبة منه في تكوين دولة، قائمة على أسس متينة.

أ - شروط العضوية، وطريقة الاختيار:

يختار أعضاء مجالس الشورى من ذوي الخبرة والدراية، ومن المعروفين بحسن السلوك، ويشترط في العضو معرفة القراءة والكتابة، وعدم صدور أحكام عليه مخلة بالشرف، ولايقل عمره عن خمسة وعشرين عاما، وكل مجلس أعضاؤه ستة، عدا مجلس مكة المكرمة، فعددهم عشرة، ويختار جميع أعضائها من قبل: العلماء، الأعيان، التجار، ورؤساء الحرف، ورؤساء المجالس يتم تعيينهم، ومدة كل مجلس عامان، وكل عضو عام، وهؤلاء يختارون من بينهم «مجلس الشورى العام»، الذي يرأسه نائب جلالة الملك في الحجاز، وعدد أعضائه ثلاثة عشر، يمثلون المدن الحجازية،

والعشائر: مكة يمثلها أربعة، والمدينة إثنان، ومثلها ينبع، وعضو عن الطائف، والعشائر يمثلهم ثلاثة من رؤسائهم[1].

هذا وكان تقريبا، عند إنتهاء مدة كل مجلس أو العضوية، يجري تغيير أو تعديل على تكوين أو شكل هذه المجالس، وقد تم التركيز على مجلس الشورى العام، باعتباره السلطة التشريعية المتكاملة، ومن خلاله يمثل الجميع، في جميع الجهات، علما بأنه يحق للملك حله أو إجراء ما يراه لايتفق مع المصلحة العامة، وقد اتخذ مجلس الشورى العام، شكله النهائي، بأن صار له نائبان، وانبثقت منه لجنتان، إلى جانب المستشارين، وأمانة السر.

ب ـ أهم ما ينظر فيه المجلس التشريعي:

كثيرة هي الأمور التي تعرض على المجلس عند انعقاده، التي يبدي فيها أعضاؤه الرأي، غير أننا هنا لانود الدخول في التفصيلات مكتفين بأهم النقاط، وهي[2]:

١ ـ موازنة الدولة.
٢ ـ المشروعات المزمع تنفيذها.
٣ ـ نزع الملكيات.
٤ ـ الأنظمة والتشريعات.
٥ ـ استخدام الأجانب.
٦ ـ العقود مع الشركات والتجار، واحتياجات الدولة.

---

(١) أم القرى، في ٢١ صفر ١٣٤٥هـ.

(٢) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، ص ١٠٣ وما بعدها.

رابعا: تكويـن الشخصيـة:

الشخصية تعني وضوح الملامح، وجلاء الرؤية، والتميز بوضع، واكتساب الطابع المتفـرد، تأكيدا للإستقـلال، حيث تتكون الشخصية تكوينا له مذاق وطعم، فيها «النكهة» و«الكنة»، مما يعطيها بعدا حضاريا وإنسانيا، ويجعل لها خصوصية، وفكرا حرا لايتـأثر إلا بالمقدار الذي لايضيع أصالتها، حتى تصمد، وتبقى قوية ومؤثرة، وقادرة على تذليل العسير، وقطع أبعد المسافات بلا كلل.

إن بناء الشخصية يجب أن يكون ذاتيا، ثقة بالنفس، واعتزازا بالانتماء، لاأن يكـون استحواذا وأنانية، بل ينطلق من العمق والجذور، دون امتلاك، حتى يشيع العمل، وتترسخ الكينونة، ويعلو البناء شامخا عند ملاحظته، وتجنيبه ما قد يعرضه للاهتزاز.

لقـد شعر الملك عبدالعزيز، من خلال حسه الوطني، وواجبه كحاكم مؤمن، ورجل دولة من الطراز الأول، شعر منذ استرداده الرياض، بضرورة تكوين شخصية دولته، ولكنه لم يُترك، حينما لم يجد وقتا يؤكد فيه شكل الدولة النهائي، ليس لأنه شغل بالجهاد، ومحاربة الخصوم، ومكافحة الجهل والفقر والمرض، وإنما لأنه لم يكن قد فرغ من جمع شمل بلاده، فلما تحقق له ما سعى إليه، باشر إثر دخوله مكة بالعمل على إيضاح ملامح شخصية مملكته، ولم يطل التفكير لأن تصوراته لها تجول في ذهنه مذ زمن بعيد، حتى اختمرت ولم يعد أمامه سوى التنفيذ، فقد رأى أن بناء الأمة بعد توحيدها، وتأمينها، والقضاء على المفاهيم المتعارضة مع التعاون الجماعي، وإشعار مواطنيه بأن النهضة الحقة، مصدرها التميز، والمحافظة من غير تزمت، لكي يبتعد بهم عن التبعية، فارتفع الشعار، وسكت العملة، وظهر الانتماء محفوظا، والتعامل من موقع أهمية الشخصية.

١ ـ العلم:

شعـار كل أمـة ورمـزهـا، والـراية المـرفوعة في الحرب والسلام، وعند الأفراح والأتراح، وموضع الفخار، والدال على المعاني الممثلة لكل أمة من الأمم، عرف منذ آلاف السنين، ليكون رمزا للماضي والحاضر والأمجاد، وقد مر في مراحل كثيرة، وكان عبارة عن إشارات تتميز بها كل جماعة، وتشير إلى معتقدها أو تشكيلها العسكري، وبعض الأمم اتخذت من الحيوانات شعارات لها، إلى أن وصل شكله الحالي، الذي تشير ألوانه ورسوماته لمعاني تمثل تاريخا أو إنجازا أو قيما خاصة(١).

هذا والعلم في نجـد يدعى «بـيرق»، وهـو في اللغـة العلم الكبـير، وجمعـه «بيارق»(٢)، وحامله يلقب «البيارقي» وراية ابن سعود التي حقق رحلته التوحيدية وهي مرفـوعـة تتكون من: قطعة قماش خضراء، رسم عليها سيفان متقاطعان تتوسطهما نخلة، وفي أعـلاهـا كتب «لاإله إلا الله محمد رسول الله»، ولأن العلم يحمل اسم الجـلالـة، فإنه لاينكس كبقية الأعلام، وهو رمز لجهاد طويل، وإيمان قوي، ولونه الأخضر دعـوة للسلام والتنمية، والنخلة تشير إلى الخصوصية في حياة أبناء البلاد، والسيفان يرمزان إلى الانتصارات، والقدرة على مواجهة التحدي.

٢ ـ العملـة:

العملة من أهم مقومات استقلال الدولة، والاشارة إلى شخصيتها، والتأكيد على كيانها، والابتعـاد عما يمكن أن يشـين سمعتهـا، أو يعـرضهـا إلى الإساءة وحكاية عبدالملك بن مروان مع قيصر الروم معروفة في التاريخ، حين كان المسلمون يستعملون في نشاطهم الاقتصادي النقود البيزنطية، التي ورد في بعضها إساءة للنبي ﷺ، فما كان

---

(١) THE NEW BOOK OF KNOWLEDGE, VOL, 6, P. 225.

(٢) المعجم الوسيط، جـ١، ص ٧٨.

من الخليفة الأموي إلا أن سك دينارا إسلاميا خالصا[1]، وفي مطلع قرننا الميلادي هذا، كان أبناء الجزيرة العربية ضائعين بين شتى العملات، مما زاد في ضعف حالتهم الاقتصادية، إلى أن أكمل الملك عبدالعزيز وحدة البلاد، فارتأى سك عملة عربية سعودية عام ١٣٤٧هـ.

٣ ـ الجوازات والجنسية:

لقد أدرك الملك، حال دخوله الحجاز، وقيام دولته، مهيبة الجانب، لابد لها من تحديد علاقاتها، وضبط صلاتها، وتوضيح صورتها، فصدرت الجوازات على مختلف الأنواع، ووضع نظام التأشيرات للدخول والخروج، وفي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، صدر أمر بمنح الجنسية لرعايا الدولة السعودية المعاصرة، تأكيدا للشرعية والإنتماء، واستعدادًا منها لحمايتهم، فتحددت للتابعية شروط من تتوافر فيه يحصل عليها.

٤ ـ المواصــلات:

وجهت عناية خاصة للمواصلات، لما لها من أهمية بالغة في حياة الشعوب، وتيسير عمليات التبادل التجاري، وترويج السلع والبضائع، وضبط الجوانب الأمنية، وربط النواحي والأطراف، وتوفير المعلومات، ورصد التحركات، ومعرفة الطريق، عند رسم المعالم، وتحديد المنافذ، فلا يتوهون.

ورغم أن عملية شق الطرق، في بلد شاسع المساحة، تفصل بين تجمعاته السكنية آلاف الكيلومترات، التي تتخللها الصحارى الواسعة، والأودية السحيقة، والكثبان الرملية الكبيرة، والجبال العالية[2]، رغم أنها عملية غاية في الصعوبة، سيما وأن الموارد

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ١٩٨.

(٢) ناصر السلوم، وزارة المواصلات: نشأتها... ونشاطاتها، وانجازاتها، محاضرة ألقيت في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة نشرتها صحيفة الجزيرة، العدد ١٤٧١، في ٢٨ جمادى الأولى، ١٤٠٤هـ/ ٢٩ فبراير ١٩٨٤م، ص ١١.

لم تكن كافية، وأنها تأخذ وقتا طويلا، ولكن الوضع لايحتمل التأجيل، والأحوال لابد أن يكون الملك على بينة منها، الذي برغم أنه دقق في اختيار ولاته، ووضع ثقته برجال أكفاء مخلصين، إلا أنه كذلك لايريد أن يبتعد عن الناس، ولاتنقطع صلة أي منهم عنه، سواء أكان بعيدا أم قريبا، فقيرا أم غنيا، حرصا منه على العدل بينهم، ومنعا لحدوث الظلم، وحتى لايكرر ما وقع به بعض أسلافه، حين جعلوا حكام الأقاليم والأطراف، لارابط لهم بالسلطة المركزية، سوى إعلان الولاء، ودفع الزكاة، واختيارهم من بين أعيان المناطق التي ينتمون إليها، الأمر الذي يدعوهم عند الإحساس بضعف السلطة المركزية، أو يجدون من يحرضهم على إعلان العصيان، كما حدث في أيام الإمام عبدالله بن سعود في عسير، وخلفاء الإمام فيصل بن تركي في حائل.

هذه الجوانب فطن لها الملك، فاعتبرها درسا استوعبه، وقد اتعظ بالماضى، وفهم حقائق حاضره، وأدرك أبعاد قضايا عصره، بعد أن علمته التجارب، وصقل موهبته الجهاد، وكان من أولى واجباته بعث الطمأنينة، وإقرار الأوضاع، ومن ذلك العناية بالمواصلات على شتى أنواعها، المعروفة في عصره.

ولما كان - كما أشرنا - شق الطريق يستغرق زمنا طويلا، وإمكانات ليس في المقدور توفيرها بسرعة، وخبرات يتطلب جلبها ترتيبا خاصا، والوضع لايحتمل الانتظار، فقد سارع الملك، فبدأ بالممكن، فعمم المحطات اللاسلكية، حيث صارت المملكة تتمتع بمركز متقدم بين دول العالم، من خلال شبكة كبيرة، على أحدث طراز، ونظم البريد، وعين محطاته، وأمن مسالكه، وفي نفس الوقت، أخذ يعمل على نشر طرق السيارات البرية، وتسهيل الدروب والمسالك، وتحسين المنافذ البحرية.

إنها دراسة محدودة السنوات، لم نشأ أن تكون أكثر مما حددناه لئلا نضيع في زحمة الأحداث، الدقة، والموضوعية، والمنهجية، وهي سنوات التأسيس، والتي تعتبر ولاشك سنوات الحسم في التاريخ السعودي المعاصر، الأمر الذي يتطلب اهتماما

بالغا، ولا أدعي تغطية كل ما تحفل به، وإنما هي محاولة، أرجو أن تكون خطوة إيجابية في تناول تاريخنا التحديث، من زاوية محصورة في فترة زمنية كانت محكا تعين بموجبه المصير نهائيا، على يدي رجل من رجال التاريخ، الذين حققوا وحدة وطنية، وانجازا حضاريا، فظفر بالإعجاب، ونال الإحترام، وحظي بالمجد، رجل أقام كيانا، مبددا في سبيله كيانات هزيلة، فحلت القوة محل الضعف، والحب أحله بديلا للكره، وقد أفاض الله عليه، فتطلع للبناء بعدما سبر غور الحياة، وأدرك التبدل الذي طرأ عليه، فتطلع راضيا مطمئنا إلى أن انتقل إلى جوار ربه، وفي نفسه أمنية خالها تتحقق بعد جلاء الأجنبي عن الأراضي العربي، إلا أنه مضى وهو ابن الواقع، الذي قاده إليه خصوبة خياله، بعدما عرف بُعد نوال أمنيته، حين دق الاستعمار أسفينا في جسد الأمة العربية، فانشق الأخوة، بين يمين ويسار، وتطرف واعتدال ولقد رأى، ولا يبدو أنه غير رأيه منذ أن تحدث إلى أمين الريحاني عن الوحدة العربية، التي فهمها بأنها مخنوقة بالزعامات، والخلافات، والمؤامرات، وأنه الوحيد الذي حقق جزءا من أماني العرب، في توحيد معظم أجزاء الجزيرة العربية، في دولة متوازنة، منذ أن تبدد شملهم، على أيدي الغزاة الأجانب.

الفصل السابع

الفصل السابع
الحركة الثقافية والعلمية والفنية

أولا : الحركة الثقافية :

أ ـ التعليم

١ ـ تطوره

٢ ـ نظامه

٣ ـ مشكلاته

ب ـ وسائل التثقيف

١ ـ المكتبات

أ ـ المكتبات العامة

ب ـ المكتبات الخاصة

جـ ـ المكتبات المدرسية

٢ ـ الطباعة

٣ ـ الصحافة

(١) أم القرى

(٢) صوت الحجاز

(٤) التأليف

(٥) المنتديات الأدبية

جـ ـ الأدب

١ ـ النثر

٢ ـ الشعر

ثانيا : الحركة العلمية

ثالثا : الحركة الفنية

أولا : الحركة الثقافية :

لم يكن انصراف النـاس عن التعليم، ومتابعة النهضات الثقافية، والانجازات العلمية، والتطورات الحضارية، في الأجزاء التي تتألف منها الدولة السعودية المعاصرة، حتى مطلع العشرينـات من قرننـا الميلادي هذا، إلا نتيجـة لمعـانـاتهم من حياتهم القاسية، وبيئتهم الجافة، فظلوا على طبيعتهم، لأنه لم ينلهم نصيب، حتى إبان ازدهار الحضارة العربية الاسلامية، حيث انحسر اشعاعها عنهم، فبقيت أحوالهم ـ تقريبا ـ كما كانت عليه في الجاهلية: صراع مع الجفاف، وترحال حرمهم الاستقرار، وتكوين المراكز الاجتماعية، حتى تتحد الجهود، وتتوحد الأهداف، فقامت بينهم الحروب، واستحكمت العصبية، وغابت عن أذهانهم منافع الوحدة، الأمر الذي أحدث خللا في أساليب تفكيرهم، وأنماط عاداتهم وتقاليدهم، وأوجد هوة سحيقة، باعدت بينهم وبين النظرة الصائبة، والرأي السديد، فعاشوا حقبا طويلة، حياة هامشية، يسودها الاضطراب والخوف، ويشوبها الفقر والاختلاف، ويشينها الجهل، ويتهددها المرض.

بل هناك ظروف عديدة، وعوامل كثيرة، صرفتهم عن العمل الجماعي، وحب التعـاون، والتعرف على ما يساعدهم على تحسين أوضاعهم، وصعوبات حدت من تأثـرهم، وعـطلت جدوى مسعـاهم، غاية في التعقيد: سياسية، واقتصـادية، واجتـماعية، مما سلب معـظمهم المفـاهيم المتمشية مع روح العصر، فافتقدوا معرفة التعامل الصحيح مع المعطيات الحضارية، فلم يحسوا بالتطور إلا بقدر لايكاد يذكر، لم يستطع نزع طبيعتهم الصحراوية، فلم يتفاعلوا بشكل كاف مع غيرهم، فانطووا في ظل أوضـاع بدائية، عدا الحجاز الذي كفلت له فريضة الحج، صلة لاتنقطع عن مراكز الاشعاع، ولأن الحجازيين ورثوا بحكم نشأة الإسلام في بلادهم قيمه، وتمسكوا بقواعده[1]، والذين وجدوا في التسهيلات التي وفرها لهم الخلفاء والسلاطين، والولاة

---

(١) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ترجمة منير بعلبكي، ص ٧٣.

المسلمون، مجالا رحبا، ساعد لحد لا بأس به على تكوينهم الثقافي، فصاروا رغم تخلفهم، أفضل حالا من بقية المناطق، حتى غضون الفترة التي نبحث فيها، من خلال ما تبقى له من مظاهر حياة ثقافية، محضته بعض العصرية، التي برغم محدوديتها، أعطت ثمرات طيبة، لم تحظ بها بقية المناطق إلا بعد سنين عديدة.

إن المراحل غير المناسبة في شتى المجالات، التي مرت عليها الدولة السعودية المعاصرة في تاريخها قبل توحيدها، والعزلة الطويلة التي عاشتها المناطق الداخلية، والاضطراب السياسي الذي عانت منه المناطق الساحلية، والبيئة القاسية، والموارد الضئيلة، غيبت الفعاليات الفكرية، برغم موروثاتها الروحية والثقافية، لأن المفاهيم عجزت عن استثمارها، استثمارا يحفظها من التخلف، ويؤمنها من الأرق الفكري الحاد.

وبما أنها لم تجتز فترة كافية، تؤهلها للتبلور، وتساعدها على الارتقاء بالمفاهيم، حيث تتلاقح الأفكار، وتتوالد المعطيات، فتأخذ جميع الأشياء كفايتها، حتى يظهر الإبداع خلاقا، والانتاج الثقافي مؤثرا، اختل توازنها الاجتماعي، وضعف حس أبنائها السياسي، الذين لم يعرفوا معنى التحول، فحاروا في مسألة الحداثة، ومفهوم المواطنة، ودلالة حلول العلاقات من خلال المؤسسات، محل العلاقات بين الأفراد، فانعدم الاحساس بأهمية النظام، والوعي بالتعامل السليم مع الوسائل العصرية.

الحقيقة أن عملية الاصلاح، دورها هنا لايقتصر على البحث عن موارد إضافية تساعد في البناء، ولايجاد أنظمة تيسر مسيرة العمل، أو إقامة مشروعات نافعة، بل تحتاج أيضا إلى تأصيل الوعي، وترسيخ روح الوطنية، وتنظيم التفكير، والتحسيس بقيمة المسؤولية، وإشاعة معاني التغير والتطوير، وهذه تحتاج لوقت، لأنها بطيئة، غير أنه لابد منها، لكونها الأساس القوي الذي عليه تقوم النهضات السليمة، والحضارات النقية، وهذا لايتأتى ما لم يلتفت للتعليم، وتشجع النشاطات الثقافية، وتفسح

المجالات للمواهب، وتوفر الوسائل المروجة لها، فبدأ الاستعداد، وأعدت الدراسات لتنفيذ ذلك.

أ ـ التعليم:

لاشك أن التعليم يشكل الأفراد، تشكيلا سويا، ويؤهلهم لشق طرق معبدة في الحياة، ويخلق القدرة على العطاء، والاستعداد للانخراط بالحضارة الحديثة، ومواجهة تحدياتها[1]، فيزيل سيادة الجهل، ويحجم الأمية، ويحرك حياتنا الثقافية، ويؤهلها للتفكير المجدي، والعمل الفعال، ولكن العدد اليسير جدا من الكتاتيب التي لم تكن تختلف عما كانت عليه في عصور الإسلام الأولى، من تعليم الصغار مبادىء القراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن، إلا القليل من مبادىء الحساب، وبعض مبادىء قواعد اللغة العربية، وهي في عمومها لاتختلف كثيرا عما كانت عليه في أي بلد عربي، غير أنها في الدولة السعودية ظلت زمنا طويلا، حتى بعد بداية تأسيس المدارس النظامية، كانت أقرب في مناهجها إلى الكتاتيب، ولكنها سميت مدارس، نظرا لإدخال بعض المواد العصرية فيها، فقد كانت تعتمد على الطريقة القديمة، حيث كان الحفظ عماد الدراسة لا التفكير[2]، وكان معلم الصبيان يسمى «مطوع»[3]، وهو يقابل في دول الخليج «الملا»، وفي مصر «سيدنا»، إلا أن المطوع في نجد لايقتصر دوره في أحيان كثيرة على تعليم الصبية، فيتعداه إلى الوعظ، وإمامة المصلين، والخطبة في المساجد، وكتابة

---

(١) عبدالوهاب عبدالواسع، التعليم في المملكة العربية السعودية، ص ٢٣.

(٢) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٢٤.

(٣) المطوع جمعه مطاوعة، وهم رجال الدين الذين لاتصل مراتبهم مراتب القضاة والمشائخ، ويبدو أن الكلمة مشتقة من «التطوع»، وليس من الضروري أن يطلق اللقب على المتعلم، فقد يلقب به أمي تقديرا لتدينه، وحرصه على أداء واجباته الدينية، وفي بعض المناطق الشمالية يلقب «الخطيب».

الخطابات لأهل القرية الأميين، وعقد الزيجات، ورفع الآذان، وفي حالة عدم وجود قاض، يكون مرجع أهل القرية الديني، مما جعل له كلمة مسموعة[1].

١ ـ تطـوره

ظل الأسلوب القديم سائدا في المناطق المتألفة منها الدولة السعودية المعاصرة - خاصة - في نجد وتوابعها حتى أواخر الثلاثينات، فلم يقدم ثمرات يفيد منها المجتمع، ولكن الحركة التعليمية التي قامت في الحجاز، بلغ تأثيرها نجدا عند نهاية بحثنا، حيث نجد المدارس النظامية قد عرفتها بعض مدنها، لأن الوحدة، فرضت مسارا مغايرا لما كان عليه التعليم قبلها، حيث جدت أمور، باتت الحاجة معها ماسة لثقافة عصرية، فالاكتفـاء بثقافة محدودة، لم يعد واردا، ففكر الملك في إيجاد تعليم حديث، يستمد أسسه من الاسلام، فقامت من أجل هذا الغرض إدارة عامة للمعارف، تعنى بـ «نشر العلوم والصنايع، وافتتاح المكاتب والمدارس، وحماية المعاهد العلمية، مع فرط الدقة، والاعتناء بأصول الدين في كافة المملكة الحجازية»[2].

باشرت الادارة عملهـا في غرة شهـر رمضـان ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م باثنتي عشرة مدرسة أميرية وأهلية، بعضها كان قائما من قبل، غير أن الادارة بدأت خطوة إيجابية، عندما سارعت فأعادت فتح المدارس العثمانية، التي أغلقها الملك حسين، وقد رصدت للتعليم ميزانية مقدارها ستة آلاف وستمائة وخمسة وستون جنيها استرلينيا، وكان عدد طلابها سبعمائة، وبعد عشرة أشهر تأسس معهد فوق المرحلة الابتدائية، ولم يمض عام حتى تكون مجلس للتعليم، ضم علاوة على رئيسه سبعة أعضاء، انحصرت مهمته في رسم خطط التعليم، وتوجيه سياساته، ومساعدة الادارة على تنفيذ مشروعاته، وكانت

---

(١) الزركلي، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، جـ٢، ص ٢٣٦.
(٢) أم القرى، في ٢١ صفر ١٣٤٥هـ/ ٣١ آب ١٩٢٦م.

أولى ثمـرات الادارة والمجلس «تـوحيد منـاهـج التعليم»، ووضع أسسه في مختلف مراحله، والعمل على تعميمه في جميع أرجاء البلاد[1]، الأمر الذي استدعى أن تذكر أسماء الأوائل من مديري ووكلاء إدارة المعارف وأعضاء المجلس، نظرا للأثر الفعال الذي تركوه، في تكوين ارهاصات لتعليم حديث منظم، ولما بذلوه من جهد، وما قاموا به من عمل ثقافي في ظل ظروف صعبة، وتحملوه، وشيئا فشيئا خطا التعليم خطوات واسعة، ونما نموا لابأس به برغم العقبات التي واجهها، ومعارضات المتزمتين، وعدم الاقبال عليه من بعض فئات المجتمع، ان خشية منه أو حاجة لعون أبنائهم معيشيا.

وبـما أن التعليم الأهـلي، كان له الأثر البالغ في تشكيل رواد الثقافة السعودية المعـاصرة، لأن البـدايات الجـدية، منـذ عهد العثمانيين كانت له، فأثبت جدارة، واستطاع أن يؤدي دروا، فقد أولته الادارة العامة للمعارف منذ إنشائها عنايتها، ولكنها لم تنظم مناهجه تنظيما متفقا مع مناهج المدارس الحكومية، غير أنه لم يكد يمضي عام، حتى صدر أول نظام للمدارس، مباشرة عقب قيام مجلس التعليم[2]، وفي نفس العام ارتفعت ميزانيته لتكون أربعة عشر ألفا وسبعمائة وواحدا وتسعين جنيها استرلينيا، وفي العام الذي تلاه وصلت إلى ثلاثة وثلاثين ألفا وأربعين جنيها[3].

هذا ولم يكن الأمر مقصورا على التعليم في الداخل، حيث نجد أنه قد أخذ في نظام الابتعاث منذ عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م، فأرسلت أول بعثة علمية للتخصص في الجامعات المصرية، والتي لم يشر المصدر[4] إلى نوعية دراسة أعضائها، أو عددهم، غير

---

(١) سليمان بكر سندي، تطور التعليم في المملكة العربية السعودية، مجلة التوثيق التربوي، العدد الخامس عشر، في ربيع ثاني ١٣٩٨هـ/ أبريل ١٩٧٨م، ص ١٠.

(٢) عبدالرحمن بكر الصباغ، ذكريات مدرس، ص ٤٨-٤٩.

(٣) السندي، بحثه السابق.

(٤) أحمد محمد جمال، ماذا في الحجاز، ص ٢٣.

أنه يبدو أنه معظمهم عاد، نظرا لعدم اعتراف الجامعات المصرية بشهاداتهم، والتي كانت تنقصها مواد لم تدرس للمبتعثين، ولكن هناك قلة تخرجوا من «دار العلوم»، بعد أن أعادوا الدراسة الثانوية في المدارس المصرية.

وهذا يعتبر اهتماما واستعجالا لتكوين حياة ثقافية، برغم الصعوبات والظروف، ويعني أيضا حبا للعلم وتشجيعا له، بيد أن الابتعاث انقطع في السنتين الأوليتين بعد قيام الحرب العالمية الثانية، وانتظم ثانية عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م، حيث تحقق تأهيل خريجي المدارس الثانوية السعودية، للالتحاق في الجامعات، عقب قيام «مدرسة تحضير البعثات»، والتي يمثل خريجوها طلائع المثقفين السعوديين أكاديميا، في شتى التخصصات، والذين تولوا مسؤوليات كبيرة، ومناصب قيادية، وملأوا شيئا من الفراغ، الثقافي، ولسوف لانستطرد أكثر، لئلا نخرج عما حددناه من السنوات.

٢ ـ نظامه:

كان التعليم ـ ولازال ـ غير إلزامي، إلا أنه قد وضعت له حوافز، تمثلت في مكافأة الطلاب المراد ابتعاثهم أو إعدادهم للتدريس، أو الدارسين في المعاهد الدينية، وبعض المدارس توجد فيها أقسام داخلية، ومراحل التعليم هي: ابتدائي، ثانوي، عالي، والثانوي كان يعني التعليمين: الاعدادي والثانوي، ومدته تختلف من مدرسة لأخرى، حسب نوعية الاختصاص.

سار النظام التعليمي على هذا النحو، كل مدرسة تختلف في مراحل تعليمها العام عن الأخرى، إلى أن صدر نظام التعليم عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، فعينت بموجبه مناهج التعليم الابتدائي، وعدد سنواته، ولما أن التعليم تطور تطورا كبيرا، فقد رؤي إعادة النظر في هذا النظام، بعد تسع سنوات، ظلت تسير عليه الادارة العامة للمعارف، إلى أن تحولت إلى وزارة[1].

---

(١) سندي، تطور التعليم، المرجع السابق، ص ١١.

٣ ـ مشكلاتـه :

صاحبت مسيرة التعليم عقبات خاصة وعامة، منها أن أحوال نجد السابقة لم تكن تسمـح بالتعليم إلا من خلال الكتـاتيب، وعـدم إيمان كثير من أولياء أمور الطلبة بجدواه، وبعضهم لحاجتهم إلى خدمات أبنائهم، وأيضا العقليات المشككة بالتعليم العصري، وفوائد الحضارة المعاصرة، فساءها أن يتجه اتجاها مخالفا للأسلوب الذي عهدته.

زد على ما تقدم، أن ولادة الدولة السعودية المعاصرة في الحجاز، صادفت أزمة عالمية، عاشها العالم إثر موجة كساد، فأثرت تأثيرا بالغا، حيث تقلصت مواردها من الحجاج، الذي قل عددهم سبب الأزمة الخانقة، وبالتالي واجهت الدولة عسرا ماليا تأثر به التعليم حتى ظهور البترول، والذي لم تحصل على دخل منه إلا عام **١٩٣٩**م، ولم يظهر بكميات تجارية إلا عقب نهاية الحرب العالمية الثانية[١].

وهناك مشكلة سعة الرقعة، والسكان الموزعون، والمتفشية فيهم الأمية، وعدم وجود أدوات التعليم، بحيث كانت البلاد بحاجة إلى أدواته ا لتي لم يكن يصنع منها شيء، ابتداء من الكتب والمدرسين، وانتهاء بالطبشور واللوح الأسود، وما يترتب على ذلك، من مخصصات لم تكن في البداية متوفرة[٢]، فما كان من الملك إلا أن أوعز لرجال التعليم، بضرورة التفكير بحل، فقام معهد لتخريج المدرسين، بعد المرحلة الابتدائية، مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات[٣]، ولكنه لم يسد الحاجة، مما دفع الدولة

---

(١) Aramco hand Book, p. 90.

(٢) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص ٤٥٣.

(٣) الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ٢، ص ٦٣٦.

إلى الأخذ بنظام الابتعاث للخارج، الذي واجهت فيه إدارة المعارف مشكلة ظهرت في صعوبة قبول المبتعثين في جامعات الدول المبعوثين إليها، نظرا للفروق في أنظمة التعليم، بيد أن ذلك سرعان ما تلافته الدولة، حين أدخلت مناهج قررت على الطلبة المختارين للإبتعاث.

ب ـ وسائل التثقيف:

لاشك أن التعليم هو الرافد الأساسي في كل تطور ثقافي، غير أن هناك أيضا عوامل مساعدة، وتعتبر فاعلة في تنشيط كل حياة فكرية، وقد كان من أهم أسباب تخلف مسيرتنا الثقافية العزلة الطويلة، والمفاهيم القبلية، وكان الحجاز رغم أوضاعه السياسية القلقة، والأمنية المضطربة، والاقتصادية المتردية في العهدين السابقين للعهد السعودي، أسبق مناطق الجزيرة العربية، في الأخذ بالوسائل المنشطة للحياة العقلية، لأنه شهد نوعا من الانفتاح بحكم وضعه الروحي الفريد، واهتمام المسلمين بكل ما يجري فيه، حيث نجده أول بلد عرف المكتبات والصحافة، وثاني بلد بعد اليمن تعرف على الطباعة.

بعد توحيد الأجزاء المتألفة منها الدولة السعودية المعاصرة، على يدي الملك عبدالعزيز، نشطت الحركة الفكرية، فتأسست الصحف، وتطورت وسائل الطبع، وفتحت البلاد أمام جميع التيارات الثقافية[1]، والآن سنتعرف على وسائل التثقيف المتوفرة أثناء فترة بحثنا متجنبين ـ ما أمكن ـ الخروج عن الفترة المحددة، إلا ما تتطلبه طبيعة البحث، وهذه الوسائل هي:

---

(١) انظر اللقاء الذي أجرته معنا مجلة «الوطن العربي»، العدد ٣٦٨، ٢ آذار (مارس) ١٩٨٤م، ص ٥٤.

١ ـ المكتبـــات :

عرفت المكتبات في بعض مناطق الدولة، في مفهومها القديم والجديد، فقد عرفتها على شكـل مستـودعات تحفظ فيها الكتب، وبصورتها المتطورة نسبيا، وعلى مختلف أنواعها: من عامة، وخاصة ومدرسية، وكانت المدن الحجازية تحفل بالمكتبات المليئة بأمهات الكتب، نوادر المخطوطات في شتى المعارف، ولكنها ـ للأسف الشديد ـ لم تؤد الغرض كاملا، لثلاثة أسباب رئيسية:

١ ـ إنعـدام الوعي بأهمية الكتاب، وكبر حجم الأمية، وقلة مردود المثقف المادي، وعـدم حفـزه على المـواصلة، بل إنـه كان ينـظر إلى الشغوف بالمطالعة، نظرة استهزاء، ـ وإن لم يكف عنها ـ انطوى معتزلا حياة مجتمعه، فيذهب دون أن يترك أثرا يساعد على الإنعاش الثقافي.

٢ ـ في الناس ضعفاء نفوس، لايأبهون بالشرف أو يهتمون بقيم أو يتعاملون بنظافة، فتأبى نفوسهم إلا أن يضعوا مصحلتهم الخاصة فوق كل اعتبار، فيبيعون والحالة هذه بأخس الأثمان ـ وإن غلت ـ ما لايقدر بثمن أو يعوض مدى الحياة، حيث يساعدون بمثل هذا المسلك، العاملين على تخلف أمتهم بسلبهم تراثها، وعصارة ثقافتها، من خلال بيع أنفس المخطوطات، وأندر المطبوعات، والتي كان لها تجار ماتت ضمائرهم، وانعدمت أمانتهم، والذين لم تسلم منهم مكتبات الحجاز، التي تعرض معظمها للنهب، وصارت تعج بها كبريات المدن الأوروبية مثل: مكتبة ليدن في هولندا، والمكتبة الملكية في برلين، ومكتبة جامعة برنستون، ومن ضمن هؤلاء التجار عديمي الذمة، المدعو «أمين حلواني»، الذي باع آلاف الكتب في مكتبات المدينة المنورة، أثناء رحلة له لأوروبا عام ١٨٨٣م، وفي معرض امستردام عام ١٩٠٤م[1].

---

(١) أسعد داغر، فهارس المخطوطات العربية في الخافقين ص ١٠١.

٣ ـ تعرض المدن الحجازية الدائم، للفتن والأحداث والحروب، عرض مكتباتها للدمار والنهب، وقد أضاعت هذه الأسباب، فضلا على أن هطول الأمطار الغزيرة أتى على كثير من المخطوطات النادرة، لاسيما في مكة المكرمة، التي جرفت السيول في الحرم الشريف، كثيرا من نوادر مخطوطات مكتبته المخصص لها، غرفة منخفضة فيه[1]

أ ـ المكتبات العامة:

عرفت المدينتان المقدستان المكتبات العامة منذ وقت مبكر، ولكننا سوف لانبتعد كثيرا، فنلتزم بالخطة المرسومة لبحثنا، ويكفي أن نذكر، أن هذه المكتبات أخذت تتزايد مع الزمن، وأن المدينة المنورة، كانت أوفر حظا من غيرها بهذا النوع من المكتبات في الكم والكيف، فبلغت المكتبات فيهاعند مطلع القرن العشرين ثماني عشرة مكتبة[2]، بل هناك من أوصل عددها إلى الثمانين بعد مضي خمس سنوات منه[3]، ولكن لايبدو أن هذا العدد معقول في مدينة لم يكن تعداد سكانها يحتمل هذه الكثرة، فضلا إلى أن ارتيادها لم يكن كثيفا، حيث كان الجهل متفشيا، والمدارس محدودة، والدولة العثمانية لم تكن حريصة على إرتقاء الفكر، وقد شجعت على تبديد كثير من المصادر الثقافية[4].

وبما أن المجال لايتسع لتعداد المكتبات، يكفي أن نذكر، أن «مكتبة عارف

---

(١) أحمد عبدالغفور عطار، قطرة من يراع، ص ٥٨.

(٢) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، جـ١، ص ٤٤٣.

(٣) حمد الجاسر، مكتبات المدينة، العرب، العدد العاشر من السنة الثانية، ربيع ثاني ١٣٨٨هـ/ تموز «يوليه» ١٩٦٨م، ص١٥.

(٤) عبدالرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز، ص ٥٤.

حكمت»، التي تأسست سنة ١٢٧٠هـ/ ١٧١٠م[١] ولازالت قائمة تحفل بنوادر المخطوطات، ونفائس المطبوعات في الكثير من المعارف والعلوم، وفي العديد من اللغات، حتى بلغت مقتنياتها من المخطوط قرابة خمسة آلاف، ومن المطبوع ثلاثة آلاف[٢]، وهي آية في تنظيمها وتنسيقها ونظافتها، وحسن فرشها المكون من أفخر أنواع السجاد[٣]، حتى غدت محط أنظار محبي العلم وأهله، فنالت الإعجاب، واستحوذت على الإهتمام[٤].

هذه المكتبات، أحست الدولة السعودية في بداية عهدها في الحجاز، بقيمتها وأهميتها، فعمدت إلى تجميع الكتب والمخطوطات الكثيرة، المبعثرة في مكتبتي الحرمين الشريفين، وجردت محتوياتها، ووضعت لها السجلات، وعينت الموظفين، الذين يقومون بأمرها.

بالإنتقال للمناطق الأخرى، فإنه يصعب علينا العثور على مكتبة عامة بمدلوليها القديم والحديث، اللهم إلا إذا اعتبرنا ما كان قد عمد إليه أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بعد انتشار دعوته في نجد، من جمع المؤلفات السلفية، بغرض التزود منها، ونسخ رسائل صاحب الدعوة بخط اليد، وما جرت عليه العادة عند موت أحد العلماء، من جمع كتبه، ليكون الإطلاع عليها متاحا لطلبة العلم، وأغلبها مخطوط يندر أن تجده مطبوعا[٥].

---

(١) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٥٤.

(٢) فيبيب دي طرزي، خزائن الكتب، العرب، العدد السابق، ص ٤٦.

(٣) البتنوني، المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٤) رفعت، كتابه السابق، جـ١، ص ٤٢٢.

(٥) حمد الجاسر، الرياض عبر أطوار التاريخ، ص ١٣٠.

إن هذه العادة، كانت تمهيدا لوجود مكتبات عامة في نجد، التي بدأت نواتها في دور الأمراء السعوديين، وأسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فاجتمع من ذلك عدد كبير من المؤلفات، مع ما أضيف إليها من علوم أخرى، جعلت بعضهم يفكر بتيسير الإطلاع عليها للراغبين.

ب ـ المكتبات الخاصة:

إذا ما ألقينا نظرة على هذا اللون من المكتبات، نرى أن أهل المدن الحجازية، وعلماء الدين في نجد، وفي البيوتات المشهورة بالعلم في الأجزاء الشرقية، قد أولعوا بجمع الكتب، واقتناء المخطوطات، وشاعت هذه العادة ـ خاصة ـ في الحجاز، وبلغت أعدادها من الكثرة، بحيث يستحيل حصرها[١]، ومن الجميل حقا أن بعض مؤسسي هذه المكتبات، خدموا العلم وطلابه، وأن تنافسهم كان على الكيف قبل الكم، وقد انتفعوا ونفعوا، ولم يبخلوا على من يريد الاطلاع بفتح مكتباتهم، وقد ساعدوا على تحقيق بغية العديد من الباحثين، حتى كسبت مكتباتهم سمعة عريضة، انعكست طيبة على سمعتهم.

لقد كان الناس يتنافسون في تكوين المكتبات، حتى صارت مظهرا من مظاهر التنافس، فأخذت الأسر تتسابق في جمع الكتب والمخطوطات، وتزيين وتنظيف غرفها[٢]، إن أخذا بذلك كموضة، أو حبا بالتباهي في اقتنائها أو رغبة في الإستفادة منها، وفي كل الحالات، تبقى عادة محمودة، لابد وأنها خلقت أثرا ثقافيا لابأس به.

---

(١) أبو بكر، كتابه السابق، ص ٥٥٥.

(٢) علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة، ص ٢٤٤.

جـ ـ المكتبات المدرسية :

حفلت خزائن بعض المدارس في الحجاز، بالعديد من أمهات الكتب العربية، مخطوطة ومطبوعة، وفي مقدمة هذه المدارس، مدرسة فلاح جده، التي كانت محتويات مكتبتها، عاملا من عوامل إنعاش الحياة الثقافية، نظرا لما قامت به من دور فعال من خلال فتح أبوابها للجميع، ولما تحويه من أنفس كتب الدين واللغة والأدب والتاريخ، فقدرت محتوياتها بخمسمائة مجلد[1]، ولكن مما يؤسف له أن المكتبة المدرسية تراجعت، ولم تعد فعالة كما كانت في السابق.

٢ ـ الطباعـة :

هي أول وسيلة تثقيفية عصرية أدخلت الحجاز، الذي يعتبر ثاني بلد عرفها بعد اليمن في الجزيرة العربية، الذي أنشأ العثمانيون فيه مطبعة عام ١٨٧٧م، ولكنها بدأت وكأنها بصيص من نور خافت، عجز عن تبديد دياجير الظلام الدامسة[2]، التي عاشها الحجازيون قرونا ثلاثة يئنون تحت وطأة الحكم العثماني، الذي عزلهم أثناءها عن كل ما يمت للحياة الثقافية بصلة إلا بقدر ضئيل[3]، لايتوافق مع ماضي الحجاز، الحافل بالمعطيات الثقافية الغنية، ومكانته الروحية المتميزة، وتطلعات أهله الطموحة.

وحتى لانتـوه عن موضـوعنـا الأسـاسي، في تتبـع حركـة الطباعة في العهدين السـابقـين، نراها في العهد السعودي قد تحسنت تحسنا ملحوظا، وبدأ الإهتمام بها كبـيرا، فأحضر عدد من الخبراء، وعقد المسؤولون عن المطبعة الحكومية «مطبعة أم

(١) عبدالقدوس الأنصاري، تاريخ مدينة جدة، ص ١٥٤.

(٢) أحمد محمد الضبيب، بواكير الطباعة والمطبوعات في بلاد الحرمين، عالم الكتب، العدد ١٣، محرم ١٤٠٠هـ/ نوفمبر ١٩٨٠م، ص ٢٩٢.

(٣) محمد عبدالرحمن الشامخ، الصحافة في الحجاز، ص ١٣.

القـرى»، اتفـاقـا لتعليم الحجـازيين فن الطباعة[1]، فتطورت، مما مكن عددا من الصحف من الصدور في انتظام[2]، وقد شجعت الحكومة السعودية المطابع الأهلية، حين أعفتها من الضرائب والرسوم والتأمين على الورق والآلات[3].

٣ ـ الصحافـة:

خلفت صحف العهد الهاشمي، رغم قصر مدتها، واستحواذ السياسة على كل اهتماماتها، مما قلل فرص إسهامها في ميادين أخرى، لكونها ظهرت في ظروف سياسية حسـاسـة، إلا أن ما كانت تنشره من مقالات سياسية، عقب ركاكة صحف العهد العثـماني، قد حملت سمات أدبية، تمثلت في الجـزالـة اللغوية، والأساليب المشرقة، ووضـوح الفكـرة[4]، مما جعلهـا تترك أثـرا على أسـاليب بعض النـاشئة من الأدباء الحجازيين، الذين أدركوا الفترة الهاشمية، وما سادها من قلق سياسي، فظهروا في العهد السعودي ظهورا أدبيا[5]، وكلهم اندفاع نحو النهوض ببلادهم من خلال الدعوة للتجـديد والإصـلاح[6]، ولعـل هذا الانـدفاع، أفرزته في العهد الهاشمي المزاحمة العـربية، في نفـوس الأدبـاء الشبان الحجازيين، الذين وجدوا في الكتابة، تعويضا للمرارة التي خلفها شعورهم بالتخلف مقارنة بأخوانهم من المثقفين العرب، الذين كان الملك حسين يعمل على كسب تأييدهم لفكرته، المستهدفة وحدة عربية برئاسته.

---

(١) بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) محمد عبدالرحمن الشامخ، ظهور الطباعة في بلاد الحرمين الشريفين، الدارة، العدد الرابع من السنة الرابعة، ١ من محرم ١٣٩٩هـ/ ديسمبر ١٩٧٨م، ص ١٥٦.

(٣) بكري شيخ أمين، كتابه السابق، ص ٩٦.

(٤) الشامخ، الصحافة في الحجاز، ص ١١٤.

(٥) محمد سرور الصبان، أدب الحجاز، ص ٧ ـ ٨.

(٦) محمد حسن عواد، خواطر مصرحة، ص ٤.

لقد ظهرت في منتصف فترة بحثنا تقريبا أول صحيفة سعودية في التاريخ، وفي العام الذي سنتوقف عنده صدرت أول صحيفة أهلية في العهد السعودي، كانتا بمثابة بلورة لبذور نهضة صحفية، وهاتان الصحيفتان ـ وإن لم تبلغا فنيا وتحريريا، ما بلغته كثير من الصحف العربية، نظرا لقلة الخبرة، وضعف الامكانات، وعدم فهم الكثيرين للدور الذي تلعبه الصحافة ـ فقد خلفتا أثرا ثقافيا ملموسا على المجتمع، والصحيفتان هما: أم القرى، وصوت الحجاز:

(١) أم القرى:

صدر أول أعدادها في مكة المكرمة، في **١٥** جمادى الأولى **١٣٤٣هـ/١٢** ابريل **١٩٢٤م**، ومنذ صدورها حتى اليوم هي صحيفة الدولة الرسمية، ثابتة على الصدور أسبوعيا، وقد توالى على رئاسة تحريرها عدة أشخاص، كان أولهم يوسف ياسين[١]، وتلاه «رشدي ملحس»[٢]، تبعه العديد من رؤساء التحرير السعوديين، الذين لم يضعوا أسماءهم كمسؤولين عن تحريرها، مما أوجد «حلقة مفقودة في تاريخ من تولى تحرير الجريدة، والمدة التي تولاها محرروها على وجه الدقة»[٣].

مرت أم القرى بعدة مراحل، من حيث مضمونها وشكلها، ففي سنواتها الأولى كانت صبغتها الرسمية واضحة، ولكنها في منتصف الأربعينات، بعد أن تولى رئاسة

---

(١) انظر: نبذة عن حياته، ص ١٥١.

(٢) فلسطيني الأصل، كان في موطنه صحفيا وكاتبا، قدم للحجاز بغية الخدمة عند الملك عبدالعزيز، ولكنه لم يلبث حتى تخلى عن رئاسة تحرير أم القرى، ليصبح أحد كبار موظفي الديوان الملكي (لمزيد عن حياته، انظر: عمر نورالدين كحالة، معجم المؤلفين، «ملحق الجزء الثالث عشر»، ص ٣٨٧).

(٣) عثمان حافظ، الصحافة في المملكة العربية السعودية، ص ١١٤.

تحريرها «محمد سعيد عبدالمقصود خوجه»[1]، بدت وكأنها غير رسمية، بعدما أنصب أكبر قدر من اهتمامها على النواحي الفكرية، وقد عادت للإهتمام بالسياسة، بقدر أقل مما كانت عليه في سنواتها الأولى، بعد تخلي عبدالمقصود عن مسؤولية التحرير، إلى أن تحولت منذ عام ١٩٤٥م، إلى مجرد نشرة رسمية، لاتحوي سوى الاعلانات، والأخبار الإدارية، والبلاغات الرسمية[2].

أما من حيث الشكل، فقد صدرت أولا بأربع صفحات، وتضاعفت هذه الصفحات عام ١٩٣٦م، وفي أول أيام الحرب الثانية، تقلص عدد صفحاتها إلى أربع، وبعد الحرب وصل عدد الصفحات إلى عشر[3].

هذا، وانفردت أم القرى بفترتين مهمتين هما: انفرادها بالصدور الأول طوال الأعوام الممتدة من ١٩٢٤ ـ ١٩٣٢م، وهو العام الذي صدرت فيه الصحيفة التي تلتها، وأثناء سنوات الحرب الثانية، وانفرادها بهاتين الفترتين، جعلها مصدر الأخبار الوحيد[4].

(٢) صوت الحجاز:

صدرت في ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ/ ٤ ابريل ١٩٣٢م، في مكة، وكانت أسبوعية حتى ٥ ذي الحجة ١٣٥٧هـ/٥ يناير ١٩٣٩م، فصارت تصدر مرتين في

---

(١) ولد في مكة، وتوفي بالطائف، تولى في حياته إدارة مطبعة الحكومة، ورئاسة تحرير أم القرى، وألف بمشاركة عبدالله بلخير كتاب «من وحي الصحراء»، «المنهل»، العدد الخاص بالأدباء، رجب ١٣٨٦هـ/ نوفمبر ١٩٦٦م، ص ٩٥٤.

(٢) منصور إبراهيم الحازمي، معجم المصادر الصحفية، ص ١٩ ـ ٢٠.

(٣) نفس المرجع، ص ١٩.

(٤) نفسه، ص ٢٠.

الأسبوع[١]، وكان امتيازها «لمحمد صالح نصيف»[٢]، وأول رئيس تحرير لها «عبدالوهاب آشي»[٣]، ومنذ إنشائها تميزت بطابعها الأدبي، حتى صارت بحق منبرا بث عليه الأدباء والمثقفون السعوديون ما خطر على بالهم[٤]، «وكانت مسرحا لآلامهم وآمالهم، ومعرضا لشعرهم ونثرهم»[٥]، فساعدت بهذا على رواج الحركة الأدبية، والموضوعات الثقافية[٦].

٤ ـ التأليف:

في الفترة التي نبحثها، نجد مجال التأليف ضيقا، وقد مر بمرحلتين: مرحلة ما قبل التوحيد، ومرحلة ما بعد التوحيد، وفي كلتا المرحلتين، كان محدودا، يدور حول موضوعات كالتاريخ، ووصف المواضع، وبعض الأجناس الأدبية، وإذا استثنينا بعض المؤلفات الدينية كمؤلفات محمد بن عبدالوهاب، نرى معظم المصنفات ينقصها العمق، وأن الأعمال الأدبية الابداعية، لم تبلغ الحد الذي بلغته في كثير من الأقطار العربية، ومجال التأليف في المرحلة الأولى كان أضيق، وأكثر ما نشر كان بأمر سلطان نجد، ولم يكن هناك من يستطيع أن يقوم بطبع ما يصنفه ما لم يحصل على تسهيلات السلطان، وكان كما كبيرا من المؤلفات قد أمر بطبعها لعلماء متوفين أمثال: ابن عبدالوهاب، وأبنائه، وابن غنام وابن بشر، وبعض المعاصرين له كابن سحمان، وكان

---

(١) عبدالله عبدالجبار، التيارات الأدبية، ص ١٦٠.

(٢) أحد أعيان مدينة جدة، وكان رئيسا لبلديتها في العهد الهاشمي، ومن مؤسسي البنك الهاشمي، وسبق له أن أصدر جريدة «بريد الحجاز»، أثناء حصار جدة.

(٣) ولد في مكة، ودرس بها، وقد تقلد عدة وظائف، وهو كاتب وشاعر، مات من فترة قصيرة.

(٤) محمد عبدالرحمن الشامخ، الصحافة في الحجاز، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٥) عبدالله عبدالجبار، كتابه السابق، ص ١٦٢.

(٦) نفس المرجع، ص ١٦٠.

معظم هذه المخطوطات قد طبع في الهند، ويبدو أن الطباعة فيها عرضتها للتصحيف، مما استوجب اعادة طباعتها في مصر، ومن المطابع التي كان لها دور كبير في إبراز كتب «المذهب الحنبلي»، «مطبعة المنار» التي كان يمتلكها السيد/ محمد رشيد رضا[١].

أما المرحلة الثانية، فإن حركة النشر فيها قد نشطت أكثر، حتى لقد طبعت كتب في السياسة، وبعض ألوان الأدب، ولعل الأحداث التي شهدتها الجزيرة العربية، أشعرت عبدالعزيز بضرورة انتهاج سياسة عملية، لاتتأتى من غير الاستعانة بالخبرة، وقد فعل متخذا منهجا قدَّرته المصلحة العليا، فدعاه تفكيره، إلى إيضاح مقصده، وتوضيح موقفه، وتبرئة ساحته، فأمر بوضع «الكتاب الأخضر النجدي»، الذي لم يوضع عليه تاريخ صدوره أو مكان طبعه، سوى أنه طبع حوالي نهاية أبريل **١٩٢٤**م، وأوائل **١٣٤٣**هـ، أو بعد ذلك بقليل[٢]، وحافظ وهبه[٣]، لم يقل عنه أكثر من أن نجد وضعت «لأول مرة الكتاب الأخضر النجدي وشرحت فيه المسائل المختلف عليها».

ومما سلف، نستطيع القول وإن طبع قبل ضم الحجاز فإنه لم يوزع إلا بعد ضمه، هذا ما يشير إليه الزركلي[٤]، المعاصر لهذه الأحداث بقوله: «واحب أن أشير إلى كتيب صدر في مكة باسم الكتاب الأخضر النجدي «مؤتمر الكويت»، مما يجعلنا نعتبر ما حواه عن هذا المؤتمر، لم ينشر إلا بعد التوحيد، وكانت الفكرة فيها يبدو تبيين الموقف النجدي.

---

(١) أحمد محمد الضبيب، حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة، مجلة الدارة، العدد الأول من السنة الأولى، ربيع الأول ١٣٩٥هـ/ مارس ١٩٧٥م، ص ٤٨-٤٩.

(٢) الزركلي، شبه الجزيرة، جـ١، ص ٢٩٥.

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٦٧.

(٤) شبه الجزيرة، جـ١، ص ١٩٥.

بالنسبة للموضوعات الأخرى، والتي سنقتصر فيها على ذكر المؤلفات المطبوعة، مكتفين بذكر المؤلف وكتابه، والموضوع الذي يتناوله، وسنة ومكان الطبع - إن تيسرا - دون الإشارة إلى رأينا بها كتبه، وقد لايتأتى لنا أيضا حصر كل ما طبع خلال الفترة التي تعنينا، والتي نستطيع أن نقول: بأن التأليف خلالها يدور حول بعض المسائل الدينية والقضايا الإسلامية، وبعض الآراء في الأدب والنقد، والخواطر والتأملات، وكانت في مجملها تتسم بالعمومية.

في الدين نجد سليمان بن سحمان[١] قد وضع كتابا اسمه «كشف غياهب الظلام»، و«الضياء الشارق»[٢]، ومع أنه لم يوضح عليهما تاريخ أو مكان الطبع، فالمؤكد أن المؤلف عاصر عبدالعزيز، وقد نشرت جميع مؤلفاته في حياته.

وفي الأدب، كان محمد سرور صبان[٣]، أول من جمع لأدباء سعوديين في كتاب «أدب الحجاز أو صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية، شعرا ونثرا»، وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، وبعده ببضعة أشهر قام «محمد حسن عواد»[٤] بوضع كتاب سماه «خواطر مصرحة»، تمت طباعته في القاهرة[٥].

---

(١) ولد في إحدى قرى عسير عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٠م، وانتقل مع والده للرياض وهو صغير، فشب وترعرع بها، وهو من علماء الدين المشهود لهم بالورع والتقوى، وشاعر وناثر مكثر، وله عدة مؤلفات، وديوان شعر مطبوع، وقد وافته منيته عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، انظر: أم القرى، العدد ٣٢٥، في ٢٩ صفر ١٣٤٩هـ، ص٢.

(٢) يحيى ساعاتي وعبدالله القحطاني، مؤلفات ومراجع من المملكة العربية السعودية، ص ١١٠-١١١.

(٣) أديب رائد ولد في القنفذة، وتقلد عدة مناصب منها وزارة المالية، والأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي، مات قبل بضع سنوات.

(٤) ولد في جدة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، ودرس فيها، وقد شغف بالأدب في سن مبكرة، وله عدة أعمال نثرية وشعرية، وصاحب أولويات، معروف بجرأته، وحماسه للتجديد.

(٥) شكري العناني، المملكة العربية السعودية: دراسة ببليوجرافية، ص ٢٨.

٥ ـ المنتديات الأدبية :

كانت إلى جانب هذه الوسائل، وإن لم تكن متصفة ببعض الشمولية، فإنها من العوامل المساعدة على تنشيط الحياة الثقافية، ونمو القدرات الفكرية، ولكن مشكلة هذه المنتديات قلة المستفيدين منها لمحدوديتها، وقد تكون مقصورة على فئة فلا يكون تأثيرها قويا، ولعله من حسن حظ المجتمع الحجازي، أن كثيرا من نشاطات هذه المنتديات، كان ينشر في الصحف، وتدور حوله المناقشات، وفي مواسم الحج كانت تنتهز فرص وجود بعض الوجوه الإسلامية اللامعة ثقافيا، فتوجه لهم الدعوات.

جـ ـ الأدب :

تأثرت الحركة الأدبية، في الدولة السعودية المعاصرة، في صورتيها النثرية والشعرية، بعوامل داخلية كالبيئة القاسية، والمحافظة الشديدة، وخارجية كالأخذ والاقتباس، اللذين تختلف درجة تقبلهما من منطقة لأخرى، والملاحظ في النشاط الأدبي في غضون فترتنا[١]، أنه كان مطبوعا بالطابع الديني[٢]، وهذا أمر لابد منه في كل بلد إسلامي، فما بالك في بلد شع منها نور النبوة، وتضم أطهر بقعتين إسلاميتين، وشهدت حركة دينية إصلاحية رائدة[٣].

هذا وكان معظم أدباء هذه الفترة يجمعون بين النظم والنثر، وقد لعب العامل الجغرافي دورا في تأثرهم، بحكم الجوار، فنجد والاحساء في باديء الأمر، تأثر أدباؤهما

---

(١) انظر دراستنا «ملامح من الأدب في وسط الجزيرة قبل توحيد البلاد»، نشرت في العدد الأول، في الملحق الصادر في مناسبة جائزة الدولة التقديرية، الذي أصدرته مجلة الجيل، في يوم السبت ٢٣ من محرم ١٤٠٤هـ/ ٢٩ أكتوبر ١٩٨٣م، ص ٤.

(٢) عبدالله المبارك، أدب النثر المعاصر في شرقي الجزيرة العربية، ص ٩١ ـ ٩٢.

(٣) الدراسة السابقة.

بالأدباء العراقيين، غير أن ذلك لم يحل بينهم وبين التطلع إلى مجالات أرحب ـ وإن لم يكن بالقـدر الكـافي ـ فقـد حاولـوا الاطلاع على أعمال أدبية أنضج في مصر وبلاد الشام[1]، والتي سبقهم للأخذ بها الأدباء الحجازيون، نظرا لما يتمتع به الحجاز من مناخات فكرية أفضل وإن لم تكن شاملة. فقد كانت ملامحها بارزة، بفضل مكانته الـروحية، وعـدم انقطاعه عن العالم الخارجي، وقد كان للأجناس المتعددة المترددة عليه، والجاليات الاسلامية الكبيرة المقيمة فيه، حتى صار مجمعا لخليط من الحضارات والعادات والتقاليد، إلى جانب صفته الأصلية، المتمثلة في البداوة المتقشفة، اجتمعت مع الحضارة المترفة[2]، حفظت أصالته، وخلقت فيه نوعا من الانفتاح على قدر يسير من الحياة الحديثة.

وطوال فترة بحثنا، لم يظهر أدب يناسب سمعة الدولة سياسيا وعسكريا، حيث نجد الأدباء تأثروا بمفاهيم لم يهضموها، فغاب عنهم التأثر المبقي على الأصالة، لأنهم لم يبلغـوا مرحلة النضـج والاستيعـاب، فيأخـذون مبـاشرة من غير واسطة ما يتفق وأوضاعهم من ثمرات الفكر العالمي، الأمر الذي جعل عطاءهم دون عطاء زملائهم في العـديد من الأقطار العربية، ولعل تأخر تعرفهم على الفكر الحديث، وظروفهم الحياتية المـاضية، وعامل الخوف في عصور الفوضى والحروب والانعزال، هز ثقتهم بأنفسهم، فلم تظهر فعالياتهم في حياة مجتمعهم، إلا بقدر محدود، فران جمود أبعدهم عن التحرر، وخلق قلقا نفسيا، واضطرابا فكريا، وخشية حيال كل مستحدث من ألوان الأدب، فتوارى الإبداع الإيجابي، ولم تشهد الساحة أعمالا أدبية، تتوافر فيها عناصر رواجها خارج الحدود.

١ ـ النثـــر:

من المسلم به، أن الشعر أكثر وقعا في النفوس من النثر، في كل مكان وزمان،

---

(١) المبارك، كتابه السابق، ص ٢٥.

(٢) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ١٩٢.

لأنه الترجمان الصادق لخلجاتها، وخفقات القلوب، وهو في المجتمعات البسيطة أكثر تأثيرا، لاثارته النخوة فيها، وتحريكه إحساساتها، فطلبته وأقبلت عليه لتهذيب وتغذية وجدانها[1]، بل قد لايمكننا الحكم على فكر هذه المجتمعات، إلا من خلال إبداعاتها الشعرية، ومع أن المجتمع السعودي في الفترة التي نبحثها، لم يبلغ التعقيد فيه حدا كبيرا، حتى تزدهر الفنون النثرية، فإنه لم يعدم المحاولات في معالجة بعض القضايا بروح لاتخلو في بعض الأحيان من العلمية، سيما في المسائل الدينية، والتي خلت تماما منها الأعمال الأدبية، فهي فضلا على قلتها، مفتقرة للعمق، وروح البحث والجدية وإن لاحظنا فيها الدعوة للتجديد فإنها لم تضع صياغة مقنعة، حتى يظهر مردودها إيجابيا خالصا من السلبيات، ولعله من حسن حظ الأدب السعودي، أن حفظ معظم الأدباء السعوديين للقرآن الكريم، وولع بعضهم بقديم الشعر، وتأثر مجموعة منهم بحركة الإحياء العربية العامة[2]، وقرب العامية النجدية من العربية الفصيحة، لعل هذه العوامل ساعدتهم، فلم يتوغلوا كثيرا في المحسنات البديعية، وإلا لذابت شخصية الأدب السعودي.

وإنه من اللافت للنظر، أن الحكم السعودي، نجح من أول يوم له في الحجاز، فأثبت قدرته الإدارية، وفرض هيبته، فأجهز على الفوضى، والفساد المروع بسبب تفشي الرشوة، وأقام أمنا لم يكن للحجازيين عهد به من قبل، وأدخل تحسينات على الخدمات العامة والتعليم، فتهيأت بظل الاستقرار، والشعور بالطمأنينة، الأجواء لظهور نشاط أدبي. وإن لم يكن في مجمله دقيقا فإنه كان بمثابة بدايات لإرهاصات ثقافية جادة، نفذها الأدباء السعوديون بمشاركة أخوة عرب، فغدا أغلب الناشئة في العقود الماضية، روادا بحكم تقدمهم بالسن، ونضج تفكيرهم، بعدما استفادوا من

---

(١) عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، ص ٢٢٩.

(٢) فؤاد حمزه، قلب جزيرة العرب، ص ١٠٧.

التجارب، فبعثوا بشكل مباشر وغير مباشر، حركة علمية، أنعشت الحياة الثقافية، ومهدت السبيل لظهور فئة، تأهلت بالاختصاص، في فترات لاحقة، فكان نتاجهم، مجالا رحبا لموضوعات، استحقت دراسات، أسهمت لحد بعيد، في تطوير مفهوم المواطن.

وعموما كان الأدباء في هذه الفترة، يتناولون موضوعات اجتماعية وسياسية، وبعض التأملات والخواطر، وقد سيطرت عليهم فكرة الإصلاح الاجتماعي والتعليمي، ولكن التصدي لمثل هذه الموضوعات، جاء متسما ببساطة التفكير، وسذاجة المعالجة، ونبل المشاعر[1]، فلم يستطع الكتاب إظهارها بوضوح، فضاعت في ضبابية حجبت المرامي، والإيضاحات اللازمة للواقع الاجتماعي، وغلب عليهم التقليد الأعمى، من غير دراية تؤهلهم لملامسة الأوضاع، ملامسة تمكنهم من النفاذ إلى سبر أغوار مجتمعهم، حتى يشخصوا أمراضه.

كما وجد أدب سياسي، بعثته حاجة البلاد في أن تكون جزءا حيويا من العالم، حيث نجد أن هذا الأدب، اعتمد ثلاث دعائم هي: الدين، والقومية، ومصالح الدولة المختلفة، وانطلق في اتجاهات أربعة: وطني، وعربي، وإسلامي، وعالمي[2]، ولايخفى أن الاتجاه الوطني، يعني حب الوطن، والتغني بجماله، وإبراز بطولاته، وتمجيد أرضه، والاستعداد للدفاع عنه، وبذل الغالي في سبيل رفعته وتقدمه، والاتجاه القومي، مصدره أصالة العروبة السعودية، ونتائج حركة الملك حسين، وشعور الحكام السعوديين، بضرورة التأكيد على عروبة دولتهم، والاتجاه الاسلامي في الأدب السياسي له جانبان: وجود الأراضي الاسلامية المقدسة في الحجاز، والنزعة الدينية

---

(١) محمد عبدالرحمن الشامخ، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية، ص ٩٩.

(٢) بكري شيخ أمين، كتابه السابق، ص ٣٢٤.

النجدية، والاتجاه العالمي، حتمته ظروف الحياة المعاصرة من مصالح مشتركة، واتصال سريع ربط العالم بعضه ببعض.

هذا، ولانود أن يفوتنا، أن تنقلات الملك عبدالعزيز، أسهمت إلى حد كبير، في إنعاش الحياة الأدبية، وكان لبعض مستشاريه من الأخوة العرب، الذين قدموا للبلد، وانخرطوا في خدمته، دور في نقل صورة صادقة، ومعبرة عن حياة الناس في الجزيرة العربية عموما، والدولة السعودية المعاصرة على وجه الخصوص، فعلاوة على تسجيلهم انطباعاتهم عن مشاهداتهم، فقد بينوا كثيرا من العادات، وأسماء المواضع، وما ورد بشأنها من الأشعار القديمة، وقاسوا المسافات بين القرى، والمناطق، والبلدان.

٢ ـ الشعر:

في المناطق الداخلية، انحسر المد الثقافي في أضيق نطاق، فجاءت أشعار معظم شعرائها تقليدية لم تتأثر بمحاولات التجديد والابتكار، فانكبوا على القديم المتوارث، وقد وقع عدد منهم بسلبية عصور الانحطاط، لأنه لم تتح لهم فرصة كافية للاطلاع على الألوان الأدبية، ولكنهم رغم ذلك ظهر منهم نفر أمتازوا بالذكاء، فأخذوا ينقبون عن دفائن التراث، فوجوده رفيع الشأن، وقد ساعدهم على فهمه بقية من فصاحة، ذلك لأن حياتهم لم تتغير كثيرا عما كانت عليه قديما، فتميز النجديون والحالة هذه بالفصاحة في أحاديثهم، والقدرة على التعبير اللتين لم تأتيا اعتباطا[١].

هذا ولعل الحجاز، كان أحسن حالا من الناحية الثقافية، لأسباب سلف ذكرها، وبقي منها صلته المستمرة بمصر، وقيام الهيئات والدول الإسلامية بتأسيس المشروعات فيه، ووقف الأوقاف لفقرائه، وما أسهمت به نهضة الحسين في توعية، وانفتاح

---

(١) طه حسين، ألوان، ص ١٤٠ ـ ١٤٢.

الحجـازيين على إخـوانهم العرب، وكان الشعر قبل التوحيد، ملتزما بأشكاله الفنية القائمة على العمودية، متأسيا في ذلك قديم الشعر العربي، ومدارس إحيائه فبلغ درجة لابأس بها، ولكنه بالنسبة للمحتوى، لم يدرك المعاني الجديدة في الشعر العربي، إلا بعد قيام الكيان الكبير، حيث نلاحظ نشاطا أدبيا، كان للشعر فيه حظ وفير، بعدما تحرك الشعـراء إثر زوال المنافسة العربية، بحيث لم يتيسر لهم ما تيسر لأخوانهم من مثقفي الأمة العربية، الذين وفدوا إلى الحجاز، إثر إطلاق الملك حسين دعوة وحدة الأقطار العربية بزعامته، والتي لاقت تجاوبا من التائقين للحرية، وتجميع العرب بظل راية موحـدة يتحقق من خلالها عز وتقدم أمتهم، فاتجهوا متطلعين للحجاز، ولكن آمالهم لم تلبث حتى خابت، عندما توضحت حقيقة المرامي والمطامع.

إن تخلي الحكم السعودي عن خطة حسين، وتركيزه على ضبط المناطق التي بين يديه، بعـدما وضحت حقيقة البريطانيين، وثبت فشل سياسة الملك حسين، مهدا سبيل ظهور مثقفي الشباب الحجازي، من خلال الصحافة المحلية، فدب النشاط فيهم، وانبعث الحماس، فقامت حركة أدبية نشطة، تحددت معالمها، في حب التزود بالآداب العربية والعالمية، من خلال الاطلاع على الترجمات، والاتصال المستمر بكبار الأدباء العرب، ـ خاصة ـ في مصر.

هذه السياسة، أفرزت أدبا محليا، من خلال محاولات إثبات الشخصية الأدبية، فظهرت القصائد في كل غرض ولون، وقد تبلورت معالم إبداعهم الشعري في ثلاثة اتجاهات هي: الاتجاه التقليدي، ويمثله الشعراء الاحيائيون، الذين لم يخرجوا عن دائرة ما كان عليه الشعر أيام ازدهاره[1]، ولكن عيب هذا الاتجاه أن قصائد شعرائه،

---

(١) محمد بن سعد بن جسين، الشعر السعودي بين التجديد والتقليد، ص ١٢ ـ ١٣.

جاءت محاكاة للقدماء، فخلت مضامينها من الأفكار الجديدة، بسبب استغراقهم في تقليدية، أضاعت المعاني التي لاتظهر إلا في القليل النادر[1].

هذا وأبـرز من يمثـل مدرسة الاحياء: محمد بن عبدالله بن عثيمين[2]، وأحمد إبراهيم الغزاوي[3]، وكان من فضلهما تخليص الشعر في الدولة السعودية المعاصرة، من آثار عصور الانحطاط، وإعادة الروح الشعرية العربية، ولكنهما ـ ولعلهما . . . معذوران ـ لم يشعرا بشكل كاف بما طرأ، لأنهما وجدا في إشراقات القديم، ما أفرحهما، فشغفا به، تاركين لمن يتلوهما الخطوة اللاحقة.

وبالفعل تحقق في الاتجاه الثاني، التجديد في المضامين، حينما التمس أصحابه مفاهيم وأفكار الحداثة مع الإبقاء على الأصالة، مدركين أن النهج التقليدي الخالص من كل تأثير لايمكن أن تتحقق معه نهضة، فزهدوا في الغريب، فارتفعت شاعريتهم من خلال احساسهم بالعصرية، وملكـاتهم واستعـدادتهم الذاتية، وانكبابهم على

---

(١) عبدالرحيم أبو بكر، الشعر الحجازي المعاصر بين التقليد والمحافظة، مجلة الدارة، العدد الأول من السنة الثانية، ربيع الأول ١٣٩٦هـ/ مارس ١٩٧٦م، ص ٤٦.

(٢) ولد ١٢٧٠هـ، ومات ١٣٦٢هـ، في بلدة «السلمية» من أعمال الخرج، ولكنه نشأ في بلدة «حوطة بني تميم» عند أخواله، وقد درس في كتاب القرية، وعلى بعض أعلام عصره من النجديين، وانكب على المطالعة، وعندما شب تنقل بين بلدان الخليج العربية، حتى قويت صلته ببعض حكامها، ويبدو تأثره في أهل الخليج واضحا في زيه. «انظر ترجمة حياته في ديوانه المسمى (العقد الثمين)، ص ١١٩».

(٣) ولد في مكة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ومات فيها عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، وتلقى العلم في المدارس الأهلية وكان يواظب على حلقـات الدرس في المسجد الحرام، فأتقن اللغة العربية وعلومها، وألم إلماما جيدا بالعلوم الشرعية «انظر: محمد سعيد عبدالمقصود، وعبدالله بلخير، من وحي الصحراء، ص ٣٥».

مطالعة التراث الشعري العربي[1]، وأبرز من يمثل هذا الاتجاه حمزة شحاتة[2]، وحسين سرحان[3].

أما الاتجاه الثالث، فقد ناله التجديد شكلا ومضمونا، وقد دعا أصحابه إلى تغيير بناء القصيدة العربية، وكان في مقدمتهم محمد حسن عواد، ويقال إنه سبق نازك الملائكة في قوله الشعر الحر، وعن هذا الاتجاه ظهرت حركة نقدية، فتلاقحت الأفكار، وتبودلت الآراء، واختلفت المشارب والأهواء، ووضحت صورة النزعة العصرية، وحقيقة الأوضاع الفكرية.

هذا ـ وإن تأثر بعض الأدباء بالمهجريين سواء من هم في الرابطة القلمية في أمريكا الشمالية، أو في العصبة الأندلسية في الجنوبية، أو بجزالة كتاب القبلة ـ فالمؤكد أن التأثير الأقوى كان للثقافة المصرية، التي التهمها الشباب، الذي لم يكتف بعضهم بالإعجاب بكبار مفكري مصر، فذهبوا إلى أبعد من ذلك، فتعصبوا لهم في أساليب تفكيرهم واتجاهاتهم[4]، لأنهم لم يخرجوا على التراث خروجا صارخا، يتنافى مع مقومات النهضة، التي تتطلب التوفيق الذي أدركه عمالقة الثقافة المصرية الحديثة، فأخذوا من الجديد من غير إسراف يفسد التطلعات الطموحة، أو يتعارض وروح الحياة الشرقية

---

(١) أبو بكر، الدارة، العدد السابق، ص ١٧٤.

(٢) ولد في مكة ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٧م، ومات في جدة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ونشأته في جدة وفي مدارسها درس، وفي شبابه عمل في الهند، وعند عودته التحق في وظائف الدولة، وقد استقال ليعمل في الأعمال الحرة. (انظر: المنهل: العدد الخاص بالأدباء، ص ٧٥٤).

(٣) ولد في مكة ودرس في الفلاح، ولكنه لم يتم تعليمه، فالتحق بالوظائف الحكومية، وعلاوة على أنه يعتبر في طليعة شعراء الجزيرة العربية، وألمع شاعر سعودي من الأحياء، فإنه ناثر بارع، يتناول موضوعاته من شرائح الحياة.

(٤) عبدالمقصود وبلخير، كتابها السابق، ص ١٠٢ ـ ٢٠٣.

الأصيلة، فكـانت عامـلا رئيسـا، من عوامـل الارتفـاع في مستوى الثقافة العربية المعاصرة، في شتى الأقطار العربية.

ثانيا: الحركة العلمية:

إن الباحث في تاريخ الجزيرة العربية الحديث، لايسعه تجاهل حركة عقلية قامت فيها، فكانت دلالة على قدرة العطاء العلمي من خلال ما بعثته من نشاط فكري نهض بالعقول، وحرك المشاعر، وهذه الحركة هي حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، التي شددت على ضرورة فهم العقيدة فهما صحيحا، وهذا لايتأتى إلا بالتحصيل العلمي، وأن المؤمن العـالم خير من المؤمن الجاهل، فأقبل الناس على تعلم القراءة والكتابة، ودراسة دقائق الدين، وقام العلماء رغبة في تعميم النفع، ونظرا لما دار حولها من حوار ومناقشات، وثار من جدل، بوضع المؤلفات، التي شاعت شيوعا جعلت حتى الأميين يتتبعون ما يقال فيها سلبا أو إيجابا، من خلال حلقات الوعظ في المساجد، والندوات الدينية في مجالس الأمراء والأعيان.

إنها حركـة علمية قامت على العقل، وبعثت حماسا في النفوس، وخلقت وعيا للعقيدة، واستيعـابا لأحوال المسلمين، وخلفت أثرا ثقافيا وروحيا، واتخذت مسارا رائـدا، فصـارت محركـا لكـل اليقظات الاسلامية، والانتفاضات العربية، وقاعدة ونهجـا، ولو لم يتردد القائمون بها في الأخذ ببعض المستحدثات، مما لايتعارض مع الدين والقيم، لتوسعت دائرتها أكثر فأكثر، ولغدت صورتها متكاملة.

هذا، وبتتبع ما كانت عليه أساليب العلاج، وأنواع الطب المستعملة في المناطق، المتـألفة منها الدولة السعودية المعاصرة، نجدها عموما معتمدة على الطب التقليدي بمختلف أنواعه، كتجبير كسور العظام، وكان ـ ولايزال ـ ناجحا، وقد اشتهر العديد من الأطبـاء فيه، وعيبه الألم الذي يسببه أثناء العملية، لأنها تجرى من غير تخدير، وهناك الكي المفيد لبعض الأمراض، وبعض الأطباء على الطريقة العربية لهم دراية

ببعض الأمراض الباطنية، وقد اضطرت الحاجة للحيوان إلى ممارسة نوع من الطب البيطري[1].

وعموما، فالطب العربي، كان قائما على ما فهمه البعض من قانون ابن سينا، وتـذكـرة داوود، ومستحضراتـه مأخوذة من مختلف الأعشاب والنباتات، التي يجري مزجهـا وتـركيبها، ولبعض الأدوية المحضرة منها مفعولها الإيجابي[2]، مما يعني أن له حسنات كثيرة، غير أنه بقي ناقصا، بسبب عدم تطويره، والقيام في محاولات للنهوض به، فظل على وضعه من غير أن يمسه التغيير، فلم ينله التحديث، حتى يستفاد منه، فبقيت جدواه محدودة.

ظل الـطب العربي، متبعا فترة طويلة حتى بعد دخول الطب الحديث الجزيرة العربية، وظهور فعالياته، ذلك لأن الناس ـ إذ ذاك ـ كانوا يشكون بالأغراض الحقيقية للبعثات الأجنبية، وهي أغراض تبشيرية أباها المسلمون، فاعتقدوا أنهم أتوا بدافع العداوة الدينية ليثأروا منهم، ومعنى ذلك أنهم سوف لا يخلصون في المعالجة، فشاعت بين العامة إشاعات، جعلت معظمهم يتجنب الأخذ بتوصيات الأطباء الأجانب من غير المسلمين[3].

وكانت من نتائج عدم الإيمان بجدوى الطب الحديث، وندرة وجوده، والتخوف من مقاصد القائمين عليه، والإهمال في بعض الأوساط، فضلا على العوامل الطبيعية في بعض المناطق، إنتشار الأوبئة، التي راح ضحيتها عشرات الآلاف، والأمراض التي

---

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) نفس المرجع، ص ١٢١.

(٣) نفسه، ص ١١٩.

فتكت بالكثيرين، كان يمكن بالطب الحديث شفاؤهم، ووفيات كثيرة حتى لم يسلم بيت واحد من حالة وفاة، والذي تكتب له النجاة، غالبا ما يصاب بعاهة كالعمى، والتشويه بعد الشفاء من الجدري[1].

إنه - وإن عرفت بعض بلدان الجزيرة العربية الطب الحديث في فترة مبكرة من هذا القرن الميلادي - فالمؤكد أن سلطنة نجد لم تعرفه إلا في ثلثه الأول، اللهم إلا إذا اعتبرنا من أتوا في مهمات خاصة بداية لدخوله، ولكننا لاننسى أن عبدالعزيز، كان قد آمن بأهمية وجدوى الطب الحديث منذ عام **١٩٢٣**م، عندما عين طبيبا خاصا له، الأمر الذي دعاه عند إتمام الوحدة، إلى تنظيم الشؤون الصحية، وجلب الأطباء المختصين.

ومن العلوم الموروثة، التي مهر بها العرب، حذق النجديون «القيافة»، بنوعيها: المتعلق في هيئة الإنسان، وشكل أعضائه، أو تتبع الأثر، والاهتداء عليه من أقدامه[2]، والشواهد كثيرة، حيث أثبت أغلب أهل نجد، تفوقا في معرفة أنساب الأشخاص بمجرد النظر إلى الوجه والقوام، وفي تتبع الأثر امتازوا بفراسة لايدانيهم فيها شعب أو أمة، وتوجد قبيلة بلغت مهارتها في معرفة آثار الأقدام، درجة ظن معها الكثيرون أنها تستقي معلوماتها من الجن، لأن أفرادها، نساء ورجالا وأطفالا، يستطيعون التمييز بين البكر والثيب، والشاب والشيخ، والمريض والصحيح، والمبصر والكفيف، والطويل والقصير، والقبيح والجميل.

أفراد هذه القبيلة، لاتخلو إمارة أو مركز حكومي من أحدهم على الأقل، وقد

---

(١) Wahba, H, Neareast and India, vol. 39, p. 5/0.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، ص ٤١٠.

ساعدوا كثيرا في حفظ واستتباب الأمن، والقضاء على اللصوصية، وتأديب العصاة، وعرف معظمهم بالصدق، وكتم الأسرار، وعدم كشف المثالب، إلا عند الضرورة، وفي حالة إصرار المخطىء أو المجرم على موقفه، فإنهم يكشفون سره ـ وإن قلت أهميتهم الآن بسبب تعبيد الشوارع، ورصف وتبليط المنازل ـ يبقون مطلوبين في الصحارى، وملاحقة المجرمين عبر المسالك الوعرة، والرمال والوهاد.

كما يوجد من له معرفة في الأبراج والنجوم السيارة، ومنازل القمر كعرب الجاهلية مع بعض الاختلافات البسيطة، وحتى أسماء النجوم لم تتغير، فهناك «بنات نعش» الصغرى والكبرى، و«السها» و«سهيل» و«الجديين»، ومن خلالها، تماما كأسلافهم، عرفوا أحوال الهواء، والأزمنة والمواسم، والطقس وفصول السنة، وظواهر الجو، وبالنجوم يهتدي العربي إلى المكان الذي يريده[1].

ثالثا: الحركة الفنية:

تأثر هذا الجانب بعامل خارجي بقدر كبير في المنطقة الغربية، وأقل في المنطقة الشرقية والجنوبية، ذلك أن المناطق الثلاث، شهدت حكما غريبا في تاريخها الحديث والمعاصر، فالعثمانيون ـ كما هو معروف ـ حكموا الحجاز والاحساء وعسيرا، وأقاموا فيها مدداً تركوا خلالها بصماتهم في بعض مناحي الحياة، سيما فن العمارة، ويظهر أكثر وضوحا في الحجاز، ـ وبالأخص ـ في المدينتين المقدستين، وإلى حد أقل في بقية المدن، فضلا على أن الجاليات غير العربية المقيمة فيه، من أندونيسيا والهند، وتركستان وإيران وأفغانستان، وجميع , بلدان أفريقيا السوداء تقريبا، نقلت معها إليه كثيرا من العادات

(١) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، جـ١، ص ١١٢ وما بعدها.

والفنون، التي ظهر تأثيرها أيضا على حياة الحجازيين، فنرى في مجال البناء أن الدور الكبـيرة، تتكون موادها من الأحجار البيضاء المأخوذة من البحر أو الجبال في المدن الواقعة على السواحل، المسيجة أطرافها بكتل خشبية، هي عبارة عن نوافذ كبيرة، بارزة الأشكال، وملونة بالألوان البراقة، المجلوبة من الهند، وتتألف من دورين إلى خمسة، وسطوحها تستعمل للنوم في الأيام الحارة، وفي أسفلها «أقبية»، يتجمع فيها صيفا وقت الظهيرة أفراد العائلة، والطابق الأرضي يستعمل لاستقبال الضيوف والزوار الرجال، والذي يليه يتوزع فيه أفراد الأسرة[1]، وحسب حجمها، وعدد من يعمل في خدمتها تزداد الأدوار.

بالنسبة للمنطقة الوسطى، فمختلفة عن المناطق الأخرى، ذلك لأنها لم تحكم من غير أهلها طوال تاريخها، سوى فترات متقطعة وقصيرة بحيث لم تؤثر في حياة الناس أو على ما توارثوه عبر تاريخهم إلا في الآونة الأخيرة، حيث نجد أن الطابع المحلي للمباني، يكاد يزول في جميع أنحاء البلاد، فلم يحسب ـ للأسف ـ المسؤولون عن تخطيط المدن، حساب المميزات التي تكسبها طابعا أصيلا، ينبعث من البيئة، ويتقبل التطوير، حتى تظهر الشخصية، ولا تذوب في أطرزه العمارة الغربية الحديثة، التي لم تعرفها منطقة نجـد طوال فترة بحثنا، فظل فن العمارة بسيطا لاتعقيد فيه، ولايخلو من اللمسات الفنية، وتمتاز بعض المباني بالرحابة والمتانة والجمال، رغم بدائية المواد التي تبنى منها، والمؤلفـة من اللبن، وسعف النخيل والجص، وبيوت الحكام تدار بالأسوار من كل جانب، وعـلى كل جانب يوجـد أبنيةتشبـه القلاع، تسمى «مرابيع»، وقد تطورت أشكال المباني، فاكتسبت طابعا إسلاميا جميلا، بعدما طليت جوانبها بالدهان، وزينت بالـزخـارف، وسقفت بالأخشاب المستوردة، وأحيطت أسطحها بـ «الشرف»، وهو عبـارة عن نتـوءات في قمـة كل بيت، تعطيه منظرا جميلا، وامتازت مقرات الأمراء

---

(1) Binzagr, Safya, Saudia Arabia: Anartist View of the Past, p. 70.

والأثرياء بالسعة، والمقاعدة المبنية في مقدمتها للجلوس عليها «الحبوس»، وتتوسطها الأفناء الواسعة(١).

أما المباني في المنطقة الجنوبية، فقد كانت مختلفة من جهة لأخرى، فمثلا في عسير نجدها مغطاة بالصلصال، ومزينة أفقيا بالأخشاب، بينما تهامة وجازان، كانت كلها ـ إلا ما ندر ـ عبارة عن عشش من التبن المخلوط بالطين المحمي، وأبوابها من الخشب اللماع، ومن الداخل مطلية بالجبس الأبيض، وتتدلى على الجدارن بعض الرسوم اليدوية المراد بها أن تكون مظهرا من مظاهر الزينة، فضلا على الأطباق المعلقة(٢)، التي يبدو أنه أريد بها التنبيه إلى وجود ريح، حين ترن حتى يأخذ ساكنو البيت حذرهم، لئلا تشتد اشتدادًا قد يقضي على المنزل وأهله.

أما الفنون الغنائية، فنود أن نبين، أن البلاد لم تكن قد عرفت من الآلات الموسيقية غير العود والكمان والرق، وأنها لم تكن قد تعرفت أيضا على الفنون التشكيلية، والأعمال النحتية، ولكنها كانت قد تعرفت على الكثير من الأشكال الجمالية، وظهرت آثار المهارة الفنية بأسلوب الزخرفة والحفر، والعديد من النقوش والكتابات، والتي تتخذ كمظهر من مظاهر الزينة على الجدران، وبعض الأواني، والجلود الملونة بألوان جذابة(٣)، والرسوم على الحصر المخصصة لوضع الأطعمة فوقها، على الخوص والسجاجيد، وأسرجة الخيول، وأشدة الأبل، والأخرجة والمزاود، المستعملة لحفظ الحاجيات.

هذا وكانت الألوان الغنائية، السائدة في الدولة السعودية المعاصرة، مختلفة من

---

(١) Philips, T, Getting to know Saudia Arabia, p. 80.

(٢) Binzagr, s, O.p. Cit, p. 76-77.

(٣) Kay S. M. Saudi Arabia: Past and Present, p. 90.

منطقة لأخرى حيث أنها لم تكن قد احتلت مساحة واسعة في عالم الأغنية العربية، وتصبح في صورتها الحالية، نتيجة تقارب اللهجات، وخصوصية لهجة كل إقليم وقبيلة، الأمر الذي «ساهم في نجاح وانتشار الأغنية السعودية»، يعكس «أن الشاعر الغنائي» وجد... نفسه أكثر حرية في اختيار المفردات الجميلة من خليط من اللهجات المفهومة والواضحة لدى الجميع، فلهجة نجد سهلة الفهم لدى سكان منطقة الخليج، وهي قريبة من اللغة الفصحى، ولهجة الحجاز مشابهة للهجة المصرية، كما أن لهجة الجنوب مشابهة تماما إلى لهجة اليمن، لذلك تميزت الأغنية السعودية المنتشرة حاليا بانتقائها من هذه اللهجات، واستخدامها العربية الفصحى حينا أو تبسيط الكلمة الشعبية والتحرر من قيود اللهجات حينا آخر، إضافة إلى ألحانها الناجحة وأشعارها النبطية الواضحة، فكان ذلك إيذانا بانتشار الأغنية السعودية في أرجاء الوطن العربي»[1].

ومن الألوان الغنائية الفردية والجماعية غير المصحوبة بالرقص «الهجيني»، وعادة ينشد على ظهور الإبل، و«الصخري»، المنسوب لقبيلة بني صخر، و«الهلالي»، والذي يبدو أنه مأخوذ من قبيلة بني هلال، التي هجرت نجدا، علما بأن الغناء في الحجاز متأثر بكثير من ألوان الغناء الشرقي، والتراث العربي في عصور الإزدهار الإسلامية، غير أن البدو فيه يختصون ببعض الألحان، التي تبدو أقرب إلى البيئة النجدية مثل: «القصيمي»، و«البدع»، وهو منتشر في المنطقة الممتدة من الطائف حتى عالية نجد[2]، ويسمى في نجد «المراد»، أي يتنافس شاعران يرتجلان الشعر ارتجالا، ومع كل منهما مجموعة من المرددين يرددون ما يقول كل شاعر بقول معاكس على نفس القافية،

---

(١) عبدالأمير جعفر، الفن الغنائي في الخليج العربي، ص ٩٢ - ٩٣.

(٢) انظر: تقريرا عن الفنون الشعبية في منطقة الطائف، مرفوعا من فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، إلى المركز الرئيسي في الرياض.

بالإضافة إلى «الخماري»، وينقسم إلى عدة أقسام، معروفة في نجد والخليج العربي، فضلا على عزف الربابة، والأغاني البدوية، والصوت بنوعيه: العامي والفصيح، والمجسات.

والحقيقـة أن الألوان الغنائية الشعبية، في المناطق المتكونة منها الدولة السعودية المعـاصرة، يكـاد يصعب حصرهـا، لأن لكـل قبيلة من قبـائلها المقاربة لثلاثمائة، إيقاعاتها، وأغانيها، ورقصاتها الخاصة بها، جميعها صبت مع الأيام في إناء الوحدة الصـافي، فصفت مشـاربهـا، وراقت أحوالها المعاشية، وتأمنت حياتها، فامتزجت، فحدث التزاوج والنماء.

أمـا الـرقصـات الشعبية، فسنعـرض هنـا أهمها، ولعل أكثرها شعبية وانتشارا «العرضة النجدية»[1]، التي اكتسبت وضعا مميزا، لأنها تمثل الأصالة العربية، حيث يقال: إنها عرفت في الجاهلية ـ وإن لم يتأكد ذلك ـ تبقى غير دخيلة، وذات جذور يعسر تحديدهـا مما لاينفي أصـولها العربية الصميمة، وهي بذلك تحظى ببعد تاريخي[2]، محضها عراقة.

هذا والعـرضة النجدية، تعتبر رقصة ارستقراطية، ميزتها الحماسة، ويختص بها الرجال دون النساء، ويمكن اعتبارها رمز نفير وتعبئة عامة، حينما تقام في الاستعداد، للغزو أو الحرب عند الانتصار، أو في المناسبات الوطنية، وأيضا من مظاهر الأفراح عند استقبال الضيوف، وكبار الزوار[3]، وفي الأعياد، واحتفالات الزواج، كما وأنها تعتبر

---

(١) تسمى في الكويت «الحربية»، وفي بقية دول الخليج «العياله».

(٢) انظر: «من فنوننا الشعبية»، أعدته جمعية الثقافة والفنون «لجنة الفنون الشعبية».

(٣) عبدالأمير جعفر، كتابه السابق، ص ٦٤.

في مثابة تدريب عضلي، وتعويد على النظام[1]، من خلال تحرك اللاعبين، في انسجام وتناسق[2].

لقد حظيت العرضة النجدية بشعبية، لم تقتصر على المنطقة التي خرجت منها، فامتـدت حتى شملت كل المناطق، وقد تأثرت بها كل بلدان الخليج العربية، وإن اختلفت بعض الشيء إيقاعاتها من بلد لآخر، تبقى في قمتها عندما يؤديها النجديون.

ومن الـرقصات المنتشرة شعبيا في مناطقها، وامتدت إلى خارجها، ولكن ليس بالانتشار والشعبية التي نالتها العرضة النجدية «خطوة عسير» و«الدواره»، بين قبائل جنوب الحجاز، و«القرزعي» في نجران وما حولها[3].

هناك رقصات شعبية تشترك فيها الأجزاء الشرقية مع الدول العربية في الخليج العـربي، وبحكم الجـوار والقـرب، نجد أن مدينتي الدمام والخبر، ألصق في فنون البحـرين الشعبية، بينـما الاحسـاء متـأثـرة بها قطر، ومن هذه الرقصات «الليوه»، و«الـطنبـوره» و«دق الحبـل» و«الـذره» و«العـاشوري»، والأشكال الإيقاعية المرتبطة بالبحـر[4]، وجميع أبنـاء الشرقية نجـدهم يشـاركـون دول الخليج العـربية، في «المجيلسي»، والذي يبدو أن التسمية جاءت من غلبة جلوس المنشدين، الذين يزحف فيه الصفان عند كل ترديدة نحو بعضهما.

كما أن هناك نوعا من الغناء الشعبي، المصحوب بما يشبه الرقص أو الحركات،

---

(١) طارق عبدالحكيم، أشهر الفلكلورات الشعبية في المملكة العربية السعودية، ص ٧١.
(٢) عبدالأمير جعفر، كتابه السابق، ص ٦٤.
(٣) من فنوننا، التقرير السابق.
(٤) صلاح المدني وكريم علي العريض، من تراث البحرين الشعبي، ص ٥٣.

وهـو على أنواع عديدة، تشارك فيه نجدا، الأجزاء الشرقية، ومعظم بلدان الخليج العـربية، والمعروف بـ «السامري»، الذي يقال: انه شكل موروث من «الحداء»، والأهازيج العربية القديمة، وكان لون السامري يؤدى من غير إيقاعات، ولكنه تطور تلقائيا، وأسلوب أدائه هو: يتقابل صفان، لايقل الصف عن خمسة أشخاص، وهم يرددون الأغاني، وقوفا أو جلوسا أو جثوا على الركب، فيأخذ صف الشطر الأول، فيردد أفراده بيتا، ليكمله المرددون في الصف الثاني، على نفس الخط اللحني والإيقاعي حتى نهاية القصيدة[1].

أمـا الـرقصـات الشعبية، في المـدن الحجـازية الكبيرة، فنجدها متأثرة بعوامل خارجية، وذلك لأسباب ذكرناها، ولكننا نود الاشارة هنا، إلى أن مجاورة بعض هذه المدن لبعض الأقطار العربية، جعلتها في بعض النواحي تختلف عن بعضها اختلافا طفيفا، فالمدينة المنورة مثلا، يبدو واضحا تأثير بلاد الشام على بعض مناحي الحياة فيهـا، كما يظهـر التأثير المصري، وفي مجال الفنون ـ بالأخص ـ في ينبع، والوجه، وضبـاء، وأملج، ومن أشهـر الـرقصـات الشائعة في حواضر الحجاز رقصة أو لعبة «المزمار»، والذي يقال: إنها رقصة أخذها الحجازيون من المصريين منذ عهد الدولة الفاطمية، بينما هناك من يرى، بأن المزمار رقصة أفريقية الأصل[2]، ونحن مع الرأي الأخـير[3]، لأن إيقـاعات المزمار، وأسلوب آداء المتنافسين المتلخص: في احاطتهم بالنار، وقيامهم بحركات تشبه لحد كبير الرقص البدائي، تجعلنا نرجحه، سيما، وأننا نعلم أن المدن الحجازية، حافلة بالأجناس الافريقية رغبة في مجاورة بيت الله، ومسجد رسـوله، وحبا في الاستقرار، وراحة البال، المحرومين منها ـ في سنوات مضت ـ في

---

(١) عبدالأمير جعفر، كتابه السابق، ص ٩٣.

(٢) التقرير السابق عن الفنون الشعبية في منطقة الطائف.

(٣) لم يشر هذا التقرير إلى المرجع الذي أخذ منه هذه المعلومات.

بلادهم الأصلية، ولكن هذا لايعني أنه لم توجد في الحجاز فنون، لم تنبعث في أرضه، فإن هناك رقصات حجازية صميمة مثل: «المجرور»، و«السحيباني»، و«الدوسري».

وأخيرا، نود أن نشير، أن المناطق الشمالية، سواء من الجهة الغربية أو الشرقية، تنتشر بين قبائلها، رقصة تشاركهم فيها بعض القبائل المقيمة في العراق وسوريا والأردن، وهذه الرقصة اسمها «الدحه»[1]، وهي عبارة عن حلقة من الرجال والنساء، ينشدون على إيقاع تصفيق أكفهم، وفي وسطها فتى وفتاة يتلاعبان، طبقا لما يصدر من إيقاع الأكف، والهمهمات الصادرة من كل من في الحلقة، بشكل لا يكاد ينقطع، فيقولون: «الدحه.. الدحه..» وهكذا مع ميل مستمر على الجانبين.

هذه الرقصة جماعية، يلبس المشتركون فيها أحسن ما يملكون من الملابس، ومن تقاليدها ارتداء «البالطوات» الناصعة البياض، ووضع الأحزمة السوداء على الأكتاف اليمنى، والشمغ والعقل، وأسلوب أدائها يبدأ في الوقوف في صف طويل واحد، ثم يبدأ غناء الشاعر، ومعه يبدأ التصفيق، ومن ثم ركل الأرض بالأقدام بقوة، وبشكل متناسق يعلو وينخفض مع ميل الجانبين طوال القيام بالرقصة، وأحيانا تؤدى على نغمات الربابة، فيردد المشاركون ما ينشده شاعرها بهمهمة[2].

الخلاصة، أن الحركة الثقافية، والعلمية، والفنية، رغم ضعفها، وإصابتها بالجمود، فإنها لم تخب، لكون الثقافة في الدولة السعودية المعاصرة، وليدة تراث عظيم، فبقيت ظاهرة على الحياة، ذلك لأن العطاء لم ينقطع يوما، فظهرت كثير من العلوم والفنون، وإن لم تحقق الغاية المرجوة، فترتفع المفاهيم، وتتواصل الأفكار، فالملاحظ

---

(١) يبدو أنها تعني الجميلة أو الحلوة.

(٢) طارق عبدالحكيم، كتابه السابق، ص ٨٩.

أنها ظلت نابضة بالحياة، لأن زخم التراث، وثراء الماضي، ساعدا الناس على المقاومة، والوقوف في وجه التحديات، فلم تفت أعضادهم أو تذب أرواحهم أو رغبتهم نحو التطلع لتحسين أوضاعهم الثقافية، الأمر الذي جعلهم لايكتفون بما ورثوه، فاقتصر نشاطهم على المحافظة عليه، بل أنهم طوروا ـ وإن لم يكن بالمقدار الكافي ـ بعض موروثاتهم، ولكنهم لم يستثمروها على الوجه الأسلم، واستحدثوا كذلك ما ألحت الحاجة في استحداثه، سعيا لتحقيق حياة طيبة، وإصرارا على البقاء أشداء أقوياء، حتى لايفقدوا إنسانيتهم، فانصب معظم نشاطهم العلمي والفني على الأخذ بالموروث، فساهم المثقفون في حركة إحياء الشعر العربي أيام ازدهاره في الجاهلية والإسلام، وعملوا جادين على تخليص الأساليب النثرية من عصور الانحطاط، وتأثر بعضهم بحركات التجديد العربية، ومدارس الأدب الحديثة، والبعض الآخر مهر في الطب والقيافة والفلك، ومعالجة الحيوانات واكتشاف وسائل إتقاء مخاطر الطبيعة والوحوش، ولسع الأفاعي والعقارب، والبناء والغناء والرقص، وقد تفوقوا في الفروسية، وممارسة الرياضات، مما كان قد عرفه العرب قبل مئات أو آلاف السنين، ولكن بعضها إما أنهم لم يحسنوا المحافظة عليها، وإما أخذوها مما كان معروفا قبل التفوق العربي في ظل العقيدة الإسلامية، فظل لايرقى إلى مستوى الانجازات التي حققتها الحضارة العربية الإسلامية، نظرا لبعد بعض مناطق الجزيرة العربية عن مواطنها، وشدة النفور من الغرباء، ولكنها على كل حال كابدت، وكافحت، وأيضا ابتكرت[1]، ولم يكسل أبناؤها، فظلوا عبر تاريخهم دائما في شوق للتحصيل، ومن أجله لم يأبهوا بالأخطار والمشاق.

إن الظروف التي ترتب عليها سوء للأحوال الثقافية، وتدني مستوى التعليم، في

---

(١) Rihani, A, I Binsaud of Arabia: His people and his land, p. 55.

الجزيرة العربية، حيث انغلقت أبوابها بوجه الحضارة زمنا طال كثيرا، لاتعرف إلا ما ورثته عبر أزمنة مضت، فانحسر عنها التطور، وانحصر في نطاقات شديدة الضيق، لم تؤثر في نفسية انسان الجزيرة، وتقتل فيه روح الخلق والإبداع، أو تحول بينه وبين معرفة حقائق الأشياء، لأنه لم ينحدر رغم تردي أوضاعه، فاحتفظ بالفطنة، وامتاز بالكرم، وضرب المثل الأعلى في شهامته، وفي شجاعته، وما مصدر عيبه اليوم إلا بؤس ماضيه، الذي ضرب حصارا عليه آمادا طوالا.

الخاتمة

من المسلمات التي لاسبيل إلى تجاهل حتميتها، أنه لابد لكل شيء في حياتنا من نهاية، تفضي إلى نتيجة تقررها طبيعة الوجود، وتفرضها سنة الحياة، سواء تكون هذه النهاية إيجابية أم سلبية، غير إن الانسان دائما يحاول أن تكون خواتم أعماله حسنة، تؤدي غرضا يعود عليه بالسمعة الطيبة أو يرفع معنويته أو بالنفع المادي، والكل يطلب لنفسه الخير، ولكن لايعمل لتحقيق غايته، ويجتهد لطلب الأفضل، سوى البعض، كل حسب طريقته، ووفق رغباته، وهذه ناحية طبعا، تعتمد على الخبرة، والقدرة، والمثابرة، والعزيمة، ومدى الاستعداد، ومقدار الذكاء، وكمية المعلومات، ومقاومة اليأس، حتى يظفر في النهاية على بغيته، وكلما ارتفعت فيه نسبة هذه الصفات، ازداد نصيبه من الأفضلية.

وهذه الخاتمة، وددنا أن نسجل فيها ما انتهى إليه بحثنا من الجدوى، آملا أن أكون وفقت لتحقيق ما أنشده، وبالوصول إلى ما أطلبه، وأنى إذ لاأستطيع الإدعاء بأن في دراستي «جدة فكرية»، امتازت بـ «الابتكار»، فاكتسبت نكهة خاصة، ووضعا متميزا، فقد حاولت جادا، وبكل الاخلاص، تحري المنهج العلمي، متتبعا ضوابطه وقواعده، فوثقت المعلومات، دون الاستسلام لجفافة، أو الضغط على العاطفة، أو تحجيم إعجابي بالمواقف والأشخاص والأعمال، فالتزمت بخطة وموقف، وبالرؤية

اهتديت حبا في هذا البلد المعطاء ورغبة في خدمته بعدما وضعت في اعتباري الوسائل الموصلة للحقائق الضالة، مستخلصا في كثير من الأحايين الجزء من الكل وبالعكس، فاجتمعت معلومات، حاولت أن أبعث فيها روحا، لأن معظم الدراسات حول التاريخ السعودي لم أجد فيها التجسيد الصادق والوافي والعميق، للوقائع والأحداث والتطورات، فاختفت كثير من الحقائق في زحمة موضوعات جانبية، فلم تظهر إلا بقدر يسير جدا، ضمن التاريخ الحديث العام للعالم العربي، الأمر الذي عرض تاريخنا للتشويه والضياع، فكتب فيه من لايحسن الاستقراء أو يفهم خطوات الاستقصاء، حتى بات بابا للارتزاق، بينما واقعنا التاريخي حقيقة ظاهرة بالأفعال المتميزة، وسير الرجال العظماء، فاتصف بالبعد والخصوبة، وحفل بالأولويات، وتأكد بالبطولات، وترسخت دعائمه بالوحدة، والتطلعات الطموحة، وانبعث من منطلقات عربية وإسلامية وإصلاحية.

لقد أنهى آل سعود السيطرة القبلية، وقضوا على النزعات الاقليمية، ودعوا لنبذ البدع والخزعبلات، ونادوا بتحرير الاسلام من ربقة الاستعمار، وعملوا من أجل تكاتف جهود المسلمين، وتوحيد أهداف العرب، وخلقوا مفهوما وطنيا، وفكرا وحدويا، ورغم قسوة الطبيعة، حيث لامناظر جميلة، نجحوا في إزالة الخوف من وحشة الصحراء، وهول أعمال سكانيها.

إن أغلى أمنية، وأجمل حلم، وأسمى هدف، أن تتوحد أمة، ويجتمع شمل، لتتشكل قوة، فيتوفر الرخاء، ويتحقق الرقي، والأمة العربية لازالت تعاني الانقسام، وأغلى أماني العرب وحدتهم، بعدما استخلصوا حريتهم، وفرضوا وجودهم على المجتمع الدولي، وعند ظهور عبدالعزيز، كانت بلاده مفككة متنافرة، مكنت بعض أجزائها المستعمرين منها، فتمزقت فاقدة الحرية، تتضور جوعا، وتعيش في جهل وعصبية وفرقة، فتوزعت يسومها عذاب، ويتحكم فيها أصحاب الأغراض، فاستشرى الداء، وضاق الناس، نتيجة تسلط المتزعمين، وظلم الأمراء الضعفاء

الذين جندهم المستعمر لتحقيق غاياته، فتباغضوا ليستفيد الأجنبي، حتى خيمت سحابة سوداء في سماء مهد العرب.

في ظل هذه الأوضاع البائسة، ظهر عبدالعزيز بن عبدالرحمن ثائرا، فاسترد جزءاً من نجد، وبقيت حائل، ولم يهدأ حتى استعادها، وقد أنقذ الجنوب، وجاء دور الملك حسين، رغم أنه لم يكن يطمع به، ولكنه شعر في المسؤولية تجاه الحرمين الشريفين، فلا بد والحالة هذه أن يحكمه مؤمن قوي، لأنه خير من المؤمن الضعيف، فحسين أضعف نفسه بحب الألقاب، والولع بالعظمة، والانقياد خلف الأجانب، وتطاوله وتعديه ومطامعه، وعبدالعزيز ليس غريبا عن الحجاز، فإليه كمسلم يتوق، وكحاكم هو وريث آل سعود الذين نشروا في ربوعه العدل والسلام.

مضى عبدالعزيز في طريق التوحيد، التوحيد بالله الذي لاشريك له، والايمان الخالص به، والجهاد في سبيله، وتوحيد أمة ممزقة متفرقة، فكانت أجسم مسؤولية، وأنبل غاية، فاعتسف الأخطار، وخاض الأهوال، واستعمل الحكمة، وساير بدهاء من غير انتهازية، فحقق جزءاً من أماني العرب في شتى الأصقاع، حيث وحد معظم أجزاء جزيرة العرب، فحاز بحق وجدارة لقب «الموحد»، وقد توج أعماله، بعد تثبيت الكيان الكبير، في وحدة الاسم والمصير والأهداف، فأعلن بناء على رغبة رعاياه، الرامية إلى الوحدة في المسمى، بدلا من المسميات الجغرافية للمناطق، أعلن تعميقا للكيان، وتأصيلا للمواطنة، وتجميعا لمواطنيه، اسم «المملكة العربية السعودية»، وذلك في السابع عشر من شهر جمادى الأولى عام **١٣٥١**هـ، وقد أختير يوم الخميس **٢١** جمادى الأولى من نفس العام، الموافق الأول من الميزان يوما لوحدة البلاد[1].

---

(١) الأمر الملكي رقم ٢٧١٦، نشر في أم القرى.

ولأسباب كثيرة، وظروف عصيبة، لم تتهيأ في الفترة التي بحثناها، مناخات ثقافية مناسبة، تساعد مواطني الدولة السعودية المعاصرة، على التخلص من كل سلبيات الماضي، ذلك لأن الوقت ما كان قد سمح للقضاء على هذه السلبيات، ولم يكن المثقفون قد امتلكوا القدرة على التأثير، أو توفرت الخبرات القادرة على التغيير، وكان قد صاحب نشوء الدولة، أزمات عالمية، فقامت حربان عالميتان، ذاقت مرارتها الجزيرة العربية، وأصاب العالم موجات كساد تأثرت بها، ولكن كانت الخطة التي انتهجها عبدالعزيز، في تأسيس الدولة، قد أشارت إلى مستقبل باسم، منذ تحركه نحو الرياض، وتطور أساليبه، إلى أن أسس كيانا، له أهمية سياسية وعسكرية وجغرافية، فعمل مخلصا على تنمية موارده الاقتصادية، وحرص على إصلاح أحواله الاجتماعية، وإظهار شخصيته الثقافية، فحقق الاستقرار، وطمأن مواطنيه، وأجهز على الانحراف، وأسس المدارس والمستشفيات، ودعم الأشقاء، وسامح ولم يجر، وتواضع ولم يفرط، ففرض هيبته وحبه واحترامه، ولم يتهاون، وبالحق تمسك فساوى وصبر، والتزم وقال وفعل.

وفي هذه الدراسة اتضح لي، أن تاريخ الدولة السعودية المعاصرة، يتكون من أربع فترات أو مراحل، ابتداء من تاريخ تحرير مدينة الرياض، في العام الأول من دخول القرن العشرين الموافق عام ١٣١٩هـ، حيث تبدأ «مرحلة الجهاد»، الجهاد ضد الأعداء والطامعين، وجهاد العابثين بالأمن، ومسببي الفوضى، والجهاد من أجل تأكيد الذات، وإظهار الهيبة، وفرض الاحترام، والمشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية، المتعلقة في الجزيرة العربية.

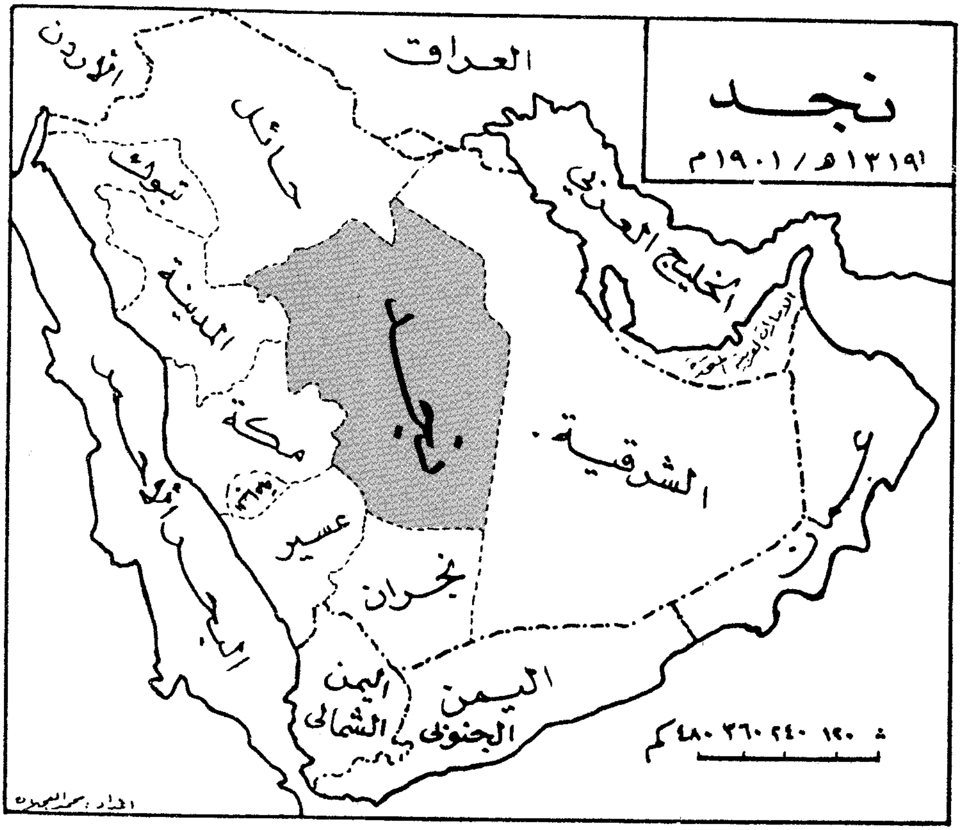
هذه المرحلة، انتهت إلى النتيجة الايجابية، فدعا النجاح الذي تحقق إلى أن يكون مؤسس الدولة محط الأنظار، فاتجه إليه الأحرار العرب، وخشاه الأعداء والحساد، وفي نفس الوقت، أعد نفسه للإجهاز على الانقسام، حيث تبدأ «فترة التأسيس»، وكانت

أصعب مرحلة، فاجتـازها في إقتدار، محققا الوحدة، وخالقا مفهوما جديدا، ومغيرا الأوضاع في المناطق الموحدة إلى الأحسن.

بعـدهـا تبـدأ «فترة أو مرحلة الثبات»، بعدما تمت السيطرة على الانحرافات، فوضحت الصورة، وأخذت عجلة الاصلاحات مسارا ثابتا، وبدأ البحث الجاد عن موارد تساعد البلاد على الارتقاء، وتخلصها من بؤس السنوات العجاف، فانتظمت القنوات كلها، لتصب في مورد عذبت مشاربه، وصفت بحيث لم يبق ما يعكرها.

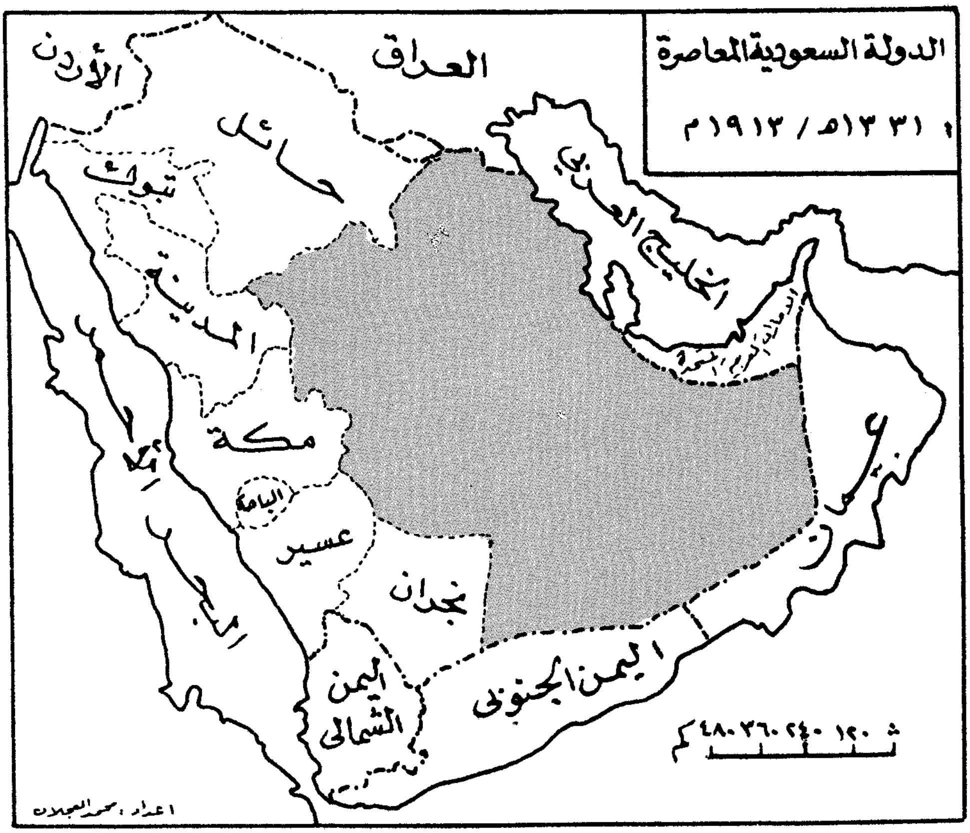
الفترة الأخيرة، يمكن أن ندعوها «مرحلة التحول»، بعد ظهور البترول، حيث بدأت ملامح حياة عصرية، متماشية مع المتطلبات، ومتفقة مع المعطيات، ومنسجمة مع الجذور، فقامت المشروعات الحضارية الجبارة، غير أن هذا التحول صحبه اجتماعيا التهيب والتردد، لأن الزمن لم يهىء الناس لاستقبال ما جد على حياتهم، فلم تكتمل التجربة، وهذه المرحلة لازالت مستمرة، ولكن يبدو أن التجربة أخذت تشير إلى قرب النهاية الايجابية.

لقد خلصت من هذه الدراسة إلى حقيقة هي : أن الإيمان بحماية الكيان الكبير قد تحقق، والأحـداث المـاضية كانت أشعـارا لعـظمـة الإنجاز، والإحساس بقيمة التكوين، وأهمية الانتماء، وامتلاك القدرة على التفوق ماديا ومعنويا، والاطمئنان على المستقبل، وأنه توجد قابلية لهضم كل جديد، والتكيف مع كل طارىء، والاستجابة للتحدي، ثقة وإيمانا، وحبا في ديمومة التطور، وسعيا لمضاعفة الانتاجية.



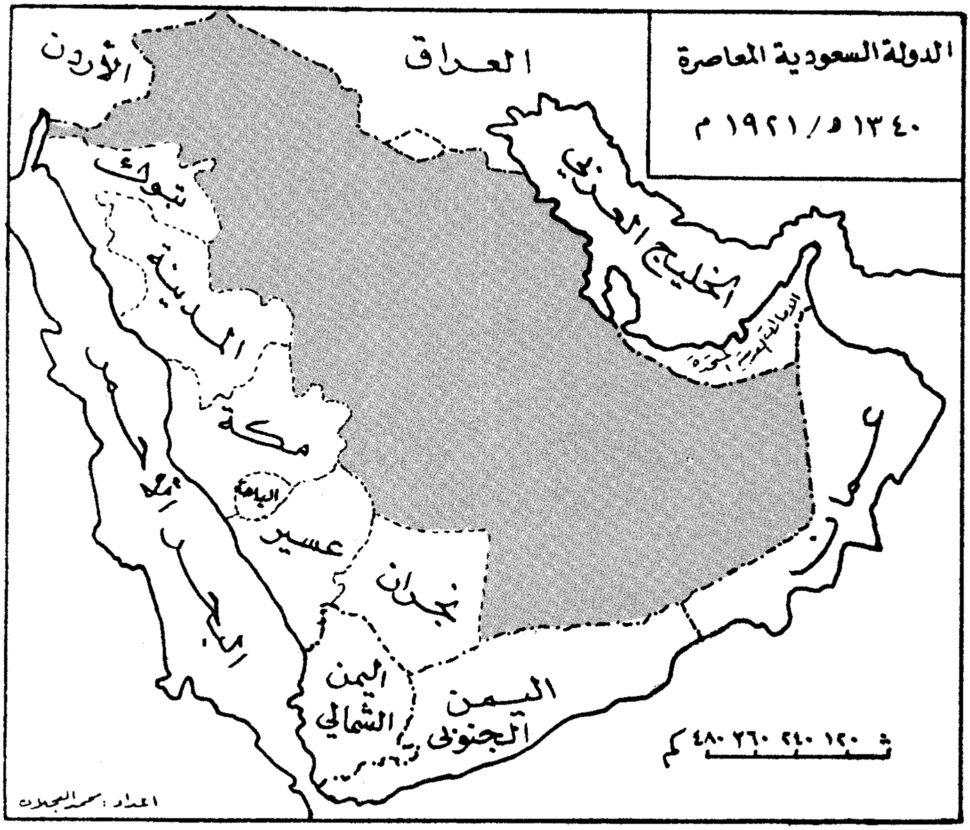
شكل (١)

المظلل بالشبك يمثل حجم الدولة قبل الشرقية وحائل .



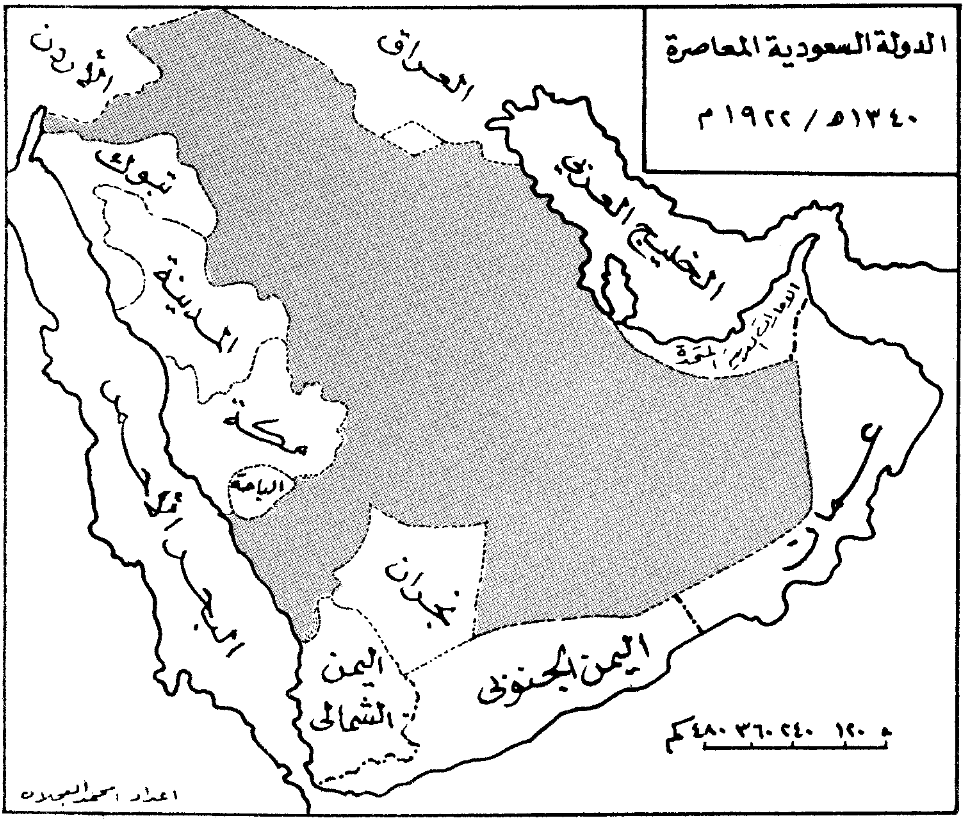
شكل (٢)

الدولة عقب إسترداد المنطقة الشرقية .



شكل (٣)

الدولة بعد إتمام وحدة نجد، وزوال حكم آل رشيد في حائل.



شكل (٤)

الدولة بعد إنضمام القسم الجبلي من عسير.


المملكة العربية السعودية
الأردن
العراق
الجوف
عنيزة
الدمام
الرياض
جدة
مكة
أبها
الخليج العربي
خليج عمان
الإمارات
الربع الخالي
عمان
بحر العرب
خليج عدن
جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية
1:16000,000
٤٥°
٥٠°
٥٥°

شكل (٥)

المصادر والمراجع

أولا : المصادر الأصلية

وهي الوثائق غير المنشورة، والمخطوطات التي لم تطبع والمطبوعة، حيث نجد أنه توفر لدينا منها، أو ما تيسر لنا الاطلاع عليه التالية :

أ ـ وثائق غير منشورة

LETTER FROM COLONIAL OFFICE, No. 13943, Dated 21 St March, 1824, Public Recoroffice, F.O. 371/1998.

Letter from Political Resident in persian gulf to his highness Sheikh Abdoul Aziz ibn Abdul-Rhaman Alfisal Al-Saud, C.G.I.E. Sultan of Najd and its Dependec-ies, No. 129, British and India Office Library Ref. I OR/15/563. London.

Letter from the Political Resident in the persian Gulf to the Secretery of State for colonial office, 2nd March, 1924, "Koweit conference". F.O. Public Record office. London.

Translation of Aletter, No. 76., Dated 16th Rajab. from the Sultan of Najd to the political Resident in the persian Gulf. Public Record of fice. F.O. 371/9998.

ب ـ وثائق منشورة:

Gable from colonel Biscoe, 17 January, 1930, Pubic Record Office, Mss, Foreign office, Vol. 14449, Doc No. E 275.

Letter from Prince faysal Ibn Alhusian, to sir genral Allenby, cairo, British Public Record office, MSS, F.O. vol. 4146. Document, No. 108194, 1919.

Telegram from the Secretary of State for India, to the Civil Commissioner, Baghdad, I st October, 1918, Public Record Office, Mss. F.O. Vol. 3399, Doc, No. 159854.

Doc No. 9037. Public Record office. F.O. 371/11445.

جـ ـ مخطوطات مطبوعة:

١) إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان، وأنسابهم، وبناء البلدان ٧٠٠ـ١٣٤٠هـ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، أشرف على طبعه: حمد الجاسر، د.ت.

ولد المؤلف ١٢٧٠، ومات ١٣٤٣هـ، بعد أن قضى معظم حياته في ظروف صعبة، فقد عاش فترات الصراع بين أبناء الإمام فيصل بن تركي وآل رشيد، وبينهم وبين عبدالعزيز إثر إستيلائه على الرياض، وهو ـ وإن استطاع تسجيل بعض

الأحـداث التي عاصرهـا[1]، وكـان من أهـم مصـادر الريحاني في كتابه «تاريخ نجد الحديث وملحقاته عن آل سعود»، منذ نشأتهم إلى حين استيلاء ابن رشيد على نجد[2] - فإنه لم يذكر مصادره التي اعتمد عليها، في أحداث كان عمره لايسمح في استيعابها، عند حدوثها، والتي سبقه إليها الفاخري، وابن بشر، حيث أنه من المحتمل أن يكون اعتمد على أحدهما أو عليهما فيما كتبه عن هذه الحوادث[3].

٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام، والمعروف أحيانا بـ «تاريخ نجد»، مطبعة المدني «المؤسسة السعودية بمصر»، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، حققه وحرره: ناصر الدين الأسد، وقد قابله على النسخة الأصلية: عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ.

ولد ابن غنام في بلدة «المبرز»، في سنة غير معلومة، وقد كانت الاحساء في زمانه مركزا علميا، يفد إليه طلاب العلم من نجد، وجميع بلدان الخليج، فشب في بيئة علمية، شجعته على طلب المزيد، فدرس على كبار علماء الدين واللغة فبرع بهما، ولكن تعمقـه في اللغـة فاق علومـه الشرعية[4]، وقـد اختلفت المصادر حول سبب قدومه الدرعية، كما اختلفت على تاريخ انتقاله إليها، فهناك من يرى أن استقراره في الدرعية يعود لرغبة آل سعود في الاستفادة منه في تعليم اللغة العربية وعلومها[5]؛ ومن عزا ذلك إلى رغبته في التزود من العلم على يدي الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حتى أصبح من

---

(١) عبدالله بن يوسف الشبل، المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية، رسالة دكتوراه لم تنشر، مقدمة لقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٢٤٢.

(٢) ص ٣، ط ١.

(٣) الشبل، المرجع السابق، ص ٢٤٣.

(٤) نفس المرجع، ص ٩٩.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١، ص ١٥٦.

كبار مريديه، وأقرب تلاميذه[1].

أما متى كان وصوله للدرعية؟ فعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ[2]، يؤكد بأنه كان أثناء إمامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود «١١٧٩ ـ ١٢١٨هـ»، بينما يرى محمد بن عبدالله بن عبدالقادر[3]، أنه كان خلال إمامة سعود بن عبدالعزيز «١٢١٨-١٢٢٩هـ»، ود. الشبل[4]، يعلق على ذلك بقوله: في حالة ثبوت تلمذته على يدي الشيخ محمد، فهذا يؤيد الرأي القائل بأنه حل الدرعية في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد، لأن وفاة محمد بن عبدالوهاب، كانت في ١٢٠٦هـ/١٩٧٢م.

وإذا كان قد اختلف في تاريخ قدوم ابن غنام، والدافع إليه، فالثابت أنه كان من قبل قد بلغ مرتبة علمية في بلده، وهو نظام على غرار العلماء فخلت أشعاره من الروح، وله كتاب آخر لازال مخطوطا اسمه «العقد الثمين في أصول الدين»، موجود في المكتبة العلمية السعودية، التابعة لدار الافتاء، علما بأنه مالكي المذهب أساسا.

إن تاريخ ابن غنام يعتبر المصدر الأول لمعرفة سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتطور حركته، وغزوات آل سعود الأولى، ذلك لأنه عاصر الأحداث، وكان مقربا يحظى بالتقدير، وعالما يدقق في الأخبار، ولكن عيبه أسلوبه الحافل بالسجع المتكلف، ومبالغته في استعراض براعته اللغوية، مما عرض بعض معانيه للضياع، لعنايته المفرطة باللفظ أكثر من المعنى.

---

(١) عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، جـ٢/٤٢.

(٢) مشاهير علماء نجد، ١٨٥.

(٣) تحفة المستفيد، ص ١٠٤.

(٤) الشبل، رسالته السابقة، ص ١٠١.

أما موضوعات تاريخه، فتندرج تحت أربعة أقسام[1]: قسم خصصه لتوضيح حالة المسلمين الروحية، واختلافهم، وغربة الاسلام، ومعاني الأحاديث الواردة بهذا الشأن، واضطهاد الأخيار، وأهمية التزام السنة، وشرح معنى التوحيد، وانكار العلماء تعظيم القبور، ونهي الرسول ﷺ اتخاذ قبره وقبور الأنبياء أعيادا، وقسم تحدث فيه عن سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والقسم الثالث أرخ فيه لغزوات وفتوحات آل سعود، والأخير ضم الرسائل والمسائل، وتفسير بعض السور، متتبعا في كل ذلك ذكر الحوادث حسب السنين، ومما يلفت النظر وقوفه عند العام ١٢١٢هـ، رغم أنه عاش بعد ذلك ثلاثة عشر عاما، حيث ذكر كل من ابن بشر والفاخري، أن وفاته كانت في عام ١٢٢٥هـ[2].

٣) **سليمان بن صالح الدخيل**، القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

ولد في بريدة ١٢٩٠هـ، ضاقت به أسباب العيش، فترحل كثيرا إلى أن استقر به المقام عند عمه في بغداد، الذي كان وكيلا لابن رشيد في العراق، وكان كريما يعج مضيفه بأهل نجد، وأبناء البادية[3].

لقد أتاحت إقامة صاحبنا في بغداد عند عمه، فرصة إطلاعه على كثير من الأخبار والمعلومات، والتعرف على العديد من الوجهاء والأعيان، وأثناء ذلك وثق صلاته ببعض المثقفين العراقيين، لشغفه في مطالعات كتب التاريخ والأدب، فاتجه في أول

(١) انظر مقدمة المحقق على كتابه، ص ٦.

(٢) عنوان المجد، جـ١، ص ١٤٩، الأخبار النجدية، تحقيق: عبدالله بن يوسف الشبل، ص ١٤٠.

(٣) انظر التعريف الذي كتبه حمد الجاسر عن الكاتب والكتاب ص ١٣٥.

أمـره لنشر المخـطوطات، وله مؤلفات برغم عيوبها الكثيرة، تشير لنشاط قلمه، وقد أتيحت له فرصة الكتابة في الصحف، وأيضا الاشتغال في الصحافة، حينما أقنع عمه في إصدار صحيفة سماها «الرياض»، وبعدها مجلة «الحياة»، فكان أول نجدي يمتهن الصحافة[1].

هذا والنسخة التي بين أيدينا، هي الوحيدة من كتابه المشار إليه، عثر عليها في دار الآثار العراقية، ضمن مجموعة كتب الأب «انستاس الكرملي»، كان قد اشتراها من المؤلف في أخريات حياته، وهو في فاقة نتيجة إدمانه الكحول، وتقع في اثنتي عشرة صفحة، ألحق بها الكرملي بخطه ست صفحات عن سقوط الامارة الرشيدية[2]، طبعها الشيخ حمد الجاسر، مخصصا لها القسم الأخير من كتاب «نبذة تاريخية عن نجد»، الذي خصص له القسم الأول، وتبلغ صفحاته مائة وسبعا وسبعين، بما فيها الصور، وشجرات النسب، والتصويبات، والقسم الأول منه في ١٣١، والثاني يقع في ٣٠ صفحة.

٤) **ضاري بن فهيد بن رشيد**، ، نبذة تاريخية عن نجد، أملاها على وديع البستاني عام **١٣٣١هـ**.

المؤلف أحـد أفراد الأسرة الرشيدية المرموقين، ويبدو أنه شارك في صنع بعض الأحـداث المحلية، وعاصر بعضها الآخر، ومن هنا تأتي أهمية روايته، التي سجلها الأديب اللبناني وديع البستاني، الذي قابل ضاريا في الهند عندما كان الأخير يتعالج فيها من مرض لم يمهله طويلا، في فترة لم تكن حائل قد سقطت فيها، فأبدى رغم ما

---

(١) انظر التعريف السابق، ص ١٣٥.
(٢) انظر التعريف السابق، ص ١٣٥.

كان بين عبـدالعـزيز وأسرتـه من خصومه إعجابه بشخصيته، وسداد رأيه، ومضاء عزيمته وبطولاته.

٥) **عثمان بن عبدالله بن بشر**، عنوان المجد في تاريخ نجد، جزءان، نشر: المكتبة الأهلية في الرياض، الطبعة الثالثة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م الرياض.

من مواليد بلدة «جلاجل» عام ١٢١٠هـ، رغم أن أصله من شقراء من بني زيد، درس مختلف العلوم الشرعية والعربية على العديد من مشاهير علماء الدين النجديين في حياتـه، ولمـزيد من التحصيل تغرب، وترحل كثيرا[١]، وظل طوال عمره على صلة بأعلام عصره في نجد إما بزيارتهم، وإما بمراسلتهم[٢].

لقد انصب جل اهتمامه رغم دراسته الدينية بالتاريخ والأدب والفلك، وله عدة مؤلفات لم تنشر[٣]، وقد اعتبره الكثيرون عميد مؤرخي نجد، فاكتسب شهرة واسعة، ولوحظ فيه حسه بأهمية التاريخ، حين لام قومه الذين لايحفلون به، وبين فضل بعض علماء البلدان الأخرى على بلدانهم[٤].

إن تاريخ ابن بشر رغم بعض المآخذ عليه، يعد من أهم المصادر في معرفة أحوال الجزيرة العربية الماضية، ومما يزيد أهميته معاصرته لأحداث هامة، حيث أدرك ازدهار الدولة السعودية الأولى، وكان في تمام نضجه عند قيام الثانية ١٢٣٨هـ/١٨٢٣م، وقد

---

(١) الشبل، المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٢) عبدالعزيز الخويطر، عثمان بن بشر: منهجه ومصادره، ص ٩.

(٣) الشبل، المرجع السابق، ص ١٦١.

(٤) عنوان المجد، جـ١، ص ٢٠٥.

كان توقفه عن تدوين الأحداث عند العام ١٢٦٧هـ/١٨٥١م، موضع غرابة، رغم أنه عاش حوالي عشرين عاما بعد ذلك، حفلت بأحداثٍ هامة[١]

٦) **محمد بن عمر الفاخري**، الأخبار النجدية، المعروف بـ «تاريخ الفاخري»، وعندي نسخة منه مخطوطة بخط «الفقير إلى مولاه عبدالرحمن بن محمد بن ناصر سامحه الله». هذا وقد نال بتحقيق المخطوطة عبدالله بن يوسف الشبل درجة الماجستير عام ١٩٧٧م، من كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الاسكندرية، طبعها في كتاب مؤخرا، نشرته لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

ولد الفاخري عام ١١٨٦هـ، في سدير، وتعلم على مشائخ بلدته «التويم»، ولما شب رحل للإحساء، فعاد لبلدته، وقد وافته المنية عام ١٢٧٧هـ/١٨٧٠م، في «حرمه»[٢]، وقد سبق ابن بشر في كتابة تاريخه، ولكنه لم يتوسع، فشوهه الاختصار، ويعاب عليه أخطاؤه الاملائية الكثيرة، وخروجه الدائم تقريبا على قواعد اللغة العربية، وسهولة أسلوبه التي بلغت حد الابتذال[٣].

وانه رغم أخذ ابن بشر عنه، فإنه لم يشر إليه سوى ما نقله عنه إثر سقوط الدرعية، ناسبا إليه بيتين من الشعر في حوادث عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، بقوله[٤]: «وكانت هذه

---

(١) الخويطر، كتابه السابق، ص ٢٨.
(٢) في مقدمة المحقق على الكتاب، ص ٣٠.
(٣) نفس المرجع، ص ٣٧.
(٤) عنوان المجد، جـ١، ص ٢١٤.

السنة كثر فيها الاضطراب والاختلاف ونهب الأموال وقتل الرجال، وتقدم أناس وتأخر أناس، وذلك بحكمة الله سبحانه وقدرته، وقد أرخها بعض الاخوان من أهل سدير، وهو محمد الفاخري، فقال[1]:

عام به الناس جالوا حسبما جالوا ونال منا الأعادي فيه ما نالوا
قال الأخوان أرخه فقلت لهم أرخت قالوا بماذا؟ قلت: غربال

ثانيا: الرسائل العلمية: THESIS

أ ـ المقدمة في اللغة العربية:

١ ـ عبدالله محمد الشهيل، التطور الثقافي للدولة السعودية المعاصرة من ١٩١٥ـ١٩٥٣م، قدمت لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، لقسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية.
«لم تنشر».

٢ ـ عبدالله بن يوسف الشبل، أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية: دراسة تحليلية، قدمت لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، لقسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
«لم تنشر».

---

(١) انظر أيضا: تاريخ الفاخري، ص ٩٨، والمطبوع بتحقيق: عبدالله بن يوسف الشبل، ص ١٥٠.

ب ـ المقدمة في اللغة الإنجليزية :

١ ـ 1 - Habib, John. S. The Ikhwan Movement of Najd: Its Rise, Developement and Decline. The Universit of Michgan. P. H. D.1970. History Modern. «لم تنشر» .

ثالثا : التقاريـر :

أ ـ التقارير العربية :

١ ـ الفنـون الشعبية في منـطقة الطائف ، تقرير رفعه فرع جمعية الثقافة والفنون في الطائف للمركز الرئيسي في الرياض .

٢ ـ عرض حكومة المملكة العربية السعودية أمام محكمة العدل الدولية ، بشأن خلافها مع الحكـومـة البريطانية حول النزاع في منطقة البريمي ، وهو عبارة عن تقارير ودراسـات وافية ، مدعمـة بالحجج التاريخية ، ورغبات أهالي المنطقة ، طبع في القاهرة عام ١٩٥٥م .

٣ ـ عمان والسـاحـل الجنوبي الغربي للخليج الفارسي ، منشورات شعبة البحث في شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو» .

٤ ـ الكتاب الأخضر النجدي «مؤتمر الكويت» ، تقارير وافية عما دار في جلسات مؤتمر الكويت ، ظهرت فيها وجهات النظر النجدية ، مبنية على الوقائع والحقائق ، التي أدت إلى إخفاق المؤتمر المذكور . نشر بأمر سلطان نجد ، د . ت .

٥ ـ مجموعة المعاهدات من ١٩٢٢-١٩٣٢م ، طبعت في مكة المكرمة ١٣٦٥هـ .

٦ ـ من فنـوننـا الشعبية : تقـرير أعـدتـه لجنة الفنون الشعبية ، في الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، المركز الرئيسي .

ب ـ التقارير الأجنبية : **REPORTS**

١ ـ Pilly's Roport of Riyadh in central Arabia. موجود في مكتبة آرامكو ـ الظهران .

رابعا: معارف عامة:

وتشتمل على الموسوعات، ودوائر المعارف، والأدلة على مختلف أنواعها، والمعاجم والأطالس، عربية وأجنبية.

أ ـ العربية:

١ ـ إبراهيم جمعة، الأطلس التاريخي للدولة السعودية، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

٢ ـ حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، مطبعة نهضة مصر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م، القاهرة.

٣ ـ حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، منشورات النادي الأدبي في الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، د. ت. جزءان.

٤ ـ شكري العناني، المملكة العربية السعودية: دراسة ببليوغرافية، منشورات مكتبة دار العلوم في الرياض، مطبعة دار الجيل، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، القاهرة.

٥ ـ عبدالمعين بشناق، الدليل العام للمملكة العربية السعودية، مطبعة محمد هاشم الكتبي، ١٩٥٧م، دمشق.

٦ ـ عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ثلاثة أجزاء، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، بيروت.

٧ ـ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، في ثلاثة عشر جزءاً، مطبعة الترقي، ١٩٦٠م، دمشق.

٨ ـ لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، منشورات المكتبة الكاثوليكية، الطبعة التاسعة عشرة، بيروت د.ت.

٩ ـ محمد شفيق غربال «اشراف»، الموسوعة العربية الميسرة، نشر: مؤسستي دار الشعب وفرانكلين، القاهرة، نيويورك، د.ت.

١٠ ـ المعجم الوسيط، جزءان، منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة، مطابع دار

المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، القاهرة.
١١ ـ منصور إبراهيم الحازمي، معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب و الفكر في المملكة العربية السعودية «صحيفة أم القرى»، ١٣٤٣هـ ـ ١٣٦٥هـ / ١٩٢٤ ـ ١٩٤٥م، الناشر: جامعة الملك سعود في الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
١٢ ـ يحيى محمود ساعاتي وعبدالله سالم القحطاني، مؤلفات ومراجع من المملكة العربية السعودية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

ب ـ الأجنبية:

١ ـ Aramco Hand Book.

٢ ـ The Encyclopedia Americana.
International Edition, Thirty Volumes.

٣ ـ The News Book of Knowledge, Crolier Incorporated, 10, volumes NewYork, 1972.

خامسا: كتب عربية قديمة:

١ ـ ابن الأثير «علي بن أحمد»، الكامل في التاريخ، أثنا عشر جزءاً، ١٢٧٤هـ، القاهرة.
٢ ـ جلال الدين محمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، منشورات المكتبة الشعبية، بيروت ـ لبنان، د.ت.
٣ ـ الحسين بن المبارك، التجريد الصريح للجامع الصحيح.
٤ ـ القلقشندي «أبو العباس أحمد بن علي»، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بتحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٥٥م.

سادسا: المصادر والمراجع العربية:

١ - إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين أو الرحلة الحجازية والحج ومشاعره الدينية، جزءان، دار الكتب المصرية، مطبعة العلوم ١٩٦٦م، القاهرة.

٢ - أحمد حسين، مشاهداتي في جزيرة العرب، مطبعة مصر، ١٩٥٠م، القاهرة.

٣ - أحمد عبدالغفور عطار، صقر الجزيرة، ستة أجزاء، ١٣٨٤هـ، جدة.

٤ - أحمد عبدالغفور عطار، قطرة من يراع، المطبعة المنيرية، ١٩٥٥م، القاهرة.

٥ - أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، المطبعة الأهلية اللبنانية، الطبعة الأولى ١٩٦٥م، بيروت.

٦ - أحمد فضل العبدلي، هدية الزمن في أخبار لحج وعدن، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى ١٩٥٩م، القاهرة.

٧ - أحمد محمد جمال، ماذا في الحجاز، طبعة أولى ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

٨ - أسعد داغر، فهارس المخطوطات العربية في الخافقين، بيروت، د.ت.

٩ - أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، وسيرة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، المطبعة العلمية ليوسف صادر، الطبعة الأولى ١٩٢٨م، بيروت.

١٠ - الطبعة الأولى للأعمال الكاملة، المجلد الخامس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م.

١١ - أمين الريحاني، ملوك العرب، جزءان، دار الريحاني للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ١٩٦٧م، بيروت.

١٢ - آن بلنت، رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة: محمد أنعم غالب، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض، د.ت.

١٣ - بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، دار صادر، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، بيروت.

١٤ - بنواميشان، سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة: عبدالفتاح يس، دار الكاتب، بيروت. د.ت.

١٥ - بيار روفايل، صقر الصحراء، منشورات دار حميد ومحيو، الطبعة الأولى ١٩٧٢م، بيروت.

١٦ - جان جاك بيريبي، الخليج العربي، ترجمة: نجده هاجر وسعيد الغز، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، مطابع دار الكشاف، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م، بيروت.

١٧ - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الأولى ١٩٦٨م، بيروت.

١٨ - جورج انطونيوس، يقظة العرب «تاريخ حركة القومية العربية»، ترجمة: ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، دار العلم للملايين في بيروت، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في نيويورك، الطبعة الأولى ١٩٦٢م.

١٩ - جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، أربعة أجزاء، دار الهلال، ١٩٥٨م، القاهرة.

٢٠ - جون فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب «السلفية»، تعريب: عمر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية، مطبعة دار الشمالي، بيروت. د. ت.

٢١ - حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الخامسة ١٩٦٠م.

٢٢ - حافظ وهبه، خمسون عاما في جزيرة العرب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٢٣ - حسن حسن سليمان، الأمير عبدالعزيز بن مساعد: حياته ومآثره، د. ت.

٢٤ - حسن سليمان محمود، الكويت: ماضيها وحاضرها، منشورات المكتبة الأهلية، د. ت.

٢٥ - حمد الجاسر، الرياض عبر أطوار التاريخ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢٦ ـ حمد الحقيل، عبدالعزيز في التاريخ، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، بيروت.
٢٧ ـ خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، أربعة أجزاء، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، بيروت.
٢٨ ـ رأفت غنيمي الشيخ، في تاريخ العرب الحديث، دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، القاهرة.
٢٩ ـ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٩٦٠م، بيروت.
٣٠ ـ سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، جزءان في مجلد، مطابع المدينة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، الرياض.
٣١ ـ سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ترجمة: منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٦٠م، بيروت.
٣٢ ـ سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «معهد البحوث والدراسات العربية»، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
٣٣ ـ صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية: ماضيها وحاضرها، جزءان، منشورات دار الحياة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، بيروت.
٣٤ ـ صلاح الدين المدني وكريم علي العريض، من تراث البحرين الشعبي، مطبعة سميا، بيروت، د.ت.
٣٥ ـ صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م، القاهرة.
٣٦ ـ طارق عبدالحكيم، أشهر الفلكلورات الشعبية في المملكة العربية السعودية بقواعدها ونظرياتها الموسيقية، الناشر: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون «لجنة الفنون الشعبية»، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، الرياض.
٣٧ ـ طلال بن عبدالعزيز «راوي»، صور من حياة عبدالعزيز، إعداد: كمال الكيلاني، مطابع حنيفة للأوفست، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٨ ـ طه حسين، ألوان، دار المعارف، الطبعة الخامسة، د. ت.
٣٩ ـ عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، د. ت.
٤٠ ـ عبدالأمير جعفر، الفن الغنائي في الخليج العربي، سلسلة كتاب «فنون»، رقم (٢)، مطبوعات مجلة فنون العراقية، مطابع ثنيان في بغداد، د. ت.
٤١ ـ عبدالحميد الخطيب، الإمام العادل عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، جزءان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٠م.
٤٢ ـ عبدالرحمن بكر الصباغ، مذكرات مدرس، الناشر: المكتبة الصغيرة في الرياض، مطابع الروضة في جدة، د. ت.
٤٣ ـ عبدالرحمن بن زيد السويداء، نجد في الأمس القريب: صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عاما، دار العلوم في الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٤٤ ـ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.
٤٥ ـ عبدالرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز «١٩١٦ ـ ١٩٤٨م»، الناشر: النادي الأدبي في المدينة المنورة، مطابع الدار السلفية ومكتبتها ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، القاهرة.
٤٦ ـ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى «١١٥٨ـ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥ـ ١٨١٨م»، معهد البحوث والدراسات العربية، الطبعة الثانية ١٩٧٦م.
٤٧ ـ عبدالعزيز بن باز، الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب: دعوته وسيرته، الدار السعودية للنشر.
٤٨ ـ عبدالعزيز الخويطر، عثمان بن بشر، منهجه ومصادره مطابع وزنكوغراف مؤسسة الجزيرة للصحافة والطبع، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، الرياض.
٤٩ ـ عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ١٩٦٢م، بيروت.
٥٠ ـ عبدالعزيز شرف ومحمد إبراهيم شعبان، عبدالعزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥١ ـ عبدالفتاح أبو عليه، الدولة السعودية الثانية (١٢٥٦هـ ـ ١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠ ـ ١٨٩١م». مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، الرياض.
٥٢ ـ عبدالقدوس الأنصاري، تاريخ مدينة جدة، مطابع الأصفهاني بجدة، د.ت.
٥٣ ـ عبدالله عبدالجبار، التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية، معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة، ١٩٥٩م.
٥٤ ـ عبدالله عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ثلاثة أجزاء، الطبعة الأولى ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، بيروت.
٥٥ ـ عبدالله العلي الزامل، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، بيروت.
٥٦ ـ عبدالله المبارك، أدب النثر في شرقي الجزيرة العربية، مطبعة الجبلاوي ١٩٧١م، القاهرة.
٥٧ ـ عبدالله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٥٨ ـ عبدالواسع الواسعي، تاريخ اليمن المسمى «فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن»، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى ١٩٢٧م، القاهرة.
٥٩ ـ عبدالوهاب عبدالواسع، التعليم في المملكة العربية السعودية بين حاضره وأماني مستقبله، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ت.
٦٠ ـ عثمان حافظ، تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، د.ت.
٦١ ـ علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، د.ت.
٦٢ ـ فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٦٣ ـ فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر «١٨٣٩-١٩١٤م»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

٦٤ ـ فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، المكتبة الأهلية في الرياض، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٦٥ ـ فؤاد حمزة، في بلاد عسير، المكتبة الأهلية في الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٦٦ ـ فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، المكتبة الأهلية في الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٦٧ ـ فيشر «آ، ل»، تاريخ أوروبا الحديث (١٧٨٩ـ١٩٥٠م)، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، ووديع الضبع، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، ١٩٦٤م.
٦٨ ـ فيليب رفله، وأحمد سامي مصطفى، جغرافية الوطن العربي، الناشر: مكتبة النهضة العربية، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
٦٩ ـ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، خمسة أجزاء، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، الطبعة الثانية، ١٩٦١م، بيروت ـ لبنان.
٧٠ ـ لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ترجمة: عفيفة البستاني.
٧١ ـ لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، حواشي وتعليقات: شكيب أرسلان، الناشر: مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٢هـ.
٧٢ ـ لورانس تشسمان ادوارد، أعمدة الحكمة السبعة، منشورات المكتب التجاري، الطبعة الثانية ١٩٦٥م، بيروت.
٧٣ ـ محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، جزءان، طبع الجزء الأول على مطابع القصيم في الرياض ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، والثاني في القاهرة، دار الكتاب العربي، د.ت.
٧٤ ـ محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، مطابع شركة مودي جرافيك، لندن، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٧٥ ـ محمد حسن عواد، خواطر مصرحة، مطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر)، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، القاهرة.

٧٦ ـ محمد سرور الصبان، أدب الحجاز أو صفحة في أدب الناشئة الحجازية شعرا ونثرا، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، القاهرة.
٧٧ ـ محمد بن سعد بن حسين، الشعر السعودي الحديث بين التجديد والتقليد، منشورات نادي القصيم الأدبي، د.ت.
٧٨ ـ محمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله بلخير، من وحي الصحراء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٨م.
٧٩ ـ محمد عبدالرحمن الشامخ، الصحافة في الحجاز، دراسة ونصوص، دار الأمانة، مطابع دار القلم، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
٨٠ ـ محمد عبدالرحمن الشامخ، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية «١٩٠٠ـ١٩٤٥م»، أسهمت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض بطباعته، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٨١ ـ محمد بن عبدالله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، خمسة أجزاء في مجلدين، د.ت.
٨٢ ـ محمد بن عبدالله بن عبدالقادر، تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء القديم والجديد، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م الرياض.
٨٣ ـ محمد بن عبدالله بن عثيمين، العقد الثمين في شعر ابن عثيمين، مطابع دار الهلال للأوفست، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، الرياض.
٨٤ ـ محمد علي علوبة، فلسطين والضمير الإنساني، كتاب الهلال الشهري، العدد ١٥٦ في ١ شوال ١٣٨٣هـ/ مارس ١٩٦٤م.
٨٥ ـ محمود لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، الطبعة الثانية، ١٣٢٩هـ.
٨٦ ـ محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب، جزءان، مؤسسة سجل العرب، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.
٨٧ ـ محمود علي الداود، الخليج العربي والعلاقات الدولية، القاهرة، ١٩٦٦م.
٨٨ ـ مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٨٩ ـ مصطفى عبدالقادر النجار، دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر، معهد

البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨م.

٩٠ ـ مصطفى مراد الدباغ، الجزيرة العربية: موطن العرب ومهد الإسلام، ثلاثة أجزاء، منشورات دار الطليعة، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، بيروت.

٩١ ـ موضى بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود، الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت، منشورات تهامة، سلسلة «رسائل جامعية»، مطبعة دار عكاظ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، جدة.

٩٢ ـ ناصر الدين النشاشيبي، عندما دخلوا التاريخ، دار الثقافة ببيروت ومؤسسة فرانلكين للطباعة والنشر، مطبعة الكريم، ١٩٥٨م.

٩٣ ـ يوسف حمد البسام، الزبير قبل خمسين عاما مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، الكويت.

سابعا المراجع الأجنبية: REFERENCES:

أ ـ الكتب : BOOKS:

١ ـ Armstrong, H.C. Lord of Arabia: Ibn Saud. Khayat Book. Beirut.

٢ ـ Binzagr. S. Saudia Arabia in View of the past-three Continents Publishers, Lausane With Colaboration of Arabian Resource Managment, S. A. Geneve. Switzerland.

٣ ـ Dickson, H, R, P. Kuwait and her Neigh Bors, London, George Allen and Unwin. L. T. D. 1956.

٤ ـ Goma, Ahmed, M. The Foundation, of the Arab league of the Arab States Policeis. Longman, 1977.

٥ - Helfritz, H, The Yemen Asecret Journey, 1956.

٦ - How arath, David. King of the desert: Ibn Saud and his Arabia. New-York, 1964.

٧ - Hurewitz, J. C. Dip Lomacy in the Near and Middle East, 2 Volumes. N.Y. 1956.

٨ - Jacob, H. K. King of Arabia London, 1923.

٩ - Kay. S. Saudi Arabia: Post and present. Publis hed by: Nomara Publication. L.T.D. Reprinded, 1980. London.

١٠ - Lawerence. T.E. Seven Pillars of Wisdom. Garden City. N. Y. 1938.

PHILBY. J. B:

١١ - Arabia of Wahhabism. London, 1928.

١٢ - Arabian Jublee, Robert Hale. London.

١٣ - Forty Years in the Wildness. London Robert Hale.

١٤ - Saudi Arabia. London 1965.

١٥ - Philip. Graves. the Life of Sir Percycox. London, 1951.

Philips. T. Getting to Know Saudia Arabia. N.Y. 1963. ـ ١٦

RIHANI, AMEEN:

Ibn Saud of Arabia: His people and his land. London. 1926. ـ ١٧

Maker of Arabia. Boston, 1929. ـ ١٨

Winder. R.B. Saudia Rabia in Ninteen Century. N.Y. 1965. ـ ١٩

Winston. H.V.F. Gertrude Bell. Jhonhtan cape. L.T.D. 1979. London. ـ ٢٠

ب ـ الدوريات : THE PERIODICALS:

Contemporary Review Journal. Vol. 133. 1928. pp. 705-715. ـ ١

Current History. Vol. 41. 1934. pp. 291-197. ـ ٢

Journal of the Royal Central Asian Society. London. Vol. 12. 1925. pp. 33-348. ـ ٣

IV. 1929. pp. 458-467. ـ ٤

Nearest and India. Vol. 39. 1931. pp. 488-489. ـ ٥

The Living age (Boston), Vol. 323. Oct, 19-1924. ـ ٦

The Royal institute of international Affairs. Vol. X 11. 1933. pp. 418-534. ـ ٧

ثامنا: الدوريات العربية:

أ ـ الحوليـات:

١ ـ **مجلة كليـة الآداب**: تصـدر سنويا عن كلية الآداب في جامعة الملك سعود في الرياض، العدد الأول من السنة الأولى، المجلد الأول.

ب ـ النصف سنوية:

١ ـ **التوثيق التربوي**: مجلة يصدرها مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي في وزارة المعارف، العدد الخامس عشر، في ربيع الثاني، ١٣٩٨هـ/ابريل ١٩٧٨م.

جـ ـ الفصليـة:

الدارة: مجلة ربع سنوية، تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز في الرياض، وتعنى بتراث وفكر المملكة العربية السعودية، والجزيرة العربية، والعالم العربي، والعالم الإسلامي.

١ ـ العدد الأول من السنة الأولى، ربيع الأول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م.

٢ ـ العدد الأول من السنة الثانية، ربيع الأول ١٣٩٦هـ/مارس ١٩٧٦م.

٣ ـ العدد الرابع من السنة الرابعة، ١ من المحرم ١٣٩٩هـ/ ديسمبر ١٩٧٨م.

٤ ـ **عالم الكتب**: مجلة تصـــدر كل أربعـة أشهـر عن دار ثقيف للنشر والتـأليف، متخصصة في شؤون الكتاب، العدد الثالث عشر، المحرم ١٤٠٠هـ/نوفمبر ١٩٨٠م.

د ـ الشهريـة:

العرب: مجلة متخصصة، تصدر شهريا، والآن في كل شهرين مرة، تعنى بتاريخ وجغرافية الجزيرة العربية.

١ ـ العدد السابع، صفر ١٣٩٦هـ/يناير ١٩٧٦م.

٢ ـ العدد العاشر من السنة السادسة، ربيع ثاني ١٣٨٨هـ/يونيه «حزيران» ١٩٦٨م.

٣ ـ **الكويت العراقي**: مجلة تاريخية، كانت تصدر في أندونيسيا باللغة العربية، في غير انتظام، وقد توقفت، وهي سيئة الطباعة، ضعيفة التحرير، ولكنها تحوي بعض المعلومات المفيدة، ولايبدو لي إلا أنه لم يصدر منها سوى أعداد قليلة والعدد الذي بين أيدينا هو العدد العاشر، في ١٠ صفر ١٣٥١هـ/يونيه ١٩٣٢م.

٤ ـ **المنهل**: مجلة شهرية ثقافية أدبية، صدرت في بادىء الأمر في المدينة المنورة، وحاليا في جدة، ولم تكن منتظمة إلا في السنوات الأخيرة، والعدد الذي بين أيدينا، وهو العدد الخاص بتراجم أدباء المملكة العربية السعودية، الجزء السابع المجلد السابع والعشرون، رجب ١٣٨٦هـ/نوفمبر ١٩٦٦م.

تاسعا: الصحف:

أ ـ الأسبوعية:

أم القرى: تصدر على شكل جريدة أسبوعية، وأهميتها أنها أول صحف العهد السعودي، ولم تتوقف حتى أثناء أزمة الورق في الحرب العالمية الثانية.

١ ـ العدد الأول من السنة الأولى، في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ/١٢ ابريل ١٩٢٤م.

٢ ـ العدد الخامس من السنة الأولى، في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ/٧ يناير ١٩٢٦م.

٣ ـ العدد ١١١، في ٨ يناير ١٩٢٧م.

٤ ـ العدد ١٢٦، في ١٠ مايو ١٩٢٨م.

٥ ـ العدد ٢٠٨ من السنة الرابعة، في ٩ رجب ١٣٤٧هـ/١٨ ديسمبر ١٩٢٨م.

٦ ـ العدد ٣٠٩ من السنة السادسة، في ١٦ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ.

٧ ـ العدد في ٢١ صفر ١٣٤٥هـ/٣١ آب ١٩٢٦م.

٨ ـ العدد ٢٢١، ٦ شوال / ١٣٤٥هـ.

٩ ـ العدد ٣٢٥ من السنة السادسة، ٢٩ صفر ١٣٤٩هـ/١٩٣١م.

١٠ ـ العدد الصادر في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١هـ/ديسمبر ١٩٣٢م.

١١ ـ أنـظر: الأعداد المتضمنة ما كتبه يوسف ياسين عن «الرحلة السلطانية»، في ثلاث وعشرين حلقة. مركز الوثائق في معهد الإدارة العامة ـ الرياض.

١٢ ـ **المستقبل**: مجلة عربية تصدر في باريس، العدد ١٠٩، آذار ١٩٧٩م.

الوطن العـربي: مجلة عربية تصدر باللغة العربية في باريس، العدد ٣٦٨ في السنة الثامنة، ٢ آذار (مارس) ١٩٨٤م.

اليمامة: العدد ٣٩٢ في ١٢ ربيع الأول ١٣٩٦هـ/١٢ مارس ١٩٧٦م.

ب: **اليوميـة**:

١ ـ **البلاد**: يومية تصدر في جدة، العدد ٥٨٤٨، في ٢٧/٥/١٩٧٩م.

٢ ـ **الجزيرة**: يومية تصدر في مدينة الرياض، ٣٧١٨، في ٩/٢/١٤٠٣هـ/٤ نوفمبر ١٩٨٢م.

٣ ـ العدد ٤١٣٠ في ١٦ ربيع ثاني ١٤٠٤هـ/١٩ كانون ثاني «يناير» ١٩٨٤م.

٤ ـ العدد ٤١٧١، في ٢٨ جمادى الأولى ١٤٠٤هـ/٢٩ فبراير ١٩٨٤م.

٥ ـ **الجيل الثقافي**: ملحق يومي خاص، أصدرته مجلة الجيل بمناسبة جائزة الدولة التـقـديرية في الأدب، وقـد صدر منـه ستـة أعـداد، العـدد الأول في ٢٣/١/١٤٠٤هـ/٢٩ أكتوبر ١٩٨٣م.

٦ ـ **الشرق الأوسط**: يومية عربية تصدر في لندن، العدد ٨٤٨ في ٢٠/١٢/١٩٨٣م.

عاشرا: المحاضـرات:

١ ـ عبدالعزيز الخويطر، محاضرات العام الدراسي ١٣٨٥ ـ ١٣٨٦هـ، في التاريخ السعودي، السنة الرابعة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

هذا بالإضافة إلى الروايات الشفوية، وما كان قد علق الذهن من الأحاديث العامة.

المحتويـــات

THE RISE OF SAUDI ARABIA
The Modern Period
1333 – 1351 A.H.
1915 – 1932 A.D.
By
Abdullah M. Al-Shuhail

سعر النسخة: ١٠٠ ريال للدوائر والمؤسسات الحكومية ٥٠ ريالاً للأفــراد